سبق الغايات
في
نسق الآيات

مؤلف وجيز يبحث عن ارتباط آيات القرآن وسورها بعضها ببعض

تأليف

المفسر النحرير الشيخ أشرف علي التهانوي

١٢٨٠هـ-١٣٦٢هـ

تحقيق

محمد عبيد الله الأسعدي

عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية هتورا- باندە-الهند

مؤسسة إيفا للطبع والنشر - نيودلهي

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ظلت بلاد الهند منطقة خصبة للعلم وأهله، وأنجبت كبار العلماء والمفكرين وأصحاب دعوة وعزيمة، ولكن القرنين الثالث عشر والرابع عشر حافلان برجال العلم والطموح، وكأنهما فصل ربيع علمي ودعوي في الهند، وكان ذلك طبيعياً؛ فإن هذا العهد الذي أفل فيه نجم إمبراطورية المسلمين من أفقها وكسرت شوكتهم، وسيطر الاستعمار البريطاني على جميع أنحائها، وكانت حملة التنصير جاثمة على عقيدة المسلمين وكادت تلتقمها، ولم تكن المنظمات الهندوسية العنصرية المتطرفة بمعزل عن هذا الميدان، وتحاول بقوة تهنيد المسلمين وتحويل ديانتهم وردتهم، وكانت المجالس العلمية الإسلامية تحولت إلى خراب، والزوايا التي كانت تكتظ بالناس في زمان أصبحت كأن لم تغن بالأمس، وتحولت كثير من المساجد إلى اسطبلات وحظائر لخيول الإنجليز.

في مثل هذه الأوضاع الحالكة كان المسلمون بأمس حاجة للحفاظ على دينهم وهويتهم في هذه البلاد إلى شخصيات يجمعون بين التفقه في الدين والبصيرة النافذة في الشؤون الإسلامية، ويقومون بمهمة الدفاع عن الدين الحق، ويكون لهم نصيب وافر في الإخلاص والعلاقة بربهم سبحانه وتعالى، والذين يحملون عواطف نادرة لبذل كل غال ونفيس في سبيل نشر الإسلام والذود عن حياضه، والذين يتململون على تدهور حال الأمة تململ السليم، والذين يضطربون لغواية الأمة وعدم اهتدائها سواء الصراط، فقيض الله في هذين القرنين المنصرمين شخصيات عديدة لتصدي الفتن والجهاد في سبيل الله بالقلم واللسان والسيف والسنان، فبذلوا قصارى جهودهم في خدمة الدين، وصبروا على أن ينزع من المسلمين السلطة والحكومة وعلى أن يحكم عليهم بالشنق والإعلام، ولكنهم لم يصبروا على أن يحرموا عقيدتهم وإيمانهم، وأن

يسلبوا الحمية والأنفة والإباء.

كان من هذه الشخصيات الفذة العملاقة العلامة أشرف علي التهانوي (م:١٩٤٢م)، كانت شخصيته جامعة بين الصفات المتباينة، كان متبحراً في العلوم الإسلامية كلها، ومؤلفاته تروي الغليل في كل فن من الفنون الإسلامية، وكان مرشداً روحياً ارتبط به كبار الشخصيات الذين كانت لهم مكانة مرموقة وكلمة مسموعة، وكلهم استفادوا منه وارتووا من هذا النبع العذب الفياض، وكان الشيخ التهانوي يكتب حول مواضيع علمية وفكرية بالإضافة إلى مواضيع دعوية وتوجيهية، وكلها لبٌّ دون قشر، وكانت بعض مؤلفاته صغيرة في الحجم؛ ولكنها كبيرة الفائدة عميقة المعنى، وكان حقاً فقيه النفس، لم يكن يقتنع بالفروع فحسب في حل القضايا وإنما كان يهتم بالأصول والقواعد، ويندر نظيره في التمسك بمبدأ التوسط والاعتدال بين علماء عصره، ومن ميزاته البارزة وصوله إلى عمق المسائل والحوادث وروحها ومغزاها، وهذا لا يتأتى لأحد بقوة المطالعة فحسب، وإنما يحصل كل هذا بالقوة الفكرية النادرة، ومن ثم لقبه علماء الهند بـ "حكيم الأمة" ويصدق عليه هذا اللقب مائة في المائة.

ومن أشهر كتبه "بيان القرآن" في التفسير، فقد قام بعض أهل العلم في عصره بترجمة القرآن الكريم إلى الأردية، وكانت ترجمة سلسة واضحة ولكنها لا توافق ألفاظ القرآن بل ربما ابتعدت عن مرادها كثيراً، وكانت ترجمة سر سيد أحمد خان قد ظهرت قبل ذلك، وفيه ما فيه من شرح كلمات القرآن على أساس العقل والاكتشافات العلمية، وخرج من مراد الآيات القرآنية إلى ما لم يفهمه غيره من المتقدمين والمتأخرين من المعاني، وسلك مسلك التأويل البعيد في المعجزات، ويبدو أنه اعتمد كثيراً على تفسير المعتزلة، هذه كانت خلفية تأليفه "بيان القرآن" والذي يحتوي على ترجمة القرآن وتفسيره، وكل ذلك بأسلوب موجز ومقنع، وتعرّض خلال تفسير الآيات لاستنباط الأحكام ومسائل النحو والصرف وعلم المعاني والبلاغة، والتصوف والتزكية بالإضافة إلى ذكر أسباب النزول، وقد طبعت على هامشه رسالة موجزة مفيدة له حول تناسق الآيات بعضها ببعض باسم "سبق الغايات في نسق الآيات".

والحقيقة أن العلماء اختلفت آراؤهم في ارتباط الآيات والسور وتناسقها بعضها ببعض، فمنهم من ذهبوا إلى أن آيات القرآن أنزلت في مناسبات مختلفة ونظراً إلى الأوضاع والظروف المتباينة، وكأنها توجيهات بوقائع منوعة حدثت حيناً لآخر، فالبحث عن الترابط بينها غير معقول، ويؤيد وجهة النظر هذه أن الله عز شأنه غير متقيد بأساليب كلام خلقه، فالإنسان مفتقر في تأليف كتبه إلى أن يربط كلامه بعضه ببعض، وليس من شأن الإله الحق أن يسير على هذا النمط في إنزال كتابه، وإنما مثله كمثل "المنشور الملكي" الذي لا يبحث فيه عن التناسق والنظم، ولكن الجمهور يرون أن الله أنزل كتابه على أسلوب مألوف لدى الإنسان فروعي فيه بقواعد النحو والصرف وأصول البلاغة والمعاني، وهكذا روعي فيه التناسق بين السور والآيات، غير أن هذا لا يدرك أحياناً لدى العامة من الناس لدقته وبداعته، كما قال العلامة برهان الدين البقاعي (م:٨٨٥هـ): "إن صلة علم التفسير بعلم المناسبات مثل صلة علم النحو بعلم البيان" (نظم الدرر ٦/١). فعني به بعض المفسرين عناية فائقة، ويمكن أن يذكر كمثال لكتب التفسير التي تراعي بهذا الجانب كتاب "مفاتيح الغيب" للعلامة فخر الدين الرازي، كما جاء بعده من المفسرين من نهج هذا المنهج، ومن أبرزهم العلامة برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (م:٨٨٥هـ -١٤٠٩م) فإنه ألف "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" في اثنتين وعشرين مجلداً، والظاهر من اسم الكتاب أنه يبحث خاصة في هذا الموضوع.

إن اللغة العربية تسعد بأنها ذاخرة بخدمة القرآن الكريم مع قصر عمرها، ومعظم علماء شبه القارة الهندية الذين ألفوا كتب التفسيير ركزوا على تناسب الآيات والسور، وعلى مقدمتهم الشيخ محمد حميد الدين الفراهي فكان له منهج خاص في هذا الفن، قدمه في كتابه "نظام القرآن" ونسج على منواله تلميذه الشيخ أمين أحسن الإصلاحي في كتابه "تدبر القرآن".

ومن أبرزهم الشيخ أشرف علي التهانوي فإنه كتب حول التناسب والتناسق بأسلوب موجز وممتع ولكنه لم يتكلف في هذا وتجنب التصنع في ربط الآيات والسور

بعضها ببعض، فألف رسالة مستقلة باسم "سبق الغايات في نسق الآيات" طبعت على هامش تفسيره "بيان القرآن"، ولكن الكتب التي تطبع على الهوامش تفقد نفعها وتصبح مطمورة، فلم تطبع هذه الرسالة حتى الآن على حدة، بارك الله في حياة الشيخ محمد عبيد الله الأسعدي الذي قام بتحقيق هذه الرسالة واعتنى بها، فازدادت أهميته وقيمته، لأجل أنها تطبع كرسالة مستقلة، والشيخ الأسعدي مؤلف قدير ناجح وموفق من الله.

وقد قدم إلى أهل العلم من قبل مؤلفات قيمة في فنون مختلفة من أصول الحديث، وأصول الفقه والفقه الإسلامي والسير والتراجم وما إلى ذلك، وله جهود مشكورة في تحقيق تراث السلف، وهذا الكتاب خير نموذج لذلك.

من حسن نصيب "مجمع الفقه الإسلامي بالهند" وسعادة نصيبه أنه يقدم واحداً من مؤلفات الشيخ أشرف علي التهانوي في صورة أحسن من ذي قبل، وبذلك يمكن للعلماء العرب أيضاً أن يستفيدوا منه، فقد صدر من قلم عالم نحرير ومؤلف قدير، تقبل الله هذا الكتاب وجزى المؤلف والمحقق خيراً وجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

٢٥/صفر ١٤٣٣هـ — خالد سيف الله الرحماني

٢٠/يناير ٢٠١٢م — (الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بالهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم، أما بعد!

فإن الشيخ أشرف علي التهانوي المعروف بحكيم الأمة رحمه الله تعالى كان من أعلام الهند ونوابغ الرجال في القرن الرابع عشر الهجري وممن أكرمه الله تعالى في القرن الماضي بخدمة العلم والدين وقيادة الأمة والعناية بأحوالها من نواحي شتى كما سيعرف ذلك القراء من ترجمته المختصرة التي زينا الكتاب بها.

وكان رحمه الله تعالى سباق الغايات في عدة مجالات من العلم فكان إماماً في التفسير يشهد له بذاك تفسيره "بيان القرآن"، وإماماً في الفقه يشهد له بذاك مجموع فتاواه ورسائله الفقهية وكتاب "أحكام القرآن وإعلاء السنن" وإماماً في التصوف والسلوك أيضاً جنباً بجنب يشهد له كتابه "مسائل السلوك من كلام ملك الملوك" وغيره من مجهوداته.

وله رحمه الله في التفسير عدة أشياء ومن أهمها هذا الكتاب الذي بأيديكم والكتاب من أفراده في الموضوع فإنه مع أن صنفوا كثيراً وكثيراً في علوم القرآن إلا أن العلم الذي هو موضوع هذا الكتاب، ألا وهو علم الارتباط فيما بين الآيات وبين السور بعضها مع بعض لم يتعرض له كثير أحد من العلماء والمفسرين إلا النذر اليسير.

وقد ذكر من ذلك أشياء المفسر المفلق في هذا الباب وفي هذا الفن الشريف صاحب الكتاب وهو العلامة برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، ورأينا أن نأخذ من بداية كتابه نبذاً نافعاً ونلحقه بهذا السفر.

وقد توجه إليه واعتنى به العلامة على المهائمي (ت ٨٣٥هـ) في تفسيره "تبصير الرحمن" ولعل أول من توسع فيه هو الإمام الرازي في تفسيره الكبير ثم تلا تلوه من جاء بعده وقد ذكر هذا العلم عدد من فحول علماء القرآن وتبسط فيه بعض نوابغ مفسري القرآن.

ولما كان الشيخ التهانوي بحيث إنه قد فتحت له العلوم من جنابه سبحانه وتعالى وأكرم منه تعالى بسعة النظر ودقته في علوم القرآن كانت له عناية خاصة بهذه الناحية وكان يتكلم بذاك اهتماماً وزين تفسيره "بيان القرآن" بذاك وعد هذا من ميزاته.

ولم يكتف الشيخ بهذا بل ألف في الموضوع مؤلفاً خاصاً واهتم بطبعه ونشره باسم "سبق الغايات في نسق الآيات" والكتاب نال القبول بين الأوساط العلمية في الهند، ألفه المؤلف سنة ١٣٢٦هـ وألفه في مدة شهرين وأسبوعين شهر صفر المظفر وشهر ربيع الأول وربيع الآخر نصفه وما كتبه في الارتباط بين السور فرغ منه ٣ جمادى الأخرى من نفس السنة فكأنه اشتغل بهذا العمل لمدة شهر ونصف تقريباً.

إلا أن الكتاب مع أهميته وميزته لم يخرج من الهند إلى الخارج ومع الأسف منذ أمد بعيد أنه غائب من السوق ولم يحظ بطبعه في حلة جديدة تناسب العصر الحالي.

فجزى الله تعالى الخير إخوة توجهوا إلى ذلك ليعم علمه ويتم نفعه، واهتموا بطبعه بالكمبيوتر في أحسن حلة، مزيناً بالإحالة إلى مأخذه الأصلية من "التفسير الكبير وتفسير أبي السعود".

وقد أكرمني الله أيضاً بخدمة هذا الكتاب بهذا الصدد والسبيل وساعدني في ذلك بعض الإخوة من طلاب الجامعة العربية بهتورا الهند ومن أساتذتها حتى قدرت على استخراج النصوص من مأخذها مع المقابلة بالنسخة المطبوعة من الكتاب.

وجزى الله أحسن الجزاء المسؤولين لمؤسسة إيفا للطبع والنشر بدلهي الهند – على العناية والاهتمام بطبع هذا الكتاب ونشره فلهم الشكر الجزيل منا والأجر الجميل عند ربنا.

وأنا العبد محمد عبيد الله الأسعدي

عضو هيئة التدريس بالجامعة العربية

هتورا، باندە، الهند

(١٤٣٣/١/٢١هـ)

بيان وجيز في تعريف
علم مناسبات السور والآيات وأهمية هذا العلم
وفي بعض أهم المصادر والكتب فيه[١]

قال البقاعي: علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علله وترتيب أجزائه وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو.

وقال الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" في ذكر النوع الثاني من علوم القرآن وهو علم المناسبة: قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازي.

وقال الرازي في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى آمن الرسول الآية (من البقرة):

"من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجزة بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو معجزة أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته.

ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك.

إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأسرار وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل:

---

[١]- إنما أخذنا هذا البحث من بداية كتاب ومقدمته وهو كتاب ""نظم الدرر في مناسبات الآيات والسور" للمفسر برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي.

والـــــنجم تستـــــصغر الأبـــــصار صـــــورته
فالـــــذنب للطـــــرف لا للـــــنجم فـــــي الـــــصغر

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في "سراح المريدين": ارتباط آية القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسعة المعاني منتظمة المبـــاني علـــم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننـــا وبين الله ورددناه إليه.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ما حاصله: المناسبة علم حسن لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع علي أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض.

وقال الزركشي: قال بعض مشائخنا المحققين وهو العارف محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي: قد وهم من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة.

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوفيق كما أنزل جملة إلى بيت العزة، ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففي ذلك علم جم. انتهى.

قال البقاعي: وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب والأول أقرب تناولاً وأسهل ذوقاً.

وقال أيضاً: وبذلك أيضاً يوقف على الحق من معاني آيات حار فيها المفسرون لتضييع هذا الباب من غير ارتياب منها قوله تعالى في سورة البقرة {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت} الآيتين (وغيرها من الآيات).

وقال أيضاً: فرب آية أقمت في تأملها شهوراً منها {وإذ غدوت من أهلك} في آل عمران ومنها {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة} في النساء.

وقال أيضاً: لا تنكشف هذه الأغراض أتم انكشاف إلا لمن خاض غمرة هذا الكتاب وصار من أوله وآخره وأثناءه على ثقة وصواب {وما يذكر إلا أولوا الألباب}.

وقال أيضاً: قال أبو القاسم محمد المشدالي المغربي المالكي (ت٨٦٥هـ) و{يستفتونك قل الله}:

الأمر الكلي المفيد بعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن.

وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله تعالى وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة والله الهادي انتهى.

وقد عقد في بيان هذا العلم فصلاً، العلامة الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" وذكر فيه:

أول من أظهر ببغداد علم المناسبة، هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسافوري الفقيه الشافعي (ت٣٢٤هـ).

أما الكتب في هذا العلم الشريف والفن المنيف فقد ذكر منه أشياء البقاعي في تفسيره مما كان أمامه من بداية عمله الجليل ومما وقف عليه أثناء الرحيل في شعاب

هذا العلم وقد قضى فيه ومكث لأمد طويل فجزاه الله تعالى خير الجزاء.

(١) أهمه وأوسعه وأشهره وأكثره تناولاً وأسهله استفادة تفسير "نظم الدرر في تناسب الآية والسور" للإمام المفسر برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ). قال فيه مؤلفه: هذا كتاب عجاب، رفيع الجناب في فن ما رأيت من سبقني إليه.

(٢) "البرهان في ترتيب سور القرآن" هو للعلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الأندلسي (ت٨٠٧هـ) (وفيه بيان مناسبات السور فقط).

(٣) مفتاح الباب المفصل لفهم القرآن المنزل.

(٤) كتاب العروة لهذا المفتاح.

(٥) التوشية والتوفية.

وهذه الثلاثة: للإمام الرباني أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحرالي المغربي نزيل حماة من بلاد الشام.

(٦) وللشيخ المذكور تفسير بسيط يعتني فيه بذلك اعتناءاً كاملاً.

(٧) تفسير ابن النقيب الحنفي

وهو في نحو ستين مجلداً يذكر فيه المناسبة لكن بالنسبة إلى بعض الآيات والقصص لا جميع الآيات.

(٨) التفسير الكبير للإمام الرازي (ت٦٠٦هـ).

(٩) "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم" المعروف بتفسير أبي السعود لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١٩هـ).

وقد استكثر منهما بل انحصر فيهما مؤلف هذا السفر الشيخ التهانوي لأنه لم يقف ولم يصل إلى غيره من كتب هذا العلم وله وللشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي والشيخ محمد إدريس الكاندهلوي عناية بالغة بهذا العلم في تفاسيرهم وتفاسير الثلاثة مع الأسف بالأردية ولم ينقل إلى العربية أحد منها إلى الآن.

مولانا أشرف علي التهانوي

الشيخ العالم أشرف علي بن عبد الحق الحنفي التهانوي الواعظ المعروف بالفضل والأثر.

ولد بتهانه بهون قرية من أعمال مظفرنغر لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمانين ومائتين بعد الألف.

وقرأ المختصرات على مولانا فتح محمد التهانوي والمولوي منفعت علي الديوبندي، وقرأ أكثر كتب المنطق والحكمة وبعض الفقه والأصول على مولانا محمود حسن الديوبندي المحدث، وأكثر كتب الفقه والأصول وبعض الحديث والفنون الرياضية والمواريث على الشيخ السيد أحمد الدهلوي، والحديث والتفسير على مولانا يعقوب بن مملوك العلي النانوتوي، كلها في المدرسة العالية بديوبند.

ثم سافر إلى الحجاز فحج وزار وأخذ الطريقة عن الشيخ الكبير إمداد الله التهانوي المهاجر إلى مكة المباركة، وصحبه زماناً ثم رجع إلى الهند.

ودرس مدة طويلة في مدرسة جامع العلوم بكانفور مع اشتغاله بالأذكار والأشغال، حتى غلبت عليه الحالة فترك التدريس وسافر إلى أقطار الهند وراح إلى الحجاز مرة ثانية وصحب شيخه مدة.

ثم عاد إلى الهند وأقام بموطنه في آخر صفر سنة خمس عشرة وثلاث مائة وألف، فلم يغادره إلا نادراً للتداوي أو الاضطرار.

وصار مرجعاً في التربية والإرشاد وإصلاح النفوس وتهذيب الأخلاق، تشد إليه الرحال ويقصد الراغبون في ذلك من أقاصي البلاد وأدانيها، وانتهت إليه الرياسة في تربية المريدين وإرشاد الطالبين، والاطلاع على غوائل النفوس ومداخل الشياطين، ومعالجة الأدواء الباطنة والأسقام النفسية.

وهو ملتزم لمكانه يقصد ولا يقصد، يؤتي ولا يأتي، وللإقامة في زاويته

والاستفادة من مجالسه قيود والتزامات، يحتملها الطالبون، لا يلتزم ضيافة القاصدين، شأن الزوايا بل يقومون بذلك بأنفسهم، ويخص بعض الفضلاء وخاصة الزائرين بالضيافة، ومع ذلك يؤمه الطالبون من أنحاء بعيدة، ويتحملون نفقاتهم.

وكانت أوقاته مضبوطة منظمة، لا يخل بها ولا يستثنى فيها إلا في حالات اضطرارية، وكان إذا انصرف من صلاة الصبح اشتغل بذات نفسه عاكفاً على الكتابة والتأليف منفرداً عن الناس، لا يطمع فيه طامع إلى أن يتغدى ويقيل ويصلي الظهر، فإذا صلى الظهر جلس للناس يكتب الردود على الرسائل، ويقرأ بعضها للناس ويتحدث إليهم، ويؤنسهم بنكته ولطائفه.

وكان حديثه نزهة للأذهان، وفاكهة للجلساء، بحيث لا يملون ولا يضيقون، فإذا صلى العصر انفرد عن الناس واشتغل بشؤون بيته إلى أن يصلي العشاء، فلا يطمع فيه طامع.

وقد كان من كبار العلماء الربانيين الذين نفع الله بمواعظهم ومؤلفاتهم، وقد بلغ عدد مجالس وعظه التي دونت في الرسائل وجمعت في المجامع إلى أربع مائة مجلس، وقد كان نفع كتبه ومجالس وعظه عظيماً في إصلاح العقيدة والعمل، واستفاد منه ألوف من المسلمين، ورفض عدد لا يحصيه إلا الله العادات والتقاليد الجاهلية والرسوم والبدع التي دخلت في حياة المسلمين وفي بيوتهم وأفراحهم وأحزانهم بسبب الاختلاط الطويل بالكفار وأهل البدع والأهواء، وقد كان له فضل كبير في تيسير الطريقة وتقريبها، وتنقيح الغايات من الوسائل، واللباب من القشور والزوائد.

كانت له اليد الطولى في المعارف الإلهية، ومهارة جيدة في التصنيف والتذكير، ورزق من حسن القبول ما لم يرزق غيره من العلماء والمشائخ في العصر الحاضر.

وله مصنفات كثيرة ممتعة ما بين صغير وكبير وجزء لطيف ومجلدات ضخمة، أحصاه بعض أصحابه فبلغت إلى نحو ثمان مائة.

منها نحو اثني عشر كتباً بالعربية، منها "أنوار الوجود في أطوار الشهود"،

و"التجلي العظيم في أحسن تقويم" و"سبق الغايات في نسق الآيات" وغيرها.

ومن مصنفاته في غير العربية "الإكسير في ترجمة التنوير" و"التأديب لمن ليس له في العلم والأدب نصيب"، و"تحذير الإخوان عن تزوير الشيطان" و "القول البديع في اشتراط المصر للتجميع" و"القول الفاصل بين الحق والباطل"، "وتنشيط الطبع في إجراء القراءات السبع"، و"بيان القرآن" في الترجمة والتفسير في ثلاثين جزءاً و"التكشف عن مهمات التصوف"، و"تربية السالك وتنجية الهالك" "وحياة المسلمين" و"تعليم الدين" و"البوادر والنوادر" وإصلاح الرسوم" ومجاميع كثيرة لمجالسه وكلامه ولمواعظه أيضاً.

وقد كان لكتابه "بهشتي زيور" الذي ألفه أصلاً لتعليم البنات وضمنه المسائل الفقهية التي تشتد إليها الحاجة رواج وذيوع قلما بلغهما كتاب آخر من الكتب الدينية في هذا العصر، وطبع مراراً كثيرة يصعب إحصاؤها.

وكان مشكلاً منور الشبيه، أبيض مشرب الحمرة، ربعة من الرجال، حسن الثياب في غير إسراف وتجمل.

حلو المنطق، لطيف العشرة، فيه دعابة مع مهابة، ووقار وسكينة ورزانة، كثير المحفوظ، حسن الاستشهاد بالأبيات، كثير الإنشاد لأشعار المثنوي لمولانا جلال الدين الرومي في المواعظ وفي المجالس في محالها، شديد العناية كثير الحسبة على أداء الحقوق إلى أصحابها وإصلاح المعاملات مع الناس، لا يحتمل في ذلك تساهلاً وتغافلاً.

توفي إلى رحمة الله تعالى لست عشرة خلون من رجب سنة اثنتين وستين وثلاث مائة وألف وقد بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة، ودفن في (تهانة بهون).

قد نال كثير من مؤلفاته القبول العام بين الأنام من الخواص والعوام ويعد بعضها سنداً وعمدة في الموضوع، منها مجموع فتاواه المعروف به "إمداد الفتاوى" في ست مجلدات ضخمة وتفسير "بيان القرآن" ألفه بالأردية لكن أعجب به واستفاد العلماء البارعون والفضلاء النوابغ.

آثار المؤلف
في علوم القرآن وتفسيره

(١) تجويد القرآن
(٢) جمال القرآن
(٣) تنشيط الطبع في إجراء السبع
(٤) رفع الخلاف في حكم الأوقاف
(٥) آداب القرآن
(٦) يادغار قرآن (تذكار القرآن)
(٧) متشابهات القرآن لتراويح رمضان
(٨) وجوه المثاني مع توجيه الكلمات والمعاني
(٩) زيادات على كتب الروايات (التاسع والثامن في روايات القراءة، الأول في المشهورة منها والثاني في غير المشهور)
(١٠) سبق الغايات في نسق الآيات
(١١) تصوير المقطعات لتيسير بعض العبارات (شرح ما جاء في تفسير البيضاوي من البيان والكلام في الحروف المقطعات)
(١٢) ظهور القرآن مع صدور البيان
(١٣) رفع البناء في نفع السماء
(١٤) تمهيد الفرش في تحديد العرش (في تفسير بحث الاستواء)
(١٥) التواجه بما يتعلق بالتشابه
(١٦) إلقاء السكينة في تحقيق إبداء الزينت
(١٧) ملاحة البيان في فصاحة القرآن
(١٨) دفع الاعتساف عن آية الاستخلاف

(١٩) العنوان في آيتي سورة الامتحان
(٢٠) تنزيه علم الرحمن عن سمة النقصان
(٢١) أحسن التفهيم بمقوله سيدنا إبراهيم
(٢٢) التقصير في التفسير
(٢٣) الهادي للحيوان في وادي تفصيل البيان
(٢٤) إصلاح ترجمة دهلوية
(٢٥) إصلاح ترجمة سيرت
(٢٦) مسائل السلوك من كلام ملك الملوك (في التفسير الإشاري الصوفي)
(وله غير ذلك من المباحث والفتاوى والأبحاث في ما يتعلق بالقرآن وترجمته وتفسيره)
(٢٧) أحكام القرآن
(هذا الكتاب من ترتيب ومؤلفات تلاميذه وأصحابه الخلص الخصص لكن لا يخلو من إفاداته وارشاداته)
(٢٨) بيان القرآن

وهو تفسير كامل، در يتيم وفرد فريد في بابه وموضوعه مع أنه بالأردية لكن فيه ما يستفيد به المولعون بالعربية ويستنير منه الغواصون في بحر المعاني القرآنية وأمهات مصادر تفسير الكتب الربانية.

يقول فيه الشيخ محمد يوسف البنوري (صاحب معارف السنن شرح السنن للإمام الترمذي):

كابد فيه مطالعة كتب المفسرين ولخص فيه أموراً مفيدة وحل مواضع مشكلة غامضة بوجه أنيق وزاد نفعها بفوائد العربية، (يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن ص ٤٥، ٥١).

وقال الشيخ الفقيه محمد تقي العثماني (صاحب تكملة فتح الملهم شرح الصحيح الصحيح للإمام مسلم):

له تفسير بديع باللغة الأردية باسم بيان القرآن في أربع مجلدات ضخمة من القطع الكبير يحوي مباحث علمية هامة من التفسير والنحو والبلاغة والفقه والكلام والتصوف – أخذاً من المطولات – من كتب التفسير فإنه يجمع لبها ومغزاها بعبارة مميزة علمية جامعة، (من مقدمته لكتاب إعلاء السنن ١/١١).

وراجع للتعريف الوجيز البليغ بالمؤلف كتاب "أشرف علي التهانوي حكيم الأمة وشيخ مشائخ العصر في الهند" لمؤلفه محمد رحمة الله الندوي (ص٣٥٦/٣٨٤/من الكتاب).

ليلاحظ أن أكثر مؤلفاته وآثاره في العلوم القرآنية بالعربية وكثير منه بالأردية[١].

[١]– ولكاتب هذه السطور مقال بسيط ولغيره أيضاً من بعض العلماء أبحاث في خدماته القرآنية والتفسيرية طبعت هذه البحوث بباكستان ضمن مجموع أبحاث خاصة بالشيخ التهانوي ومواهبه العلمية وخدماته العلمية وذلك باسم "اشرف المقالات" طبعه مجلس صيانة المسلمين بلاهور، باكستان.

كلمة عما جاء في الكتاب

وليعلم أن ما جاء في الكتاب من معلومات الموضوع ومن أقوال المناسبات فهو كما ذكره المؤلف في مقدمته من نوعين نوع أخذه من غيره ونوع من عند نفسه مما ألقى في روعه وخطر بباله.

أ) فما أخذه من غيره فهو ما أخذه من كتابين فقط أحدهما كتاب "التفسير الكبير" للإمام الرازي (ت٦٠٦هـ) والآخر كتاب "تفسير أبي السعود" لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) فما أخذه من التفسير الكبير فهو أكثر بالنسبة إلى ما أخذه من تفسير أبي السعود، ولذا فإنه لا يصرح باسم التفسير الكبير فيما يأخذه منه وينقله وما أخذه من تفسير أبي السعود يصرح باسمه لكن في بعض المواضع لم يصرح باسمه[١].

إلا أنه ربما يذكر بعض ما يستفيد من أحد الكتابين معزياً إلى نفسه بقوله: قال المسكين لكن يقول معه: أخذاً من الكبير أو أبي السعود، وعنده من ذلك غير قليل.

كما أنه لا يصرح باسم أبي السعود أحياناً حينما يتسلسل من نقل أقواله قولاً بعد قول، وكذا يصرح باسم الكبير حينما ينقل منه شيئاً بعد ذكر قول أبي السعود.

وليلاحظ أن المؤلف يأخذ ويذكر نص الكبير وأبي السعود ولفظهما وربما يختصر منه وينتقي فيترك وتارة يأتي بلفظ مناسب غير ما هو في الأصل كما أنه ربما يزيد من عند نفسه أشياء فيذكرها في الهامش لكنه يسير غير كثير وقد يذكره في الأصل وصلب الكتاب[٢].

ربما ينقل من كل منهما فيقدم الكبير وقد يؤخره أيضاً[٣]، كما أنه قد يزيد من

---

[١]- راجع لذلك الآيات ٦، ١٦، ٩٢و ٩٣ من سورة البقرة.

[٢]- مثل ما قاله تحت الآية ٤٨ من سورة القصص وقد نبهت عليه.

[٣]- راجع لذلك الآية ٩٣ و ١٩٩ من آل عمران والآية ٥١ من الحجر.

عند نفسه مع إفادة[١]، وقد يخالف أيضاً[٢].

ب) أما النوع الثاني وهو مما ألقى في روعه وألهم في قلبه من لدن ربه تبارك وتعالى فهو أيضاً كثير غير قليل ورب تسلسل في بعض السور كما أنه اكتفى به في بعض السور لا سيما ما جاء في الكتاب من مناسبات السور بعضها ببعض فكله أو جلها من هذا القبيل والله در المؤلف.

غالب ما جاء في سور المفصلات من المناسبات، من المؤلف مما ألقى في روعه كما أنه ما كتب في سورة الأحزاب من المناسبات كلها من هذا القبيل وكذا معظم ما كتب في سورة بني إسرائيل (الإسراء).

وفي بعض السور معظم المناسبات مأخوذة من تفسير أبي السعود مثل سورة "ص" وفي بعض السور المناسبات كلها من أبي السعود ومن عند المؤلف مثل سورة القصص.

وليعلم أيضاً أن الكتاب موضوعه بيان مناسبات الآيات بعضها ببعض لكنه تكلم في مناسبة السور بعضها ببعض أيضاً إلا أنه ما ذكر من ذلك في الكتاب وضعه في الغالب في الهامش وما وضعه في أصل الكتاب ومتنه فنبه عليه وأشار إليه في الهامش بقوله وكأنه جعل ذلك كتاباً آخر غير كتاب نسق الآيات ولذا فإنه كما كتب خاتمة "سبق الغايات ونسق الآيات" كتب خاتمة مناسبات السور أيضاً بقوله:

وعند ذلك ختم الكتاب قال صاحب المنهيات عفا الله عنه جميع السيئات: هذا آخر ما أردنا في الارتباط بين السور القرآنية، وقع الفراغ فيه ثالث جمادى الأخرى ١٣١٦ الهجرية النبوية على صاحبها ألف ألف سلام وتحية.

وليلاحظ أنه ما جاء من المناسبات تحت الآية ١٠٩ من الأنعام والآية ٤٨ من سورة العنكبوت والآية ١٥ من الزخرف لم أجدها في أحد المأخذين والمؤلف لم ينسبه إلى نفسه وكذا ما ذكره في بداية سورة مريم.

فلا أدري هذا من قلة تتبعي وخطأ نظري وفحصي أم ذاك من عند المؤلف.

---

[١] – راجع لذلك الآية ١٩ من الأنعام والآية ٣٨ من الأنعام.

[٢] – راجع لذلك الآية ٩٠ من المائدة والآية ٢٦ من آل عمران.

كلمة المحقق
حول عمل التحقيق

بعد الحمد لله تعالى والصلاة والسلام على نبيه ذي الصفات العلى.

أشكر الله تعالى على أن أكرمني بخدمة هذا السفر الجليل الكاشف عن أحد من أهم علوم كتابه والحق أنه في موضوعه كتاب نبيل، وذلك بمناسبة طبعه الجديد طبعاً يناسب هذا العصر – بالكمبيوتر ولوازمه بعد أن كان يطبع سابقاً بالحديد.

ويجدر بي وهو المعمول والمعروف من أعمال المحققين أن أبدى ما تأتي فيه بعنايتي وجهودي في هذا الطبع.

(١) إني قرأت نص الكتاب فجعلته في قطعات وفقرات كل آية في فقرة وربما جاءت آية في فقرتين فصاعداً إذا ذكر المؤلف لقطعة وقطعة من آية مناسبات مفرده مفرزة.

(٢) ذكرت أرقام الآيات.

(٣) ذكرت الإحالات لكل ما ذكره ونقله المؤلف من التفسيرين الكبير أو تفسير أبي السعود وذلك ببيان الأجزاء والصفحات.

(٤) صححت النص إذا وجدت فيه الأخطاء بدون تنبيه على الأغلاط المطبعية.

(٥) وإذا وقفت على سقط زدته وجعلته بين القوسين فالقوسان إشارة إلى زيادة من المحقق.

(٦) وكذا ما جاء في الكتاب بهوامشه من مناسبات السور أو من غيرها توضيحاً جعلته بين القوسين فالقوسان هنا إشارة إلى تصرف من المحقق.
وقد نبهت في كل موضع على هذا بأن كتبت: هذا في الأصل بالهامش أو هذا من الهامش وربما قلت: زيادة من المؤلف وبنحو هذا ولم أهتم وأتقيد

بلفظ واحد في كل مكان.

(٧) وجدت بعض المناسبات لبعض الآيات بحيث إنه متصل ببيان مناسبة ما قبلها بدون ذكر الآية المتعلق بها هذه المناسبة فذكرت الآية وجعلت مناسبتها متصلة بها[١].

(٨) الآيات ذكرها المؤلف بدون لفظ قوله تعالى فلما جعلت الكتاب في فقرات رأيت من المناسب زيادة "قوله تعالى" وفي كل موضع ذكر المؤلف أو نقل –: فقال الخ ونحوه ففي مثل هذه المواضع لم أذكر لفظ قوله تعالى لأن نص الكتاب مستغنى عن هذا.

(٩) وإني لم أزد من عند نفسي شيئاً في الأصل ولا في الهوامش إلا ما كان ضرورياً وقد ذكرته.

غير أني اضطررت إلى أن أكتب هامشاً وذلك تصحيحاً لخطأ وزيادة للإيضاح وذلك في سورة البقرة آية رقم ٣٣، والباعث لذلك مكتوب وموجود هناك يستطيع القاري أن يقف عليه بمراجعة الموضع المذكور[٢].

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا وشفيعنا ونبينا محمد المصطفى رسوله الكريم.

---

[١]– وذلك مثل الآية ١١٨ من سورة المؤمن قل رب اغفرلي.

[٢]– راجع الآية ٢٣٣ من سورة البقرة: والوالدات يرضعن أولادهن" الحكم الثاني عشر الرضاع الخ، والآية ٢٤١ وللمطلقات متاع بالمعروف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني، على نبيه وصفيه الذي أوتي جوامع الكلم قليلة المباني كثيرة المعاني، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دانت لهم الأمم من الأقاصي والأداني.

أما بعد!

فهذا كتاب وجيز في بيان الارتباط فيما بين الآيات القرآنية والمعاني الفرقانية، اشتدت إليه الحاجة في هذا الزمان لكثرة من يفتش عن هذا الشأن، ملتقط أكثره من "الكبير" ومن ثم لم يحتج إلى التصريح بالنسبة إليه، وبعضها من "تفسير أبي السعود" وقد أحيل عليه، وفي مواضع شتى مما ورد على هذا المهين وقد أفصح عنه بقال المسكين هذا وقد سمى بـــ "سبق الغايات في نسق الآيات".

اللهم اجعله خالصاً لوجهك الكريم وانفع به خدام القرآن الكريم، واجعلنا ممن يتمسك – إلى الأجل – بهذا الصراط المستقيم.

سورة الفاتحة

اعلم أن مراتب أحوال الخلق خمسة: أولها الخلق، وثانيها التربية في مصالح الدنيا، وثالثها التربية في تعريف المبدأ، ورابعها التربية في تعريف المعاد، وخامسها نقل الأرواح من عالم الأجساد إلى دار المعاد.

فاسم الله تعالى منبع الخلق والإيجاد والتكوين والإبداع، واسم الرب يدل على التربية بوجوه الفضل والإحسان، واسم الرحمن يدل على التربية في معرفة المبدأ، واسم الرحيم في معرفة المعاد، حتى يحترز عما لا ينبغي ويقدم على ما ينبغي، واسم الملك يدل على أنه ينقلهم من دار الدنيا إلى دار الجزاء.

ثم عند وصول العبد إلى هذه المقامات انتقل الكلام من الغيبة إلى الحضور فقال: "إياك نعبد" كأنه يقول إنك إذا انتفعت بهذه الأسماء الخمسة في هذه المراتب الخمس وانتقلت إلى دار الجزاء صرت بحيث ترى الله فحينئذ تكلم معه على سبيل المشاهدة لا على سبيل المغايبة.

ثم قل "إياك نعبد وإياك نستعين" كأنه قال إياك نعبد لأنك الله الخالق، وإياك نستعين لأنك الرب الرازق، إياك نعبد لأنك الرحمن وإياك نستعين لأنك الرحيم، إياك نعبد لأنك الملك وإياك نستعين لأنك المالك.

واعلم أن قوله "مالك يوم الدين" دل على أن العبد منتقل من دار الدنيا إلى دار الآخرة ومن دار الشرور إلى دار السرور فقال: لا بد لذلك اليوم من زاد واستعداد وذلك هو العبادة فلا جرم قال "إياك نعبد".

ثم قال العبد: الذي اكتسبته بقوتي وقدرتي قليل لا يكفيني في ذلك اليوم الطويل، فاستعان بربه فقال: ما معي قليل فأعطني من خزائن رحمتك ما يكفيني في ذلك اليوم الطويل فقال: "وإياك نستعين".

ثم لما حصل الزاد ليوم المعاد قال: هذا سفر طويل شاق والطرق كثيرة

والخلق قد تاهوا في هذه البادية فلا طريق إلا أن اطلب الطريق ممن هو بإرشاد السالكين حقيق فقال: "إهدنا الصراط المستقيم".

ثم إنه لا بد لسالك الطريق من رفيق ومن بدرقة ودليل فقال "صراط الذين أنعمت عليهم" والذين أنعم الله عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، فالأنبياء هم الأدلاء، والصديقون هم البدرقة، والشهداء والصالحون هم الرفقاء.

ثم قال: "غير المغضوب عليهم ولا الضآلين" وذلك لأن الحجب عن الله قسمان: الحجب النارية وهي عالم الدنيا ثم الحجب النورية وهي عالم الأرواح فاعتصم بالله سبحانه وتعالى من هذين الأمرين وهو أن لا يبقى مشغول السر لا بالحجب النارية ولا بالحجب النورية[١].

[١]- التفسير الكبير ١/٢٨٩، ٢٩٠.

سورة البقرة

وجه المناسبة بين آخر الفاتحة وأول البقرة أن العبد لما سأل الهداية من الله تعالى بقوله: اهدنا الصراط المستقيم أجاب الله تعالى سؤاله فقال:

"ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" أي خذ ما سألت من الهداية فهذا الكتاب هو الهداية الكبرى[١].

قوله تعالى: "الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"[٢].

إنه نبه أولاً على أنه الكلام المتحدي به ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي ثم نفي أن يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة بكماله ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله[٣].

قوله تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"[٤].

الأقرب أن تكون هذه الأشياء تفسيراً لكونهم متقين وذلك لأن كمال السعادة لا يحصل إلا بترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي، فالترك هو التقوى، والفعل إما فعل القلب وهو الإيمان أو فعل الجوارح وهو الصلاة والزكاة[٥].

قوله تعالى: "والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون"[٦].

---

[١]- هذا في الأصل بهامش الكتاب وكذلك في بداية كل سورة ما جاء من كلام المؤلف وقع في الهامش وأدرجناه في أصل الكتاب.

[٢]- البقرة الآية: ٢/١.

[٣]- التفسير الكبير ٢٢/٢.

[٤]- البقرة الآية:٣.

[٥]- التفسير الكبير ٢٣/٢.

[٦]- البقرة: الآية:٤.

اعلم أن قوله: الذين يؤمنون بالغيب عام يتناول كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم سواء كان قبل ذلك مؤمناً بموسى وعيسى عليهما السلام أو ما كان مؤمناً بهما، ودلالة اللفظ العام على بعض ما دخل فيه التخصيص أضعف من دلالة اللفظ الخاص على ذلك البعض لأن العام يحتمل التخصيص والخاص لا يحتمله.

فلما كانت هذه السورة مدنية وقد شرف الله تعالى المسلمين بقوله "هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" فذكر بعد ذلك أهل الكتاب الذين آمنوا بالرسول كعبد الله بن سلام وأمثاله بقوله "والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك" لأنه في هذا التخصيص بالذكر مزيد تشريف لهم كما في قوله تعالى "من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال".

ثم تخصيص عبد الله بن سلام وأمثاله بهذا التشريف ترغيب لأمثاله في الدين فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذلك العام[١].

قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون"[٢].

في كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه ثلاثة:

أحدها: أن ينوي الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب وذلك لأنه لما قيل هدى للمتقين فخص المتقين بأن الكتاب هدى لهم كان لسائل أن يسأل فيقول ما السبب في اختصاص المتقين بذلك فوقع قوله: الذين يؤمنون بالغيب إلى قوله: وأولئك هم المفلحون جواباً عن السوال كأنه قيل الذي يكون مشتغلاً بالإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والفوز بالفلاح والنجاة لا بد وأن يكون على هدى من ربه.

وثانيها: أن لا ينوي الابتداء به بل يجعله تابعاً للمتقين ثم يقع الابتداء من قوله أولئك على هدى من ربهم كانه قيل أي سبب في أن صار الموصوفون بهذه الصفات مختصين بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلاً وبالفلاح آجلاً.

---

[١]- التفسير الكبير ٢/٣٠/٣١.

[٢]- البقرة: الآية:٥.

وثالثها: أن يجعل الموصول الأول صفة المتقين ويرفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره ويكون المراد جعل اختصاصهم بالفلاح والهدى تعريضاً بأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله تعالى[١].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون"[٢].

كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل[٣].

قوله تعالى: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم"[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية أنهم لا يؤمنون أخبر في هذه الآية بالسبب الذي لأجله لم يؤمنوا وهو الختم[٥].

قوله تعالى: "ومن الناس من يقول" الآية[٦].

اعلم أن المفسرين أجمعوا على أن ذلك في وصف المنافقين، قالوا وصف الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدء المؤمنين المخلصين الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم ثم اتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الإقامة على الجحود والعناد ثم وصف حال من يقول بلسانه إنه مؤمن وضميره يخالف ذلك[٧].

قوله تعالى: "يخادعون الله" الخ[٨].

---

[١]- التفسير الكبير ٢/٣٣.

[٢]- البقرة: الآية:٦.

[٣]- تفسير أبي سعود ١/٣٥.

[٤]- البقرة: الآية:٧.

[٥]- التفسير الكبير ٢/٤٨.

[٦]- البقرة:٨.

[٧]. التفسير الكبير ٢/٥٨.

[٨]- البقرة:٩.

اعلم أن الله تعالى ذكر من قبائح أفعال المنافقين أربعة أشياء، أحدها ما ذكره في هذه الآية وهو أنهم يخادعون الله والذين آمنوا[١].

قوله تعالى: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض"[٢].

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال المنافقين[٣].

قوله تعالى: "وإذا قيل لهم آمنوا" الخ[٤].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من قبائح أفعال المنافقين وذلك لأنه سبحانه لما نهاهم في الآية المتقدمة عن الفساد في الأرض أمرهم في هذه الآية بالإيمان لأن كمال حال الإنسان لا يحصل إلا بمجموع الأمرين أولهما ترك ما لا ينبغي وهو قوله: لا تفسدوا وثانيهما فعل ما ينبغي وهو قوله: آمنوا[٥].

قوله تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا" الآية[٦].

هذا هو النوع الرابع من أفعالهم القبيحة[٧].

قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة" الآية[٨].

الجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال جهالتهم فيما حكى عنهم من الأقوال والأفعال بإظهار غاية سماجتها وتصويرها ما لا يكاد يتعاطاه من له أدنى تمييز فضلاً عن العقلاء[٩].

---

[١]- التفسير الكبير٢/٦٤.

[٢]- البقرة:١١.

[٣]- التفسير الكبير٢/٦٦.

[٤]- البقرة:١٣.

[٥]- التفسير الكبير٢/٦٧.

[٦]- البقرة:١٤.

[٧]- التفسير الكبير٢/٦٨.

[٨]- البقرة:١٦.

[٩]- تفسير أبي السعود١/٤٨.

قوله تعالى: "مثلهم كمثل الذي استوقد" الآية[١].

لما بين حقيقة صفات المنافقين عقبهما بضرب مثلين زيادة في الكشف والبيان أحدهما هذا المثل[٢].

قوله تعالى: "أو كصيب من السماء" الخ[٣].

اعلم أن هذا هو المثل الثاني للمنافقين[٤].

قوله تعالى: "يا أيها الناس اعبدوا" الخ[٥].

إن الله تعالى لما قدم أحكام الفرق الثلاثة اعني المؤمنين والكفار والمنافقين اقبل عليهم بالخطاب من باب الالتفات[٦].

قوله تعالى: "وإن كنتم في ريب" الخ[٧].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع وأبطل القول بالشريك عقبه بما يدل على النبوة ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مبنية على كون القرآن معجزاً أقام الدلالة على كونه معجزاً[٨].

قوله تعالى: "وبشر الذين آمنوا" الخ[٩].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة تكلم بعدهما في المعاد وبين عقاب الكافر وثواب المطيع ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذكر آية في المواعيد أن

---

[١]- البقرة:١٧.

[٢]- التفسير الكبير٢/٧٣.

[٣]- البقرة:١٩.

[٤]- التفسير الكبير٢/٧٧.

[٥]- البقرة:٢٠.

[٦]- التفسير الكبير٢/٨٢.

[٧]- البقرة:٢١.

[٨]- التفسير الكبير٢/١١٥.

[٩]- البقرة:٢٥.

يعقبها بآية في الوعد[١].

قوله تعالى: "إن الله لا يستحيي" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزاً ذكر ههنا شبهة أوردها الكفار قدحاً في ذلك وأجاب عنها وتقرير الشبهة أنه جاء في القرآن ذكر النحل والذباب والعنكبوت والنمل وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فضلاً عن كونه معجزاً فأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملاً على حكم بالغة[٣].

قوله تعالى: "كيف تكفرون بالله" الخ[٤].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد إلى هذا الموضع فمن هذا الموضع إلى قوله: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين وهي أربعة أولها نعمة الإحياء وهي المذكورة في هذه الآية[٥].

قوله تعالى: "هو الذي خلق لكم" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو النعمة الثانية التي عمت المكلفين بأسرهم وما أحسن ما راعى الله سبحانه وتعالى هذا الترتيب فإن الانتفاع بالأرض والسماء إنما يكون بعد حصول الحياة فلهذا ذكر الله أمر الحياة أولا ثم اتبعه بذكر السماء والأرض[٧].

قوله تعالى: "وإذ قال ربك الخ"[٨].

---

[١]- التفسير الكبير ١٢٢/٢.

[٢]- البقرة:٢٦.

[٣]- التفسير الكبير ١٣١/٢ و١٣٢.

[٤]- البقرة:٢٨.

[٥]- التفسير الكبير ١٤٩/٢.

[٦]- البقرة:٣٠.

[٧] – التفسير الكبير ٢/.

[٨] – البقرة: ٣١.

اعلم أن هذه الآية دالة على كيفية خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم الله تعالى إياه فيكون ذلك إنعاماً عاماً على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك النعم العامة التي أوردها في هذا الموضع[١].

قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء" الخ[٢].

اعلم أن الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلقة آدم عليه السلام وذريته وإسكانه تعالى إياهم في الأرض وأخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الإجمال بقوله "إني أعلم ما لا تعلمون" أراد تعالى أن يزيدهم بياناً وأن يفصل لهم ذلك المجمل فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن ذلك معلوما لهم وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم عليه ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي[٣].

قوله تعالى: "قالوا سبحانك" الخ[٤].

استيناف واقع موقع الجواب كأنه قيل: فماذا قالوا حينئذ هل خرجوا من عهدة ما كلفوه أولاً؟ فقيل قالوا[٥].

قوله تعالى: "وإذ قلنا للملائكة اسجدوا" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو النعمة الرابعة من النعم العامة على جميع البشر وهو أنه سبحانه وتعالى جعل أبانا (آدم) مسجوداً للملائكة وذلك لأنه تعالى ذكر تخصيص آدم بالخلافة أولاً ثم تخصيصه بالعلم الكثير ثانياً ثم بلوغه في العلم إلى أن صارت الملائكة عاجزين عن بلوغ درجته في العلم وذكر الآن كونه مسجوداً للملائكة[٧].

---

[١]- التفسير الكبير ٢/١٥٩.

[٢]- البقرة:٣١.

[٣]- التفسير الكبير ٢/١٧٥.

[٤]- البقرة:٣٢.

[٥]- تفسير أبي السعود ١/٨٥.

[٦]- البقرة:٣٤.

[٧]- التفسير الكبير ٢/٢١٢.

قوله تعالى: "وقلنا يا آدم اسكن" الخ[١].

إن الله تعالى لما أمر الكل بالسجود لآدم وأبى إبليس السجود صيره الله ملعوناً ثم أمر آدم بأن يسكن الجنة مع زوجته[٢].

قوله تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي" الخ[٣].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولاً ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود كسراً لعنادهم ولجاجهم بتذكير النعم السالفة واستمالة لقلوبهم بسببها وتنبيها على ما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث كونها إخباراً عن الغيب.

واعلم أنه سبحانه ذكر تلك النعم أولاً على سبيل الإجمال فقال: "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم" وفرع على ذكرها الأمر بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال: "وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم" ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الإيمان به ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الإجمال ثانياً بقوله مرة أخرى "يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم" تنبيهاً على شدة غفلتهم ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله "وأني فضلتكم على العالمين" مقروناً بالترهيب البالغ بقوله: "واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً إلى آخر الآية" ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع[٤].

قوله تعالى: "وآمنوا بما أنزلت" الخ[٥].

اعلم أن قوله سبحانه وتعالى: "وآمنوا بما أنزلت" أمر بترك الكفر والضلال

---

[١]- البقرة:٣٥.

[٢]- التفسير الكبير٢/٣.

[٣]- البقرة:٤٠.

[٤]- التفسير الكبير٢٩/٣.

[٥]- البقرة:٤١.

وقوله: "ولا تلبسوا الحق بالباطل" أمر بترك الإغواء والإضلال.

واعلم أن إضلال الغير لا يحصل إلا بطريقين وذلك لأن الغيران كان قد سمع دلائل الحق فإضلاله لا يمكن إلا بتشويش تلك الدلائل عليه وإن كان ما سمعها فإضلاله إنما يمكن بإخفاء تلك الدلائل عنه ومنعه من الوصول إليها فقوله: "ولا تلبسوا الحق بالباطل" إشارة إلى القسم الأول وهو تشويش الدلائل عليه وقوله: "وتكتموا الحق" إشارة إلى القسم الثاني وهو منعه من الوصول إلى الدلائل[١].

قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة" الخ[٢].

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم بالإيمان أولاً ثم نهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان دلائل النبوة ثانياً ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع، وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية[٣].

قوله تعالى: "أتأمرون الناس" الخ[٤].

تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعض بعد توجيهه إلى الكل.

هذا الربط لهذه الآية من أبي السعود[٥].

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع بناء على ما خصهم به من النعم رغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر وهو أن التغافل عن أعمال البرمع حث الناس عليها مستقبح في العقول إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو أن ينصح غيره ويهمل نفسه فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم بهذا الكلام[٦].

---

[١]- التفسير الكبير٣/٤٣.

[٢]- البقرة:٤٣.

[٣] – التفسير الكبير٣/٤٣ و٤٤.

[٤] – البقرة:٤٤.

[٥] – أبو سعود٢/٩٧.

[٦] – التفسير الكبير٣/٤٦.

قوله تعالى: "واستعينوا بالصبر" الخ[١].

لما أمرهم بالإيمان وبترك الإضلال وبالتزام الشرائع وهي الصلاة والزكاة وكان ذلك شاقاً عليهم لما فيه من ترك الرياسات والإعراض عن المال والجاه لا جرم عالج الله تعالى هذا المرض فقال "واستعينوا بالصبر والصلاة" كأنه قيل واستعينوا على ترك ما تحبون من الدنيا والدخول فيما تستثقله طباعكم من قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم بالصبر أي بحبس النفس عن الملذات فإنكم إذا كلفتم أنفسكم ذلك مرنت عليه وخف عليها ثم إذا ضممتم الصلاة إلى ذلك تم الأمر لأن المشتغل بالصلاة لا بد وأن يكون مشتغلاً بذكر الله عزوجل وذكر جلاله وقهره وذكر رحمته وفضله فإذا تذكر رحمته صار مائلاً إلى طاعته وإذا تذكر عقابه ترك معصيته فيسهل عند ذلك اشتغاله بالطاعة وتركه للمعصية[٢].

قوله تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا" الخ[٣].

اعلم أنه سبحانه وتعالى إنما أعاد هذا الكلام مرة أخرى توكيداً للحجة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ثم قرنه بالوعيد وهو قوله: "واتقوا يوماً" كأنه قال: إن لم تطيعوني لأجل سوالف نعمتي عليكم فأطيعوني للخوف من عقابي في المستقبل[٤].

قوله تعالى: "وإذ نجيناكم" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر نعمه على بني إسرائيل إجمالاً بين بعد ذلك أقسام تلك النعم على سبيل التفصيل ليكون أبلغ في التذكير وأعظم في الحجة فكأنه قال اذكروا نعمتي واذكروا إذ نجينكم واذكروا إذ فرقنا بكم البحر وهي إنعامات والمذكور

---

[١] – البقرة:٤٥.

[٢] – التفسير الكبير٣/٤٩ و٤٩.

[٣] – البقرة: ٤٧.

[٤] – التفسير الكبير٣/٥٢.

[٥] – البقرة:٤٩.

في هذه الآية هو الإنعام الأول[١].

قوله تعالى: "وإذ فرقنا بكم البحر" الخ[٢].

هذا هو النعمة الثانية[٣].

قوله تعالى: "وإذ واعدنا" الخ[٤].

هذا هو الإنعام الثالث[٥].

قوله تعالى: وإذ آتينا" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو الإنعام الرابع[٧].

قوله تعالى: "وإذ قال موسى" الخ[٨].

اعلم أن هذا هو الإنعام الخامس[٩].

قوله تعالى: "وإذ قلتم يموسى" الخ[١٠].

اعلم أن هذا هو الإنعام السادس[١١].

قوله تعالى: "وظللنا" الخ[١٢].

اعلم أن هذا هو الإنعام السابع[١٣].

---

[١] – التفسير الكبير٣/٦٦ و٦٧.

[٢] – البقرة:٥٠.

[٣] – التفسير الكبير٣/٧٠.

[٤] – البقرة:٤٤.

[٥] – التفسير الكبير٣/٧٣.

[٦] – البقرة: ٥٣.

[٧] – التفسير الكبير٣/٧٧.

[٨] – البقرة:٥٤.

[٩] – التفسير الكبير٣/٧٩.

[١٠] – البقرة:٥٥.

[١١] – التفسير الكبير٣/٨٣.

[١٢] – البقرة:٥٧.

[١٣] – التفسير الكبير٣/٨٧.

قوله تعالى: "وإذ قلنا ادخلوا" الخ[١].

اعلم أن هذا هو الإنعام الثامن[٢].

قوله تعالى: "وإذ استسقى" الخ[٣].

اعلم أن هذا هو الإنعام التاسع[٤].

قوله تعالى: "وإذ قلتم يموسى لن نصبر" الخ[٥].

تذكير لجناية أخرى لأسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عزوجل وإخلادهم إلى ما كانوا فيه من الدنائة والخساسة (ربط هذه الآية من أبي السعود)[٦].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٧].

واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعداً أو وعيداً أعقبه بما يضاده ليكون الكلام تاماً فههنا لما ذكر حكم الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم والثواب دالاً على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته[٨].

قوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاقكم" الخ[٩].

اعلم أن هذا هو الإنعام العاشر وذلك لأنه تعالى إنما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم فصار ذلك من إنعامه عليهم[١٠].

---

[١] – البقرة:٥٨.

[٢] – التفسير الكبير٣/٨٨.

[٣] – البقرة:٦٠.

[٤] – التفسير الكبير٣/٩٤.

[٥] – البقرة:٦١.

[٦] – أبو سعود١/١٠٦.

[٧] – البقرة:٦٢.

[٨] – التفسير الكبير٣/١٠٤.

[٩] – البقرة:٦٣.

[١٠] – التفسير الكبير٣/١٠٦.

قوله تعالى: "ولقد علمتم الذين" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما عدد وجوه إنعامه عليهم أولاً ختم ذلك بشرح بعض ما وجه إليهم من التشديدات وهذا هو النوع الأول[٢].

قوله تعالى: "وإذ قال موسى لقومه" الخ[٣].

اعلم أنه هذا هو النوع الثاني من التشديدات[٤].

قوله تعالى: "أفتطمعون" الخ[٥].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر قبائح أفعال أسلاف اليهود إلى ههنا شرع من ههنا قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم[٦].

قوله تعالى: "وإذا لقوا الذين آمنوا" الخ[٧].

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من قبائح أفعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم[٨].

قوله تعالى: "ومنهم أميون" الخ[٩].

اعلم أن المراد بقوله ومنهم أميون اليهود لأنه تعالى لما وصفهم بالعناد وأزال الطمع عن إيمانهم بين فرقهم فالفرقة الأولى هي الفرقة الضالة المضلة وهم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه والفرقة الثانية المنافقون والفرقة الثالثة الذين يجادلون المنافقين والفرقة الرابعة هم المذكورون في هذه الآية وهم العامة الأميون

---

[١] – البقرة:٦٥.

[٢] – التفسير الكبير٣/١٠٩.

[٣] – البقرة:٦٧.

[٤] – التفسير الكبير٣/١١٤.

[٥] – البقرة:٧٥.

[٦] – التفسير الكبير٣/١٣٢.

[٧] – البقرة:٧٦.

[٨] – التفسير الكبير٣/١٣٦.

[٩] – البقرة:٧٨.

الذين لا معرفة عندهم بقراءة ولا كتابة وطريقتهم التقليد وقبول ما يقال لهم فبين تعالى إن الذين يمتنعون عن قبول الإيمان ليس سبب ذلك الامتناع واحداً بل لكل قسم منهم سبب آخر[١].

قوله تعالى: "قالوا لن تمسنا النار" الخ[٢].

اعلم أن هذا النوع الثالث من قبائح أقوالهم وأفعالهم وهو جزمهم بأن الله تعالى لا يعذبهم إلا أياماً قليلة[٣].

قوله تعالى: "بلى من كسب" الخ[٤].

جواب عن قولهم المحكي وإبطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد إظهار كذبهم إجمالاً (ربط هذه الآية من أبي السعود)[٥].

قوله تعالى: "والذين آمنوا"[٦].

اعلم أنه سبحانه وتعالى ما ذكر في القرآن آية في الوعيد إلا وذكر بجنبها آية في الوعد[٧].

قوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل" الخ[٨].

اعلم أن هذا نوع آخر من أنواع النعم التي خصهم الله تعالى بها وذلك لأن التكليف بهذه الأشياء موصل إلى أعظم النعم وهو الجنة والموصل إلى النعمة نعمة

---

[١] – التفسير الكبير٣/١٣٨.

[٢] – البقرة:٨٠.

[٣] – التفسير الكبير٣/١٤١.

[٤] – البقرة:٨١.

[٥] – أبو سعود١/١٢١.

[٦] – البقرة:٨٢.

[٧] – التفسير الكبير٣/١٦٢.

[٨] – البقرة:٨٣.

فهذا التكليف لا محالة من النعم[١].

قوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاقكم" الخ[٢].

اعلم أن هذه الآية تدل على نوع آخر من نعم الله تعالى عليهم وهو أنه تعالى كلفهم هذا التكليف وأنهم أقروا بصحته ثم خالفوا العهد فيه[٣].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى الكتاب" الخ[٤].

اعلم أن هذا نوع آخر من النعم التي أفاضها الله عليهم ثم أنهم قابلوه بالكفر والأفعال القبيحة[٥].

قوله تعالى: "ولما جاءهم كتاب من عند الله" الخ[٦].

اعلم أن هذا نوع من قبائح أفعال اليهود[٧].

قوله تعالى: "وإذا قيل لهم" الخ[٨].

اعلم أن هذا النوع أيضاً من قبائح أفعالهم[٩].

قوله تعالى: "ولقد جاءكم موسى" الخ[١٠].

من تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الأمر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل[١١].

---

[١] – التفسير الكبير٣/١٦٤.

[٢] – البقرة:٨٤.

[٣] – التفسير الكبير٣/١٧٠.

[٤] – البقرة:٨٧.

[٥] – التفسير الكبير٣/١٧٥.

[٦] – البقرة:٨٩.

[٧] – التفسير الكبير٣/١٨٠.

[٨] – البقرة:٩١.

[٩] – التفسير الكبير٣/١٨٠.

[١٠] – البقرة:٩٢.

[١١] – أبو سعود١/١٣٠.

قوله تعالى: "وإذ أخذنا ميثاقكم" الخ[١].

توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الإيمان بما أنزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم[٢].

قوله تعالى: "قل إن كانت لكم الدار الآخرة" الخ[٣].

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائحهم وادعائهم أن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس[٤].

قوله تعالى: "ولتجدنهم أحرص الناس" الخ[٥].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أخبر عنهم في الآية المتقدمة أنهم لا يتمنون الموت أخبر في هذه الآية أنهم في غاية الحرص على الحياة[٦].

قوله تعالى: "قل من كان عدواً لجبريل" الخ[٧].

اعلم أن هذا النوع أيضاً من أنواع قبائح اليهود ومنكرات أقوالهم وأفعالهم[٨].

قوله تعالى: "ولقد أنزلنا إليك" الخ[٩].

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائحهم وفضائحهم[١٠].

قوله تعالى: "أو كلما عهدوا" الخ[١١].

---

[١] – البقرة:٩٣.

[٢] – أبو سعود١/١٣١.

[٣] – البقرة:٩٤.

[٤] – التفسير الكبير٤/١٨٨.

[٥] – البقرة:٩٦.

[٦] – التفسير الكبير٣/١٩٢.

[٧] – البقرة:٩٧.

[٨] – التفسير الكبير٣/١٩٤.

[٩] – البقرة:٩٩.

[١٠] – التفسير الكبير٣/١٩٩.

[١١] – البقرة:١٠٠.

اعلم أنه هذا نوع آخر من قبائحهم[١].

قوله تعالى: "واتبعوا ما تتلوا" الخ[٢].

اعلم أن هذا نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو اشتغالهم بالسحر وإقبالهم عليه ودعائهم الناس إليه[٣].

قوله تعالى: "ولو أنهم آمنوا" الخ[٤].

إنه تعالى لما بين فيهم الوعيد بقوله: "ولبئسما شروا به" اتبعه بالوعد جامعاً بين الترهيب والترغيب لأن الجمع بينهما ادعى إلى الطاعة والعدول عن المعصية[٥].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا" الخ[٦].

اعلم أن الله تعالى لمّا شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام أراد من ههنا أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه وهذا هو النوع الأول من هذا الباب[٧].

قوله تعالى: "ما يود الذين كفروا" الخ[٨].

واعلم أنه تعالى لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة حذر المؤمنين منهم فقال: ما يود الذين كفروا فنفي عن قلوبهم الود والمحبة لكل ما يظهر به فضل المؤمنين[٩].

---

[١]- التفسير الكبير٣/٢٠٠.

[٢] – البقرة:١٠٢.

[٣] – التفسير الكبير٣/٢٠٣.

[٤] – البقرة:١٠٣.

[٥] – التفسير الكبير٣/٢٢٢.

[٦] – البقرة:١٠٤.

[٧] – التفسير الكبير٣/٢٢٣.

[٨] – البقرة:١٠٥.

[٩] – التفسير الكبير٣/٢٢٥.

قوله تعالى: "ما ننسخ من آية" الخ[١].

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من طعن اليهود في الإسلام فقالوا ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً وغداً يرجع عنه فنزلت هذه الآية[٢].

قوله تعالى: "ألم تعلم أن الله له ملك" الخ[٣].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بجواز النسخ عقبه ببيان أن ملك السموات والأرض له لا لغيره وهذا هو التنبيه على أنه سبحانه وتعالى إنما حسن منه الأمر والنهي لكونه مالكاً للخلق[٤].

قوله تعالى: "أم تريدون أن تسألوا" الخ[٥].

لما حكم بجواز النسخ في الشرائع فلعلهم كانوا يطالبونهم بتفاصيل ذلك الحكم فمنعهم الله تعالى عنها وبين أنهم ليس لهم أن يشتغلوا بهذه الأسئلة كما أنه ما كان لقوم موسى أن يذكروا أسئلتهم الفاسدة[٦].

قوله تعالى: "ود كثير من أهل الكتاب" الخ[٧].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من كيد اليهود مع المسلمين[٨].

قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة" الخ[٩].

اعلم أنه الله تعالى أمر بالعفو والصفح عن اليهود ثم عقبه بقوله تعالى: أقيموا

---

[١] – البقرة:١٠٦.

[٢] – التفسير الكبير٣/٢٢٦.

[٣] – البقرة:١٠٧.

[٤] – التفسير الكبير٣/٢٣٤.

[٥] – البقرة: ١٠٨.

[٦] – التفسير الكبير٣/٢٣٦.

[٧] – البقرة:١٠٩.

[٨] – التفسير الكبير٣/٢٣٦.

[٩] – البقرة:١١٠.

الصلاة وآتوا الزكاة تنبيهاً على أنه كما ألزمهم لحظ الغير وصلاحه العفو والصفح فكذلك ألزمهم لحظ أنفسهم وصلاحها القيام بالصلاة والزكاة الواجبتين ونبه بهما على ما عداهما من الواجبات[١].

قوله تعالى: "وقالوا لن يدخل" الخ[٢].

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من تخليط اليهود وإلقاء الشبه في قلوب المسلمين[٣].

قوله تعالى: "وقالت اليهود" الخ[٤].

بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه إثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم (ربط هذه الآية من أبي السعود)[٥].

قوله تعالى: "ومن أظلم ممن منع" الخ[٦].

في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه فأما من حملها على النصارى وخراب بيت المقدس قال: تتصل بما قبلها من حيث أن النصارى ادعوا أنهم من أهل الجنة فقط فقيل لهم: كيف تكونون كذلك مع أن معاملتكم في تخريب المساجد والسعي في خرابها هكذا وأما من حمله على المسجد الحرام وسائر المساجد قال جري ذكر مشركي العرب في قوله تعالى: "كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم" وقيل جري ذكر جميع الكفار وذمهم فمرة وجه الذم إلى اليهود والنصارى ومرة إلى المشركين[٧].

قوله تعالى: "ولله المشرق والمغرب" الخ[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ٢/٣.

[٢] – البقرة:١١١.

[٣] – التفسير الكبير ٢/٤.

[٤] – البقرة:١١٣.

[٥] – أبو سعود ١٤٨/١.

[٦] – البقرة:١١٤.

[٧] – التفسير الكبير ١٠/٤.

[٨] – البقرة:١١٥.

فإن منعتم من إقامة العبادة في المسجد الأقصى أو المسجد الحرام فأينما تولوا أي ففي أي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله أي هناك جهته التي أمر بها (ربط هذه الآية من أبي السعود)[١].

قوله تعالى: "وقالوا اتخذ الله ولداً" الخ[٢].

اعلم أن هذا هو النوع العاشر من مقابح أفعال اليهود والنصارى والمشركين[٣].

قوله تعالى: "وقال الذين لا يعلمون" الخ[٤].

اعلم أن هذا هو النوع الحادي عشر من قبائح اليهود والنصارى والمشركين[٥].

قوله تعالى: "إنا أرسلناك بالحق" الخ[٦].

اعلم أن القوم لما أصروا على العناد واللحاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أنه لا مزيد على ما فعله في مصالح دينهم من إظهار الأدلة وكما بين ذلك بين أنه لا مزيد على ما فعله الرسول في باب الإبلاغ والتنبيه لكيلا يكثر غمه بسبب إصرارهم على كفرهم[٧].

قوله تعالى: "ولن ترضى عنك" الخ[٨].

بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة إثر بيان ما يعمهما والمشركين من الإصرار على ما هم عليه إلى الموت وفيه من المبالغة في إقناطه صلى الله عليه

---

[١] – أبو سعود ١/١٥٠.

[٢] – البقرة:١١٦.

[٣] – التفسير الكبير ٤/٢٣.

[٤] – البقرة:١١٨.

[٥] – التفسير الكبير ٤/٢٨.

[٦] – البقرة: ١١٩.

[٧] – التفسير الكبير ٤/٣٠.

[٨] – البقرة:١٢٠.

وسلم من إسلامهم ما لا غاية وراءه (ربط هذه الآية من أبي السعود)[١].

قوله تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب" الخ[٢].

لما ذم طريقتهم وحكى عنهم سوء أفعالهم اتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم بل تأمل التوراة وترك تحريفها وعرف منها صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

قوله تعالى: "يا بني إسرائيل اذكروا" الخ[٤].

وتخصيصهم بتكرير التذكير وإعادة التحذير للمبالغة في النصح والإيذان بأن ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما أن نعم الله عزوجل عليهم أعظم وكفرهم بها أشد وأقبح (ربطها من أبي السعود)[٥].

قوله تعالى: "وإذ ابتلى إبراهيم" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصي في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا الفصل بما بدء به وهو قوله: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي إلى قوله: ولا هم ينصرون شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكيفية أحواله.

والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل فالمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده فحكي الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام اموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه

---

[١] – أبو سعود١/١٥٢.

[٢] – البقرة:١٢١.

[٣] – التفسير الكبير٤/٣٢.

[٤] – البقرة: ١٢٢.

[٥] – أبوسعود١/١٥٤.

[٦] – البقرة:١٢٤.

والانقياد لشرعه[١].

وفي أبي السعود: شروع في تحقيق أن هدي الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والإسلام الذي هو ملة إبراهيم عليه السلام وإن ما عليه أهل الكتابين أهواء زائغة وأن ما يدعونه من أنهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن إبراهيم وأبنائه الأنبياء عليهم السلام من الأقاويل والأفاعيل الناطقة بحقيقة التوحيد والإسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام بقولهما: ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم الآية[٢].

قوله تعالى: "وإذ جعلنا البيت مثابة" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى بين كيفية حال إبراهيم عليه السلام حين كلفه بالإمامة وهذا شرح التكليف الثاني وهو التكليف بتطهير البيت[٤].

قوله تعالى: "وإذ قال إبراهيم رب اجعل" الخ[٥].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من أحوال إبراهيم عليه السلام التي حكاها الله تعالى ههنا[٦].

قوله تعالى: "وإذ يرفع إبراهيم" الخ[٧].

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من الأمور التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وهو أنهما عند بناء البيت ذكرا ثلاثة من الدعاء[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ٤/٣٣.

[٢] – أبو سعود ١/١٥٤.

[٣] – البقرة:١٢٥.

[٤] – التفسير الكبير ٤/٤٥.

[٥] – البقرة: ١٢٦.

[٦] – التفسير الكبير ٤/٥٣.

[٧] – البقرة:١٢٧.

[٨] – التفسير الكبير ٤/٥٧.

قوله تعالى: "ومن يرغب" الخ[١].

إنكار واستبعاد لأن يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح (ربطها من أبي السعود)[٢].

قوله تعالى: "إذ قال له ربه" الخ[٣].

اعلم أن هذا هو النوع الخامس من الأمور التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام[٤].

قوله تعالى: ووصى بها إبراهيم" الخ[٥].

اعلم أن هو النوع السادس من الأمور المستحسنة التي حكاها الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام[٦].

قوله تعالى: "أم كنتم شهداء" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن إبراهيم عليه السلام أنه بالغ في وصية بنيه في الدين والإسلام ذكر عقيبه أن يعقوب وصى بنيه بمثل ذلك تأكيداً للحجة على اليهود والنصارى ومبالغة في البيان[٨].

قوله تعالى: "وقالوا كونوا هوداً" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما بين بالدلائل التي تقدمت صحة دين الإسلام حكى بعدها أنواعاً من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام، الشبهة الأولى حكى عنهم أنهم قالوا:

---

[١] – البقرة:١٣٠.

[٢] – أبو سعود١/١٦٢.

[٣] – البقرة:١٣١.

[٤] – التفسير الكبير٤/٧١.

[٥] – البقرة:١٣٢.

[٦] – التفسير الكبير٤/٧٢.

[٧] – البقرة:١٣٣.

[٨] – التفسير الكبير٤/٧٤.

[٩] – البقرة: ١٣٥.

"كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا"[١].

وفي أبي السعود: شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو إضلالهم لغيرهم إثر بيان ضلالهم في أنفسهم[٢].

قوله تعالى: "قولوا آمنا" الخ[٣].

لما أجاب بالجواب الجدلى أولاً ذكر بعده جواباً برهانياً في هذه الآية وهو أن الطريق إلى معرفة نبوة الأنبياء عليهم السلام ظهور المعجز عليهم ولما ظهر المعجز على يد محمد صلى الله عليه وسلم وجب الاعتراف بنبوته والإيمان برسالته[٤].

وفي أبي السعود: خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الإجمال وإرشادهم إلى طريق التوحيد والإيمان على ضرب من التفصيل أي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقاً وإرشاداً ضمنياً لهم إليه[٥].

قوله تعالى: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين الطريق الواضح في الدين وهو أن يعترف الإنسان بنبوة من قامت الدلالة على نبوته وأن يحترز في ذلك عن المنافقية رغبهم في مثل هذا الإيمان فقال: "فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا"[٧].

قوله تعالى: "صبغة الله" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الجواب الثاني وهو أن ذكر ما يدل على صحة هذا

---

[١] – التفسير الكبير ٤/٨٠.

[٢] – أبو سعود ٢/١٦٥.

[٣] – البقرة:١٣٦.

[٤] – التفسير الكبير ٤/٨٢.

[٥] – أبو سعود ١/١٦٦.

[٦] – البقرة:١٣٧.

[٧] – التفسير الكبير ٤/٨٣.

[٨] – البقرة:١٣٨.

الدين ذكر بعده ما يدل على أن دلائل هذا الدين واضحة جلية فقال: "صبغة الله"[١].

قوله تعالى: "قل أتحاجوننا" الخ[٢].

في أبي السعود: تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الأمر الوارد بالخطاب العام لما أن المأمور به من الوظائف الخاصة به عليه الصلاة والسلام[٣].

قوله تعالى: "أم تقولون إن إبراهيم" الخ[٤].

في أبي السعود: إما معادلة للهمزة في قوله تعالى: "أتحاجوننا" داخلة في حيز الأمر على معنى أي الأمرين تأتون إقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما أنتم عليه والحال ما ذكر أم التشبث بذيل التقليد والافتراء على الأنبياء وتقولون: "إن إبراهيم" الخ وإما منقطعة مقدرة والهمزة دالة على الإضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة إلى التوبيخ على الافتراء على الأنبياء عليهم السلام[٥].

قوله تعالى: "تلك أمة قد خلت" الخ[٦].

في أبي السعود: تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والإتكال على أعمالهم، وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيراً عن اقتدائهم وقيل المراد بالأمة الأولى الأنبياء عليهم السلام وبالثانية أسلاف اليهود[٧].

قوله تعالى: "سيقول السفهاء" الخ[٨].

اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية من الشبه التي ذكرها اليهود والنصارى طعناً

---

[١] – التفسير الكبير ٤/٨٦.

[٢] – البقرة: ١٣٩.

[٣] – أبو سعود ١/١٦٨.

[٤] – البقرة: ١٤٠.

[٥] – أبو سعود ١/١٦٩.

[٦] – البقرة: ١٤١.

[٧] – أبو سعود ١/١٧٠.

[٨] – البقرة: ١٤٢.

في الإسلام[١].

قوله تعالى: "وكذلك جعلناكم" الخ[٢].

في أبي السعود: توجيه للخطاب إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتائيد ما في مضمون الكلام من التشريف[٣].

قوله تعالى: "وما جعلنا القبلة" الخ[٤].

في أبي السعود: جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزاً إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقة بأن يخص معرفته به عليه السلام[٥].

قوله تعالى: "ولئن أتيت الذين" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذه القبلة حق، بين بعد ذلك أن صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة[٧].

قوله تعالى: "الذين آتيناهم الكتاب" الخ[٨].

إنه تعالى في الآية المتقدمة لما حذر أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن اتباع اليهود والنصارى بقوله: "ولئن اتبعت" أخبر المؤمنين بحاله عليه السلام في هذه الآية فقال: اعلموا يا معاشر المؤمنين أن علماء أهل الكتاب يعرفون محمداً وما جاء به وصدقه ودعوته وقبلته لا يشكون فيه كما لا يشكون في أبنائهم[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٤/٩٠.

[٢] – البقرة:١٤٣.

[٣] – أبو سعود ١/١٧١ و١٧٢.

[٤] – البقرة: ١٤٣.

[٥] – أبو سعود ١/١٧٣.

[٦] – البقرة: ١٤٥.

[٧] – التفسير الكبير ٤/١٢٤.

[٨] – البقرة: ١٤٦.

[٩] – التفسير الكبير ٤/١٢٨ و١٢٩.

قوله تعالى: "ولكل وجهة" الخ[١].

والمراد منه أن للشرائع مصالح فلا جرم اختلفت الشرائع بحسب اختلاف الأشخاص وكما اختلفت بحسب اختلاف الأشخاص لم يبعد أيضاً اختلافها بحسب اختلاف الزمان بالنسبة إلى شخص واحد فلهذا صح القول بالنسخ والتغيير[٢].

قوله تعالى: "ومن حيث خرجت" الخ[٣].

في أبي السعود: تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الأمر في حالتي السفر والحضر، والتكرير لما أن القبلة لها شأن يؤكد والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري أن يؤكد أمرها مرة بعد أخرى مع أنه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة[٤].

قوله تعالى: "أرسلنا فيكم" الخ[٥].

في أبي السعود: متصل بما قبله أي ولأتم نعمتي عليكم في أمر القبلة أو في الآخرة إتماماً كائناً كإتمامي لها بإرسال رسول كائن منكم فإن إرسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط؛ وقيل متصل بما بعده أي كما ذكرتم بالإرسال[٦].

قوله تعالى: "فاذكروني" الخ[٧].

الفاء للدلالة على أن ترتب الأمر على ما قبله من موجباته[٨].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا استعينوا" الخ[٩].

---

[١] – البقرة:١٤٨.

[٢] – التفسير الكبير ١٣٢/٤.

[٣] – البقرة: ١٤٩.

[٤] – أبو سعود ١٧٧/١.

[٥] – البقرة: ١٥١.

[٦] – أبو سعود ١٧٨/١.

[٧] – البقرة: ١٥٢.

[٨] – أبو سعود ١٧٩/١.

[٩] – البقرة: ١٥٣.

اعلم أنه تعالى لما أوجب بقوله: فاذكروني جميع العبادات وبقوله: واشكروا لي ما يتصل بالشكر أردفه ببيان ما يعين عليهما فقال: استعينوا بالصبر والصلاة[١].

قوله تعالى: "ولا تقولوا لمن يقتل" الخ[٢].

وجه تعلق الآية بما قبلها كأنه قيل: استعينوا بالصبر والصلاة في إقامة ديني فإن احتجتم في تلك الإقامة إلى مجاهدة عدوي بأموالكم وأبدانكم ففعلتم ذلك فتلفت نفوسكم فلا تحسبوا أنكم ضيعتم أنفسكم بل اعلموا أن قتلاكم أحياء عندي[٣].

قوله تعالى: "ولنبلونكم" الخ[٤].

متعلق بقوله واستعينوا بالصبر والصلاة أي استعينوا بالصبر والصلاة فإنا نبلوكم بالخوف وبكذا[٥].

قوله تعالى: "الذين إذا أصابتهم" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قال وبشر الصابرين بين في هذه الآية أن الإنسان كيف يكون صابراً وأن تلك البشارة كيف هي[٧].

قوله تعالى: إن الصفا والمروة" الخ[٨].

إن الله تعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ما قال: ولأتم نعمتي عليكم وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ما ذكر في قصة بناء الكعبة وسعي هاجر بين الجبلين فلما كان الأمر كذلك ذكر الله تعالى هذا الحكم

---

[١] – التفسير الكبير ١٤٤/٤.

[٢] – البقرة: ١٥٤.

[٣] – التفسير الكبير ١٤٥/٤.

[٤] – البقرة: ١٥٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٤٩/٤.

[٦] – البقرة: ١٥٦.

[٧] – التفسير الكبير ١٥٤/٤.

[٨] – البقرة: ١٥٨.

عقيب تلك الآية[١].

قوله تعالى: "الذين يكتمون" الخ[٢].

قال العبد المسكين: هذه مرتبطة بقوله: "الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق" الخ بين ثمه أن منهم كاتمين للحق وبين ههنا الوعيد لهم.

قوله تعالى: إلا الذين تابوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بين عظيم الوعيد في الذين يكتمون ما أنزل الله كان يجوز أن يتوهم أن الوعيد يلحقهم على كل حال فبين تعالى أنهم إذا تابوا تغير حكمهم ودخلوا في أهل الوعد[٤].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا" الخ[٥].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسب ما يفيده الكلام[٦].

قوله تعالى: "وإلهكم إله واحد" الخ[٧].

في أبي السعود: قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلث مائة وستون صنماً فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقاً فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت: إن في خلق الخ[٨].

قال العبد المسكين: فهذا مرتبط بقصة الكعبة، كان المقصود ثمه رد زعم

---

[١] – التفسير الكبير ١٥٦/٤ و١٥٧.

[٢] – البقرة: ١٥٩.

[٣] – البقرة: ١٦٠.

[٤] – التفسير الكبير١٦٥/٤.

[٥] – البقرة: ١٦١.

[٦] – أبو سعود١٨٣/١.

[٧] – البقرة: ١٦٣.

[٨] – أبو سعود ١٨٣/١ و١٨٤.

الذين فرّطوا في أمرها بنفي صلاحية القبلة عنها وههنا رد زعم الذين أفرطوا في أمرها بإشراك من حولها مع الله تعالى فأثبت التوحيد وأبطل الشرك.

قوله تعالى: "إن في خلق السموات" الخ[١].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية ذكر ثمانية أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل بها على وجوده سبحانه أولاً وعلى توحيده وبرائته عن الأضداد والأنداد ثانياً[٢].

قوله تعالى: "ومن الناس من يتخذ" الخ[٣].

في أبي السعود: بيان لكمال ركاكة آراء المشركين إثر تقرير وحدانيته سبحانه وتعالى وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء إلى الاعتراف بها الفائضة باستحالة أن يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلاً عن المشاركة في صفة الألوهية[٤].

قوله تعالى: "إذ تبرأ الذين" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين حال من يتخذ من دونه أنداداً بقوله: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب، على طريق التهديد زاد في هذا الوعيد بقوله: إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا فبين أن الذين أفنوا عمرهم في عبادتهم واعتقدوا أنهم من أوكد أسباب نجاتهم فإنهم يتبرؤن منهم عند احتياجهم إليه[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الناس كلوا" الخ[٧].

قال المسكين: هذا إبطال لبعض أعمال المشركين مما يوجب الشرك من

---

[١] – البقرة: ١٦٤.

[٢] – التفسير الكبير ١٧٨/٤.

[٣] – البقرة: ١٦٥.

[٤] – أبو سعود ١٨٥/١.

[٥] – البقرة: ١٦٦.

[٦] – التفسير الكبير ٢١٠/٤.

[٧] – البقرة: ١٦٨.

تحريم الحلال والتقليد الباطل بعد إبطال عقائدهم.

قوله تعالى: "ومثل الذين كفروا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن الكفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر وأخلدوا إلى التقليد وقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء وقلة الاهتمام بالدين فصيرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كلوا" الخ[٣].

إن الله سبحانه وتعالى تكلم من أول السورة إلى ههنا في دلائل التوحيد والنبوة واستقصي في الرد على اليهود والنصارى ومن هنا شرع في بيان الأحكام[٤].

قوله تعالى: "إنما حرم عليكم" الخ[٥].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمرنا في الآية السالفة بتناول الحلال فصل في هذه الآية أنواع الحرام[٦].

قوله تعالى: "إن الذين يكتمون" الخ[٧].

الحكم الثاني إن الذين الخ[٨].

قال المسكين: كان المقصود سابقاً بيان المحرمات الحسية وفي هذه الآية بيان المحرم المعنوي من الرشوة ونحوها كالهدايا التي يأخذها علماء أهل الكتاب من أتباعهم على تبديل الكتاب وكتمان الحق.

---

[١] – البقرة: ١٧١.

[٢] – التفسير الكبير ٥/٧.

[٣] – البقرة: ١٧٢.

[٤] – التفسير الكبير٥/٩.

[٥] – البقرة: ١٧٣.

[٦] – التفسير الكبير ٥/١٠.

[٧] – البقرة: ١٧٤.

[٨] – التفسير الكبير٥/٢٥.

قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما وصف علماء اليهود بكتمان الحق وعظم في الوعيد عليه وصف ذلك الجرم ليعلم أن ذلك العقاب إنما عظم لهذا الجرم العظيم[٢].

قوله تعالى: "ذلك بأن الله" الخ[٣].

لما حكم على الذين يكتمون البينات بالوعيد بين أن ذلك الوعيد إنما كان لأن الله نزل الكتاب بالحق وأن هؤلاء اليهود والنصارى يخفونه فلا جرم استحقوا ذلك[٤].

قوله تعالى: "ليس البر" الخ[٥].

الحكم الثالث[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص" الخ[٧].

الحكم الرابع[٨].

قوله تعالى: "كتب عليكم إذا حضر" الخ[٩].

الحكم الخامس[١٠].

قوله تعالى: "فمن بدله" الخ[١١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أمر الوصية ووجوبها وعظم أمرها اتبعه بما يجري

---

[١] – البقرة: ١٧٥.

[٢] – التفسير الكبير ٢٨/٥.

[٣] – البقرة: ١٧٦.

[٤] – التفسير الكبير ٣٢/٥.

[٥] – البقرة: ١٧٧.

[٦] – التفسير الكبير ٣٤/٥.

[٧] – البقرة: ١٧٨.

[٨] – التفسير الكبير ٤٦/٥.

[٩] – البقرة: ١٨٠.

[١٠] – التفسير الكبير ٥٨/٥.

[١١] – البقرة: ١٨١.

مجرى الوعيد في تغييرها[١].

قوله تعالى: "فمن خاف" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما توعد من يبدل الوصية بين أن المراد بذلك التبديل أن يبدله عن الحق إلى الباطل، أما إذا غيره عن باطل إلى حق على طريق الإصلاح فقد أحسن[٣].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام" الخ[٤].

الحكم السادس[٥].

قوله تعالى: "وإذا سألك عبادي" الخ[٦].

في أبي السعود: لما أمرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيداً له وحثاً عليه ثم شرع في بيان أحكام الصيام[٧].

قوله تعالى: "ولا تباشروهن" الخ[٨].

الحكم السابع[٩].

قوله تعالى: "ولا تأكلوا أموالكم" الخ[١٠].

هذا الحكم الثامن[١].

---

[١] – التفسير الكبير ٥/٦٣.

[٢] – البقرة: ١٨٢.

[٣] – التفسير الكبير٥/٦٥.

[٤] – البقرة: ١٨٣.

[٥] – التفسير الكبير ٥/٦٨.

[٦] – البقرة: ١٨٦.

[٧] – أبو سعود١/٢٠١.

[٨] – البقرة: ١٨٧.

[٩] – التفسير الكبير ٥/١١٣.

[١٠] – البقرة: ١٨٨.

قوله تعالى: "يسألونك عن الأهلة" الخ[٢].

الحكم التاسع[٣].

قوله تعالى: "وليس البر" الخ[٤].

في أبي السعود: وجه اتصاله بما قبله أنهم سألوا عن الأمرين أو أنه لما ذكر أنها مواقيت للحج ذكر عقبيه ما هو من أفعالهم في الحج استطراداً أو أنهم لما سألوا أعمالاً لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فإنه عليه الصلاة والسلام مبعوث لبيان الشرائع لا لبيان حقائق الأشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سألوا عنه تنبيهاً على أن اللائق بهم أن يسألوا عن أمثال ذلك ويهتموا بالعلم بها[٥].

الحكم العاشر ما يتعلق بالقتال[٦].

قوله تعالى: "وقاتلوا في سبيل الله" الخ، "وأنفقوا في سبيل الله"[٧].

في أبي السعود: أمر بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالأنفس[٨].

قوله تعالى: "وأتموا الحج والعمرة لله" الخ[٩].

قال المسكين: هذا هو الحكم الحادي عشر.

قوله تعالى: "فمن الناس من يقول" الخ[١٠].

١[١] – التفسير الكبير٥/١١٦.

[١] – البقرة: ١٨٩.

[٢] – التفسير الكبير ٥/١١٩.

[٣] – البقرة: ١٨٩.

[٤] – أبو سعود ١/٢٠٣.

[٥] – التفسير الكبير٥/١٢٧.

[٦] – البقرة: ١٩٠ و١٩٥.

[٧] – أبو سعود١/٢٠٥.

[٨] – البقرة: ١٩٦.

[٩] – البقرة: ٢٠٠.

في أبي السعود: تفصيل للذاكرين إلى من لا يطلب بذكر الله تعالى إلا الدنيا وإلى من يطلب خير الدارين والمراد به الحث على الإكثار والانتظام في سلك الآخرين[١].

قوله تعالى: "ومن الناس من يعجبك" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان كافر وهو الذي يقول: "ربنا آتنا في الدنيا" ومسلم وهو الذي يقول: "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة" بقي المنافق فذكره في هذه الآية وشرح صفاته وأفعاله[٣].

قوله تعالى: "ومن الناس من يشري" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما وصف في الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر في هذه الآية حال من يبذل دنياه ونفسه وماله لطلب الدين فقال: "ومن الناس من يشري نفسه"[٥].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ادخلوا"[٦].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل أمر المسلمين بما يضاد ذلك وهو المنافقة في الإسلام وفي شرائعه فقال: ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم[٧].

قوله تعالى: "سل بني إسرائيل" الخ[٨].

بيان هذا الكلام أنه تعالى قال: يا أيها الذين آمنوا فأمر بالإسلام ونهي عن

---

[١] – أبو سعود ٢٠٩/١.

[٢] – البقرة: ٢٠٤.

[٣] – التفسير الكبير ١٩٦/٥.

[٤] – البقرة: ٢٠٧.

[٥] – التفسير الكبير ٢٠٤/٥.

[٦] – البقرة: ٢٠٨.

[٧] – التفسير الكبير ٢٠٦/٥.

[٨] – البقرة: ٢١١.

الكفر ثم قال: فإن زللتم أي فإن أعرضتم عن هذا التكليف صرتم مستحقين للتهديد بقوله: فاعلموا ثم بين ذلك التهديد بقوله: هل ينظرون ثم ثلث ذلك التهديد بقوله: سل بني إسرائيل يعني سل هؤلاء الحاضرين إنا لما آتينا أسلافهم آيات بينات فأنكروها لا جرم استوجبوا العقاب من الله تعالى وذلك تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات الله تعالى لوقعوا في العذاب كما وقع أولئك المتقدمون فيه[١].

قوله تعالى: "زين للذين كفروا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته وهم الكفار الذين كذبوا بالدلالة والأنبياء وعدلوا عنها اتبعه الله تعالى بذكر السبب الذي لأجله كانت هذه طريقتهم فقال زين الخ[٣].

قوله تعالى: "كان الناس" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا بين في هذه الآية أن هذا معنى غير مختص بهذا الزمان بل كان حاصلاً في الأزمنة المتقادمة لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق ثم اختلفوا وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا[٥].

قوله: "أم حسبتم" الخ[٦].

في أبي السعود: خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثاً لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم إثر بيان اختلاف الأمم على الأنبياء عليهم السلام، وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الأنبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وإن عاقبة أمرهم

---

[١] – التفسير الكبير٦/٢ و٣.

[٢] – البقرة: ٢١٢.

[٣] – التفسير الكبير٦/٤.

[٤] – البقرة: ٢١٣.

[٥] – التفسير الكبير٦/١١.

[٦] – البقرة: ٢١٣.

النصر[١].

قوله تعالى: "يسألونك ما ذا ينفقون" الخ[٢].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بالغ في بيان أنه يجب على كل مكلف أن يكون معرضاً عن طلب العاجل وأن يكون مشتغلاً بطلب الآجل وأن يكون بحيث يبذل النفس والمال في ذلك شرع بعد ذلك في بيان الأحكام وهو من هذه الآية إلى قوله: الم تر إلى الذين خرجوا لأن من عادة القرآن أن يكون بيان التوحيد وبيان الوعظ والنصيحة وبيان الأحكام مختلطاً بعضها بالبعض ليكون كل واحد منها مقوياً للآخر ومؤكداً له فالحكم الأول (فيما يتعلق بالنفقة) هو هذه الآية[٣].

الحكم الثاني: قوله تعالى: "كتب عليكم القتال" الخ[٤].

الحكم الثالث: قوله عزوجل "ويسئلونك عن الخمر" الخ[٥].

الحكم الرابع: قوله تعالى: "ويسألونك ماذا ينفقون" الخ[٦].

الحكم الخامس: قوله تعالى: "ويسألونك عن اليتامى" الخ[٧].

الحكم السادس: قوله تعالى: "ولا تنكحوا المشركات" الخ[٨].

الحكم السابع: قوله تعالى: "ويسألونك عن المحيض" الخ[٩].

الحكم الثامن: قوله تعالى: "نساءكم حرث لكم" الخ[١٠].

---

[١] – أبو سعود ١/٢١٥.

[٢] – البقرة: ٢١٤.

[٣] – التفسير الكبير ٦/٢٢.

[٤] – البقرة: ٢١٦ والتفسير الكبير ٦/٢٥.

[٥] – البقرة: ٢١٩، التفسير الكبير ٦/٤٠.

[٦] – البقرة: ٢١٩، التفسير الكبير ٦/٤٨.

[٧] – البقرة: ٢٢٠، التفسير الكبير ٦/٥٠.

[٨] – البقرة: ٢٢١، التفسير الكبير ٦/٥٤.

[٩] – البقرة: ٢٢٢، التفسير الكبير ٦/٦٢.

[١٠] – البقرة: ٢٢٣، التفسير الكبير ٦/٧٠.

الحكم التاسع: قوله تعالى: "ولا تجعلوا الله عرضة" الخ[١].

الحكم العاشر: قوله تعالى: "للذين يؤلون" الخ[٢].

الحكم الحادي عشر: قوله تعالى: "والمطلقات يتربصن" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى ذكر في هذا الموضع أحكاماً كثيرة للطلاق فالحكم الأول للطلاق وجوب العدة[٤].

قوله تعالى: "وبعولتهن أحق" الخ[٥].

اعلم أن هذا هو الحكم الثاني للطلاق وهو الرجعة[٦].

قوله تعالى: "الطلاق مرتان" الخ[٧].

اعلم أن هذا هو الحكم الثالث من أحكام الطلاق وهو الطلاق الذي تثبت فيه الرجعة[٨].

قوله تعالى: "ولا يحل لكم" الخ[٩].

اعلم أن هذا هو الحكم الرابع من أحكام الطلاق وهو بيان الخلع[١٠].

قوله تعالى: "فإن طلقها" الخ[١١].

اعلم أن هذا هو الحكم الخامس من أحكام الطلاق وهو بيان أن الطلقة الثالثة

---

[١] – البقرة: ٢٢٤، التفسير الكبير ٦/٧٥.

[٢] – البقرة: ٢٢٦، التفسير الكبير ٦/٨٠.

[٣] – البقرة: ٢٢٨، التفسير الكبير ٦/٩٢.

[٤] – التفسير الكبير ٦/٨٥.

[٥] – البقرة: ٢٢٨.

[٦] – التفسير الكبير ٦/٩٣.

[٧] – البقرة: ٢٢٩.

[٨] – التفسير الكبير ٦/٩٦.

[٩] – البقرة: ٢٢٩.

[١٠] – التفسير الكبير ٦/٩٩.

[١١] – البقرة: ٢٣٠.

قاطعة لحق الرجعة[١].

قوله تعالى: "وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن"[٢].

اعلم أن هذا هو الحكم السادس من أحكام الطلاق وهو حكم المرأة المطلقة بعد انقضاء العدة[٣].

الحكم الثاني عشر:

قوله تعالى: "والوالدات يرضعن أولادهن" الخ[٤].

الحكم الثالث عشر عدة الوفاة:

قوله تعالى: "والذين يتوفون منكم" الخ[٥].

الحكم الرابع عشر خطبة النساء:

قوله تعالى: "ولا جناح عليكم" الخ[٦].

الحكم الخامس عشر حكم المطلقة قبل الدخول:

قوله تعالى: "لا جناح عليكم إن طلقتم" الخ[٧].

الحكم السادس عشر:

قوله تعالى: "حافظوا على الصلوات" الخ[٨].

وفي أبي السعود: لعل الأمر بها في تضاعيف بيان أحكام الأزواج والأولاد قبل الإتمام للإيذان بأنها حقيقة بكمال الاعتناء بشأنها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشأنهم بل بشأن أنفسهم أيضاً كما يفصح عنه الأمر بها في حالة الخوف ولذلك

---

[١] – التفسير الكبير ٦/١٠٤.

[٢] – البقرة: ٢٣٢.

[٣] – التفسير الكبير ٦/١١١.

[٤] – البقرة: ٢٣٣، التفسير الكبير ٦/١١٦.

[٥] – البقرة: ٢٣٤، التفسير الكبير ٦/١٢٥.

[٦] – البقرة: ٢٣٥، التفسير الكبير ٦/١٢٩.

[٧] – البقرة: ٢٣٦، التفسير الكبير ٦/١٣٤.

[٨] – البقرة: ٢٣٨، التفسير الكبير ٦/١٤٥.

أمر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الأحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها بحجزة بعض[١].

قوله تعالى: "فإن خفتم فرجالاً" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أوجب المحافظة على الصلوات والقيام على أدائها بأركانها وشروطها بين من بعد أن هذه المحافظة على هذا الحد لا تجب إلا مع الأمن دون الخوف فقال: فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً[٣].

الحكم السابع عشر:

قوله تعالى: "والذين يتوفون منكم" الخ[٤].

الحكم الثامن عشر:

قوله تعالى: "وللمطلقات متاع بالمعروف" الخ[٥].

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين خرجوا" الخ[٦].

اعلم أن عادته تعالى في القرآن أن يذكر بعد بيان الأحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال: ألم تر[٧].

---

[١] – أبو سعود١/٢٣٥.

[٢] – البقرة: ٢٣٩.

[٣] – التفسير الكبير ١٥٣/٦.

[٤] – البقرة: ٢٤٠، والتفسير الكبير١٥٧/٦.

[٥] – البقرة: ٢٤١، التفسير الكبير ١٦٠/٦، وليلاحظ أنه اختلف العدد واختلط في الأصل بداية من الحكم الثاني عشر إلى الثامن عشر فقد وقع في الأصل: الحكم العاشر بعد تقدم ذكر الحادي عشر وجاء في الهامش من قول المؤلف: لينظر إلى هذا العاشر بعد التاسع، وأظن أن النسخة (للتفسير الكبير) التي اعتمدها المؤلف كان فيه نوع تصحيف ولكن النسخة التي راجعناها وقابلنا بها جاءت كما ذكرنا، والله أعلم.

[٦] – البقرة: ٢٤٣.

[٧] – التفسير الكبير ١٦١/٦.

قوله تعالى: "وقاتلوا" الخ[١].

في أبي السعود: عطف على مقدر يعينه ما قبله كأنه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم أن الفرار لا ينجي من الحمام وأن المقدر لا مرد له فإن كان قد حان الأجل فموت في سبيل الله وإلا فنصر عزيز وثواب[٢].

قوله تعالى: "من ذا الذي يقرض" الخ[٣].

في أبي السعود: المراد ههنا إما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عزوجل ابتغاء لمرضاته وإما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاماً أولياً[٤].

القصة الثانية قصة طالوت:

قوله عزوجل: "الم تر إلى الملأ" الخ[٥].

قوله تعالى: "تلك آيات الله" الخ[٦].

في أبي السعود: إشارة إلى ما سلف من حديث الألوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وإنك لمن المرسلين فهي شهادة منه سبحانه برسالته عليه الصلاة والسلام إثر بيان ما يستوجبها[٧].

قوله تعالى: "تلك الرسل" الخ[٨].

وفي أبي السعود: فيه رمز إلى أنه عليه الصلاة والسلام من أفاضل الرسل

---

[١] – البقرة: ٢٤٤.

[٢] – أبو سعود ٢٣٨/١.

[٣] – البقرة: ٢٤٥.

[٤] – أبو سعود ٢٣٨/١.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٩/٦، البقرة: ٢٤٦.

[٦] – البقرة: ٢٥٢.

[٧] – أبو سعود ٢٤٥/١.

[٨] – البقرة: ٢٥٣.

العظام عليهم الصلاة والسلام إثر بيان كونه من جملتهم[١].

في الكبير: عزى الله رسوله عما رآى من قومه من التكذيب والحسد فقال هؤلاء الرسل الذين كلم الله تعالى بعضهم ورفع الباقين درجات وأيد عيسى بروح القدس قد نالهم من قومهم ما ذكرناه بعد مشاهدة المعجزات وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك فلو شاء الله لم تختلفوا أنتم وأولئك ولكن ما قضى الله فهو كائن[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا" الخ[٣].

اعلم أن أصعب الأشياء على الإنسان بذل النفس في القتال وبذل المال في الإنفاق فلما قدم الأمر بالقتال عقبه بالأمر بالإنفاق[٤].

قوله تعالى: "الله لا إله إلا هو" الخ[٥].

اعلم أن من عادته سبحانه وتعالى في هذا الكتاب الكريم أنه يخلط هذه الأنواع الثلاثة بعضها بالبعض أعني علم التوحيد وعلم الأحكام وعلم القصص والمقصود من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد وإما المبالغة في إلزام الأحكام والتكاليف، وهذا الطريق هو الطريق الأحسن لا إبقاء الإنسان في النوع الواحد لأنه يوجب الملال فأما إذا انتقل من نوع من العلوم إلى نوع آخر فكأنه يشرح به الصدر ويفرح به القلب فكأنه سافر من بلد إلى بلد آخر وانتقل من بستان إلى بستان آخر وانتقل من تناول طعام لذيذ إلى تناول نوع آخر ولا شك أنه يكون ألذّ واشهى ولما ذكر فيما تقدم من علم الأحكام ومن علم القصص ما رآه مصلحة ذكر الآن ما يتعلق بالتوحيد فقال: الله لا إله إلا هو الخ[٦].

---

[١] – أبو سعود ٢٤٥/١ و٢٤٦.

[٢] – التفسير الكبير ١٩٥/٦.

[٣] – البقرة: ٢٥٤.

[٤] – التفسير الكبير ٦/ ٢٠٥.

[٥] – البقرة: ٢٥٥.

[٦] – التفسير الكبير٢/٧.

قوله تعالى: "لا إكراه في الدين" الخ[١].

في أبي السعود: جملة مستأنفة جيئ بها إثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للإيمان به وحده إيذاناً بأن من حق العاقل أن لا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى: جاهد الكفار وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية[٢].

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذي حاج" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى ذكر ههنا قصصاً ثلاثة الأولى منها في بيان إثبات العلم بالصانع والثانية والثالثة في إثبات الحشر والنشر والبعث[٤].

وفي ابي السعود: استشهاد على ما ذكر من أن الكفرة أوليائهم الطاغوت وعلى ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين[٥].

قوله تعالى: "مثل الذين ينفقون" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه تعالى لما ذكر من بيان أصول العلم بالمبدأ وبالمعاد ومن دلائل صحتهما ما أراد اتبع ذلك ببيان الشرائع والأحكام والتكاليف فالحكم الأول في بيان التكاليف المعتبرة في إنفاق الأموال[٧].

قوله تعالى: "الذين ينفقون أموالهم" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما عظم أمر الإنفاق في سبيل الله اتبعه ببيان الأمور التي

---

[١] – البقرة: ٢٥٦.

[٢] – أبو سعود ٢٤٩/١.

[٣] – البقرة: ٢٥٨.

[٤] – التفسير الكبير ٢١/٧.

[٥] – أبو سعود ٤٥١/١.

[٦] – البقرة: ٢٦١.

[٧] – التفسير الكبير ٤٣/٧ و٤٤.

[٨] – البقرة: ٢٦٢.

يجب تحصيلها حتى يبقى ذلك الثواب، منها ترك المن والأذى[١].

قوله تعالى: "أيود أحدكم" الخ[٢].

اعلم أن هذا مثل آخر ذكر الله تعالى في حق من يتبع إنفاقه بالمن والأذى[٣].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات" الخ[٤].

اعلم أنه رغب في الإنفاق ثم بين أن الإنفاق على قسمين منه ما يتبعه المن والأذى ومنه ما لا يتبعه ذلك ثم إنه تعالى شرح ما يتعلق بكل واحد من هذين القسمين وضرب لكل واحد منهم مثلاً يكشف عن المعنى ويوضع المقصود منه على أبلغ الوجوه ثم إنه تعالى ذكر في هذه الآية أن المال الذي أمر بإنفاقه في سبيل الله كيف ينبغي أن يكون فقال: "أنفقوا من طيبات ما كسبتم"[٥].

قوله تعالى: "الشيطان يعدكم الفقر" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما رغب الإنسان في إنفاق أجود ما يملكه حذره بعد ذلك من وسوسة الشيطان فقال: "الشيطان يعدكم الفقر" أي يقول إن أنفقت الأجود صرت فقيراً فلا تبال بقوله فإن الرحمن يعدكم مغفرة منه وفضلاً[٧].

قوله تعالى: "يؤتي الحكمة" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أن الشيطان يعد بالفقر ويأمر بالفحشاء وأن الرحمن يعد بالمغفرة والفضل نبه على أن الأمر الذي لأجله وجب ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان هو أن وعد الرحمن الحكمة والعقل ووعد

---

[١] – التفسير الكبير ٧/٤٥.

[٢] – البقرة: ٢٦٦.

[٣] – التفسير الكبير ٧/٥٨.

[٤] – البقرة: ٢٦٧.

[٥] – التفسير الكبير ٧/٦٠.

[٦] – البقرة: ٢٦٨.

[٧] – التفسير الكبير ٧/٦٤.

[٨] – البقرة: ٢٦٨.

الشيطان الشهوة والنفس من حيث إنهما يأمران بتحصيل اللذة الحاضرة واتباع أحكام الخيال والوهم، ولا شك أن حكم الحكمة والعقل هو الحكم الصادق المبرأ عن الزيغ والخلل، وحكم الحس والشهوة والنفس يوقع الإنسان في البلاء والمحنة فكان حكم الحكمة والعقل أولى بالقبول فهذا هو الإشارة إلى وجه النظم[١].

قوله تعالى: "وما أنفقتم" الخ[٢].

في أبي السعود: بيان لحكم كلي شامل لجميع أفراد النفقات وما في حكمها إثر بيان حكم ما كان منها في سبيل الله[٣].

قوله تعالى: "إن تبدوا الصدقات" الخ[٤].

ذكر في هذه الآية أن الإنفاق قد يكون ظاهراً وقد يكون خفياً وذكر حكم كل واحد من القسمين[٥].

قوله تعالى: "ليس عليك هداهم" الخ[٦].

هذا هو الحكم الرابع من أحكام الإنفاق وهو بيان أن الذي يجوز الإنفاق عليه من هو[٧].

قوله تعالى: "للفقراء الذين أحصروا" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنه يجوز صرف الصدقة إلى أي فقير كان، بين في هذه الآية أن الذي يكون أشد الناس استحقاقاً بصرف الصدقة إليه من هو[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٦٧/٧.

[٢] – البقرة: ٢٧٠.

[٣] – أبو سعود ٢٦٣/١.

[٤] – البقرة: ٢٧١.

[٥] – التفسير الكبير ٧١/٧.

[٦] – البقرة: ٢٧٢.

[٧] – التفسير الكبير ٧٦/٧.

[٨] – البقرة: ٢٧٣.

[٩] – التفسير الكبير ٧٩/٧.

قوله تعالى: "الذين ينفقون" الخ[١].

لما بين في الآية المتقدمة أن أكمل من تصرف إليه النفقة من هو؟ بين في هذه الآية أن أكمل وجوه الإنفاق كيف هو؟ فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضائها ولم يؤخروها ولم يعلقوها بوقت ولا حال.

الحكم الثاني من الأحكام الشرعية المذكورة في هذا الموضع من هذه السورة حكم الربا[٢].

قوله تعالى: "الذين يأكلون الربا" الخ[٣].

اعلم أن بين الربا وبين الصدقة مناسبة من جهة التضاد وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله تعالى بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه فكانا متضادين فلا جرم عقب حكم الصدقات حكم الربا[٤].

قوله تعالى: "يمحق الله الربا" الخ[٥].

ذكر ههنا ما يجري مجرى الداعي إلى ترك الصدقات وفعل الربا وكشف عن فساده[٦].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٧].

اعلم أن عادة الله تعالى في القرآن مطردة بأنه مهما ذكر وعيداً ذكر بعده وعداً فلما بالغ ههنا في وعيد المرابي اتبعه بهذا الوعد[٨].

---

[١] – البقرة: ٢٧٤.

[٢] – التفسير الكبير ٨٣/٧.

[٣] – البقرة: ٢٧٥.

[٤] – التفسير الكبير ٨٤/٧ و٨٥.

[٥] – البقرة: ٢٧٦.

[٦] – التفسير الكبير ٩٤/٧.

[٧] – البقرة: ٢٧٧.

[٨] – التفسير الكبير ٩٦/٧.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أن من انتهي عن الربا فله ما سلف فقد كان يجوز أن يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال تعالى: وذروا الخ.

الحكم الثالث من الأحكام الشرعية المذكورة في هذا الموضع من هذه السورة[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين" الخ[٣].

لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم أحدهما الإنفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال والثاني ترك الربا وهو أيضاً سبب لتنقيص المال اتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن الفساد والبوار فإن القدرة على الإنفاق في سبيل الله وعلى ترك الربا وعلى ملازمة التقوى لا يتم ولا يكمل إلا عند حصول المال[٤].

والوجه الثاني لما منع الربا أذن في السلم مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلم[٥].

قوله تعالى: "وإن كنتم على سفر" الخ[٦].

لما أمر في آخر الآية المتقدمة بالكتبة والإشهاد وإنه ربما تعذر ذلك في السفر ذكر نوعاً آخر من الاستيثاق وهو أخذ الرهن[٧].

---

[١] – البقرة: ٢٧٨.

[٢] – التفسير الكبير ٩٨/٧.

[٣] – البقرة: ٢٨٢.

[٤] – التفسير الكبير ١٠٧/٧.

[٥] – التفسير الكبير ١٠٨/٧.

[٦] – البقرة: ٢٨٣.

[٧] – التفسير الكبير ١١٩/٧.

قوله تعالى: "لله ما في السموات" الخ[١].

إنه تعالى لما جمع في هذه السورة أشياء كثيرة من علم الأصول وهو دليل التوحيد والنبوة وأشياء كثيرة من علم الأصول ببيان الشرائع والتكاليف ختم الله تعالى هذه السورة بهذه الآية على سبيل التهديد.

وقال الشعبي وعكرمة ومجاهد: إنه تعالى لما نهي عن كتمان الشهادة وأوعد عليه بين أن له ملك السموات والأرض فيجازي على الكتمان والإظهار[٢].

قوله تعالى: "آمن الرسول" الخ[٣].

قال المسكين: وجه الارتباط ظاهر من شأن النزول.

وفي أبي السعود: لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة أن ما أنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتقين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التي من جملتها الإيمان به وبما أنزل قبله من الكتب الإلهية وأنهم حائزون لأثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتعقن اتصافهم بها إذ ليس فيما يذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والأحكام والمواعظ والحكم وأخبار سوالف الأمم وغير ذلك مما يقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عزوجل بكمال الإيمان وحسن الطاعة[٤].

قوله تعالى: "لا يكلف الله نفساً" الخ[٥].

في أبي السعود: جملة مستقلة جيئ بها إثر تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة

---

[١] – البقرة: ٢٨٤.

[٢] – التفسير الكبير ١٢٣/٧ و١٢٤.

[٣] – البقرة: ٢٨٥.

[٤] – أبو سعود ٢٧٣/١.

[٥] – البقرة: ٢٨٦.

إظهاراً لماله تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا[١].

قوله تعالى: "ربنا لا تؤاخذنا" الخ[٢].

في أبي السعود: شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف[٣].

---

[١] – أبو سعود ٢٧٦/١.

[٢] – البقرة: ٢٨٦.

[٣] – أبو سعود ٢٧٧/١.

سورة آل عمران

وجه تعلق أولها بآخر ما قبلها أن السورة المتقدمة ختمت على سوال النصر على الكافرين وفي مفتح هذه السورة بين نصرتهم على الكفار باللسان والسنان[١].

قوله سبحانه وتعالى: "الم الله لا إله إلا هو" الخ[٢].

اعلم أن مطلع هذه السورة له نظم لطيف عجيب وذلك لأن أولئك النصارى الذين نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لهم: إما أن تنازعوه في معرفة الإله أو في النبوة فإن كان النزاع في معرفة الإله وهو أنكم تثبتون له ولداً وأن محمداً لا يثبت له ولداً فالحق معه بالدلائل العقلية القطعية فإنه قد ثبت بالبرهان أنه حي قيوم يستحيل عقلاً أن يكون له ولد. وإن كان النزاع في النبوة فهذا أيضاً باطل لأن بالطريق الذي عرفتم أن الله تعالى أنزل التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فهو بعينه قائم في محمد صلى الله عليه وسلم وما ذاك إلا بالمعجزة وهو حاصل ههنا فكيف يمكن منازعته في صحة النبوة فهذا هو وجه النظم وهو مضبوط حسن جداً[٣].

قوله تعالى: "إن الله لا يخفى عليه شيء" الخ[٤].

قال المسكين: تقرير للتوحيد وإبطال لألوهية عيسى عليه السلام.

قوله تعالى: "هو الذي أنزل" الخ[٥].

في أبي السعود: شروع في إبطال شبهتهم الناشئة عما نطق به القرآن في

---

[١] – جاء هذا في الأصل بالهامش.

[٢] – آل عمران: ٢.

[٣] – التفسير الكبير ١٥٥/٧ و١٥٦.

[٤] – آل عمران: ٥.

[٥] – آل عمران: ٧.

نعت عيسى عليه الصلاة والسلام بطريق الاستيناف إثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد أخرى وكون كل من عداه مقهوراً تحت ملكوته تابعاً لمشيته[١].

قوله تعالى: "ربنا لا تزغ قلوبنا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن الراسخين أنهم يقولون آمنا به حكى عنهم أنهم يقولون ربنا لا تزغ[٣].

قوله تعالى: "ربنا إنك" الخ[٤].

اعلم أن هذا الدعاء من بقية كلام الراسخين في العلم[٥].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا" الخ[٦].

اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما حكى عن المؤمنين دعائهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشديد عقابهم[٧].

في أبي السعود: إثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين شرع في بيان حال من كفر به[٨].

قوله تعالى: "قل للذين كفروا" الخ[٩].

قال المسكين: هذا بيان لعقاب الكفار في الدنيا والآخرة.

---

[١] – أبو سعود ٢/٧.

[٢] – آل عمران: ٨.

[٣] – التفسير الكبير ٧/١٧٩.

[٤] – آل عمران: ٩.

[٥] – التفسير الكبير ٧/١٨٢.

[٦] – آل عمران: ١٠.

[٧] – التفسير الكبير ٧/١٨٤.

[٨] – أبو سعود ٢/١٠.

[٩] – آل عمران: ١٢.

قوله تعالى: "قد كان لكم آية" الخ[١].

هذه الآية كالدلالة على صحة قوله: قل للذين كفروا ستغلبون[٢].

قوله سبحانه وتعالى: "زين للناس" الخ[٣].

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى إثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها[٤].

قوله تعالى: "قل أؤنبكم بخير" الخ[٥].

في أبي السعود: إثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب إجمالاً أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب[٦].

قوله تعالى: "شهد الله" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله: الذين يقولون ربنا إننا آمنا أردفه بيان أن دلائل الإيمان ظاهرة جلية فقال: شهد الله[٨].

قوله تعالى: "إن الدين عند الله الإسلام" الخ[٩].

في أبي السعود: جملة مستأنفة مؤكدة للأولى أي لا دين مرضياً لله تعالى

---

[١] – آل عمران: ١٣.

[٢] – التفسير الكبير ١٨٩/٧.

[٣] – آل عمران: ١٤.

[٤] – أبو سعود ١٤/٢.

[٥] – آل عمران: ١٥.

[٦] – أبو سعود ١٥/٢.

[٧] – آل عمران: ١٨.

[٨] – التفسير الكبير ٢٠٣/٧ و٢٠٤.

[٩] – آل عمران: ١٩.

سوى الإسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة[١].

قوله تعالى: "وما اختلف الذين" الخ[٢].

الغرض من الآية بيان أن الله أوضح الدلائل وأزال الشبهات والقوم ما كفروا إلا لأجل التقصير[٣].

قوله تعالى: "فإن حاجوك" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل أن أهل الكتاب اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم وأنهم أصروا على الكفر مع ذلك بين الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله في محاجتهم فقال: فإن حاجوك[٥].

قوله تعالى: "إن الذين يكفرون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل حال من يعرض ويتولى بقوله: وإن تولوا أردفه بصفة هذا المتولي[٧].

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما نبه على عناد القوم بقوله: فإن حاجوك بين في هذه الآية غاية عنادهم وهو أنهم يدعون إلى الكتاب الذي يزعمون أنهم يؤمنون به وهو التوراة ثم أنهم يتمردون ويتولون وذلك يدل على غاية عنادهم[٩].

---

[١] – أبو سعود ١٨/٢.

[٢] – آل عمران: ١٩.

[٣] – التفسير الكبير ٢٠٩/٧.

[٤] – آل عمران: ٢٠.

[٥] – التفسير الكبير ٢١٠/٧.

[٦] – آل عمران: ٢١.

[٧] – التفسير الكبير ٢١٤/٧.

[٨] – آل عمران: ٢٣.

[٩] – التفسير الكبير ٢١٦/٧.

قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك" الخ[١].

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعاء وتمجيد يدل على مباينة طريقه وطريق اتباعه بطريقة هؤلاء الكافرين المعاندين المعرضين فقال معلماً نبيه كيف يمجد ويعظم ويدعو ويطلب[٢].

قال المسكين: لعل الأقرب أنه لمّا أوعد الكفار فيما قبل أنهم سيغلبون فاستبعدوه وتعجبوا منه فأشار الله تعالى إلى قرب وقوعه بأنه تعالى مالك الملك وكل شيء بمشيته وقدرته فلا غرو أن يغلب المغلوب ويغلب الغالب.

قوله تعالى: "لا يتخذ المؤمنون" الخ[٣].

لما بين أنه تعالى مالك الدينا والآخرة بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه[٤].

قوله تعالى: "قل إن تخفوا" الخ[٥].

في أبي السعود: من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفر[٦].

قوله تعالى: "يوم تجد كل نفس" الخ[٧].

اعلم أن هذه الآية من باب الترغيب والترهيب ومن تمام الكلام الذي تقدم[٨].

قوله تعالى: "قل إن كنتم تحبون الله" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما دعا القوم إلى الإيمان به والإيمان برسوله على سبيل

---

[١] – آل عمران: ٢٦.

[٢] – التفسير الكبير ٢/٨.

[٣] – آل عمران: ٢٨.

[٤] – التفسير الكبير ١٠/٨.

[٥] – آل عمران: ٢٩.

[٦] – أبو سعود ٢٣/٢.

[٧] – آل عمران: ٣٠.

[٨] – التفسير الكبير ١٥/٨.

[٩] – آل عمران: ٣١.

التهديد والوعيد دعاهم إلى ذلك من طريق آخر وهو أن اليهود كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه فنزلت هذه الآية[١].

قوله تعالى: "إن الله اصطفى" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين أن محبته لا تتم إلا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال: إن الله اصطفى آدم[٣].

في أبي السعود: لما بين الله تعالى أن الدين المرضى عنده هو الإسلام والتوحيد وأن اختلاف أهل الكتابين فيه إنما هو للبغي والحسد وأن الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وإطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من أهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة أقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام واتبعه ذكر مبدأ أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأمه وكيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام تحقيقاً للحق وإبطالاً لما عليه أهل الكتاب في شأنهما من الإفراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في إبراهيم عليه الصلاة والسلام وادعائهم الانتماء إلى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على أن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام دعاة إلى عبادة الله عزوجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة إلى عبادة أنفسهم أو غيرهم من الملائكة وأن أممهم قاطبة مأمورون بالإيمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقاً لوجوب الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والإنجيل وتحتم الطاعة له حسب ما سيأتي تفصيله[٤].

قوله تعالى: "إذ قالت امرأة عمران" الخ[٥].

---

[١] – التفسير الكبير ١٧/٨.

[٢] – آل عمران: ٣٣.

[٣] – التفسير الكبير ١٩/٨.

[٤] – أبو سعود ٢٥/٢ و٢٦.

[٥] – آل عمران: ٣٥.

في أبي السعود: لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته[١].

قوله تعالى: "هنالك" الخ[٢].

وفي أبي السعود: كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في إيرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فإن فضائل بعض الأقرباء دالة على فضائل الآخرين[٣].

قوله تعالى: "وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك" الخ[٤].

في أبي السعود: شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض أقاربهم[٥].

قوله تعالى: "إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين شرح حال مريم عليها السلام في أول أمرها وفي آخر أمرها شرح كيفية ولادتها بعيسى عليه السلام[٧].

قوله تعالى: "فلما أحس" الخ[٨].

شرع في بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات وأظهر لهم تلك الدلائل فهم بماذا عاملوه فقال تعالى: فلما أحس[٩].

---

[١] – أبو السعود٢/٢٧.

[٢] – آل عمران: ٣٨.

[٣] – أبو سعود ٢/٣٠ و٣١.

[٤] – آل عمران: ٤٢.

[٥] – أبو سعود ٢/٣٤.

[٦] – آل عمران: ٤٥.

[٧] – التفسير الكبير ٨/٤٧.

[٨] – آل عمران: ٥٢.

[٩] – التفسير الكبير ٨/٦٠.

قوله تعالى: "فأما الذين كفروا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر إليّ مرجعكم بين بعد ذلك مفصلاً ما في ذلك الاختلاف[٢].

قوله تعالى: "ذلك نتلوه" الخ[٣].

قال المسكين: إشارة إلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في تضاعيف القصة كنظائرها فيما قبل لأن المحاجة كانت في التوحيد والرسالة.

قوله تعالى: "فمن حاجك فيه" الخ[٤].

بعد هذه الدلائل الواضحة والجوابات اللائحة فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة[٥].

قوله تعالى: "قل ياأهل الكتاب تعالوا" الخ[٦].

واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أورد على نصارى نجران أنواع الدلائل وانقطعوا ثم دعاهم إلى المباهلة فخافوا وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار بأداء الجزية وقد كان عليه السلام حريصاً على إيمانهم فكأنه تعالى قال: يا محمد أترك ذلك المنهج من الكلام واعدل إلى منهج آخر يشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم أنه كلام مبني على الإنصاف وترك الجدال[٧].

قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب لم تحاجون" الخ[٨].

قال المسكين: هو من بقية الكلام مع أهل الكتاب.

---

[١] – آل عمران: ٥٦.

[٢] – التفسير الكبير ٧١/٨.

[٣] – آل عمران: ٥٨.

[٤] – آل عمران: ٦١.

[٥] – التفسير الكبير ٧٨/٨.

[٦] – آل عمران: ٦٤.

[٧] – التفسير الكبير ٨٥/٨.

[٨] – آل عمران: ٦٤.

قوله تعالى: "ودت طائفة" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما بين أن من طريقة أهل الكتاب العدول عن الحق والإعراض عن قبول الحجة بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في إضلال من آمن بالرسول عليه الصلاة والسلام بإلقاء الشبهات[٢].

قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لم تكفرون" الخ. "ويا أهل الكتاب لم تلبسون" الخ[٣].

اعلم أن علماء اليهود والنصارى كانت لهم حرفتان إحداهما أنهم كانوا يكفرون بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا يعلمون بقلوبهم أنه رسول حق من عند الله تعالى والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة في الآية الأولى وثانيتهما أنهم كانوا يجتهدون في إلقاء الشبهات وفي إخفاء الدلائل والله تعالى نهاهم عن هذه الحرفة في هذه الآية الثانية فالمقام الأول مقام الغواية والضلال والمقام الثاني مقام الإغواء والإضلال[٤].

قوله سبحانه وتعالى: "وقالت طائفة من أهل الكتاب" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما حكي عنهم أنهم يلبسون الحق بالباطل أردف ذلك بان حكي عنهم نوعاً واحداً من أنواع تلبيساتهم وهو المذكور في هذه الآية[٦].

قوله تعالى: "ومن أهل الكتاب" الخ[٧].

في أبي السعود: شروع في بيان خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين[٨].

---

[١] – آل عمران: ٦٩.

[٢] – التفسير الكبير ٩٠/٨.

[٣] – آل عمران: ٧٠ و٧١.

[٤] – التفسير الكبير ٩٢/٨.

[٥] – آل عمران: ٧٢.

[٦] – التفسير الكبير ٩٣/٨.

[٧] – آل عمران: ٧٥.

[٨] – أبو سعود ٥٠/٢.

قوله سبحانه وتعالى: "إن الذين يشترون بعهد الله" الخ[١].

إنه تعالى ذكر في الآية السابقة خيانتهم في أموال الناس ثم ذكر في هذه الآية خيانتهم في عهد الله وخيانتهم في تعظيم أسمائه حين يحلفون بها كذباً[٢].

قوله تعالى: "وإن منهم لفريقاً" الخ[٣].

قال المسكين: هذه بقية خيانات اليهود في الأحكام الإلهية.

قوله تعالى: "ما كان لبشر" الخ[٤].

في أبي السعود: بيان لافترائهم على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث قال نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وإبطال له إثر بيان افترائهم على الله سبحانه وإبطاله[٥].

قوله تعالى: "وإذ أخذ الله ميثاق" الخ[٦].

اعلم أن المقصود من هذه الآيات تعديد وتقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعاً لعذرهم وإظهاراً لعنادهم ومن جملتها ما ذكره الله تعالى في هذه الآية[٧].

قوله تعالى: "أفغير دين الله" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شرعٌ شرعه الله تعالى وأوجبه على جميع من مضي من الأنبياء والأمم لزم أن كل

---

[١] – آل عمران: ٧٧.

[٢] – التفسير الكبير ١٠٤/٨.

[٣] – آل عمران: ٧٨.

[٤] – آل عمران: ٧٩.

[٥] – أبو سعود ٥٢/٢.

[٦] – آل عمران: ٨١.

[٧] – التفسير الكبير ١١٤/٨.

[٨] – آل عمران: ٨٣.

من كره ذلك فإنه يكون طالباً ديناً غير دين الله[١].

قوله تعالى: "قل آمنا بالله" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية المتقدمة أنه إنما أخذ الميثاق على الأنبياء في تصديق الرسول الذي يأتي مصدقاً لما معهم ذكر في هذه الآية أن من صفته صلى الله عليه وسلم كونه مصدقاً لما معهم[٣].

قوله تعالى: "ومن يبتغ غير الإسلام" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما قال في آخر الآية المتقدمة: ونحن له مسلمون اتبعه بأن بين في هذه الآية أن الدين ليس إلا الإسلام وأن كل دين سوى الإسلام فإنه غير مقبول عند الله تعالى[٥].

قوله تعالى: "كيف يهدي الله" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما عظم أمر الإسلام والإيمان بقوله ومن يبتغ أكد ذلك التعظيم بأن بين وعيد من ترك الإسلام فقال كيف يهدي الله قوماً الخ[٧].

قوله تعالى: "إلا الذين تابوا" الخ و"إن الذين كفروا بعد إيمانهم" الخ و"إن الذين كفروا وماتوا" الخ[٨].

اعلم أن الكافر على ثلاثة أقسام (أحدها) الذي يتوب عن الكفر توبة صحيحة مقبولة وهو الذي ذكره الله تعالى في قوله: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا، (وثانيها) الذي يتوب عن ذلك الكفر توبة فاسدة وهو الذي ذكره الله تعالى في الآية

---

[١] – التفسير الكبير ١٢١/٨.

[٢] – آل عمران: ٨٤.

[٣] – التفسير الكبير ١٢٣/٨.

[٤] – آل عمران: ٨٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٢٥/٨.

[٦] – آل عمران: ٨٦.

[٧] – التفسير الكبير ١٢٦/٨.

[٨] – آل عمران: ٨٩ و٩٠ و٩١.

المتقدمة وقال إنه لن يقبل توبته (وثالثها) الذي يموت على الكفر من غير توبة البتة وهو المذكور في هذه الآية[١].

قوله سبحانه وتعالى: "لن تنالوا البر" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الإنفاق لا ينفع الكافر البتة علم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة[٣].

قوله: "كل الطعام كل حلاً" الخ[٤].

اعلم أن الآيات المتقدمة إلى هذه الآية كانت في تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي توجيه الإلزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب وأما هذه الآية فهي في بيان الجواب عن شبهات القوم[٥].

وفي أبي السعود: وهو رد على اليهود وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لإبراهيم عليه الصلاة والسلام بتحليله لحوم الإبل وألبانها[٦].

قوله تعالى: "إن أول بيت وضع" الخ[٧].

في أبي السعود: شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عليه الصلاة والسلام إثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حِلاً له عليه الصلاة والسلام[٨].

وفي الكبير: المراد منه الجواب عن شبهة أخرى وذلك لأنه عليه السلام لما حول إلى الكعبة طعن اليهود في نبوته فأجاب الله تعالى بقوله: إن أول بيت الخ وأن

---

[١] – التفسير الكبير ١٣١/٨.

[٢] – آل عمران: ٩٢.

[٣] – التفسير الكبير ١٣٣/٨.

[٤] – آل عمران: ٩٣.

[٥] – التفسير الكبير ١٣٦/٨.

[٦] – أبو سعود ٥٨/٢.

[٧] – آل عمران: ٩٦.

[٨] – أبو سعود ٥٩/٢ و٦١.

اليهود والنصارى زعم كل فرقة منهم أنه على ملة إبراهيم عليه السلام وقد سبقت هذه المناظرة في الآيات المتقدمة فالله تعالى بين كذبهم من حيث أن حج الكعبة كان ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام واليهود والنصارى لا يحجون فيدل هذا على كذبهم في ذلك[١].

قوله تعالى: "ولله على الناس" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر فضائل البيت ومناقبه أردفه بذكر إيجاب الحج[٣].

قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب لم تكفرون" الخ[٤].

لما أورد الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عقيب ذلك شبهات القوم فالشبهة الأولى ما يتعلق بإنكار النسخ وأجاب عنها بقوله: كل الطعام، والشبهة الثانية ما يتعلق بالكعبة ووجوب استقبالها في الصلاة ووجوب حجها وأجاب عنها بقوله: إن أول بيت فعند هذا تمت وظيفة الاستدلال وكمل الجواب عن شبهات أرباب الضلال فعند ذلك خاطبهم بالكلام اللين وقال: لم تكفرون بآيات الله بعد ظهور البينات وزوال الشبهات[٥].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا" الخ[٦].

واعلم أنه تعالى لما حذر الفريق من أهل الكتاب عن الإغواء والإضلال حذر المؤمنين عن إغوائهم وإضلالهم ومنعهم عن الالتفات إلى قولهم[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله" الخ[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ١٤١/٨.

[٢] – آل عمران: ٩٧.

[٣] – التفسير الكبير ١٥٢/٨.

[٤] – آل عمران: ٩٨.

[٥] – التفسير الكبير ١٥٦/٨.

[٦] – آل عمران: ١٠٠.

[٧] – التفسير الكبير ١٥٩/٨.

[٨] – آل عمران: ١٠٢.

اعلم أنه تعالى لما حذر المؤمنين من إضلال الكفار ومن تلبيساتهم في الآية الأولى أمر المؤمنين في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات[١].

قوله تعالى: "ولتكن منكم أمة" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى في الآيات المتقدمة عاب أهل الكتاب على شيئين أحدهما أنه عابهم على الكفر ثم بعد ذلك عابهم على سعيهم في إلقاء الغير في الكفر فلما انتقل منه إلى مخاطبة المؤمنين أمرهم أولاً بالتقوى والإيمان ثم أمرهم بالسعي في إلقاء الغير في الإيمان والطاعة فقال: ولتكن الخ[٣].

قوله تعالى: "كنتم خير أمة" الخ[٤].

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة إلى الخير[٥].

قوله تعالى: "ولو آمن أهل الكتاب" الخ[٦].

المقصود من هذا الكلام ترغيب أهل الكتاب في هذا الدين[٧].

قوله تعالى: "ضربت عليهم الذلة" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بين أنهم إن قاتلوا رجعوا مخذولين غير منصورين ذكر أنهم مع ذلك قد ضربت عليهم الذلة[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٦٠/٨.

[٢] – آل عمران: ١٠٤.

[٣] – التفسير الكبير ١٦٦/٨.

[٤] – آل عمران: ١١٠.

[٥] – أبو سعود ٧٠/٢.

[٦] – آل عمران: ١١٠.

[٧] – التفسير الكبير ١٨١/٨.

[٨] – آل عمران: ١١٣.

[٩] – التفسير الكبير ١٨٣/٨.

قوله تعالى: "ليسوا سواء" الخ[١].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت تمهيداً لتعداد محاسن مؤمني أهل الكتاب وتذكيراً لقوله تعالى: منهم المؤمنون[٢].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا لن تغني" الخ[٣].

لما وصف من آمن من الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة اتبعه تعالى بوعيد الكفار[٤].

قوله تعالى: "مثل ما ينفقون" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين أن أموال الكفار لا تغني عنهم شيئاً ثم إنهم ربما أنفقوا أموالهم في وجوه الخيرات فيخطر ببال الإنسان أنهم ينتفعون بذلك فأزال الله تعالى بهذه الآية تلك الشبهة[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين عن مخالطة الكافرين في هذه الآية[٨].

قوله تعالى: "ها أنتم هؤلاء" الخ[٩].

اعلم أن هذا نوع آخر من تحذير المؤمنين عن مخالطة المنافقين[١٠].

---

[١] – آل عمران: ١١٣.

٢– أبو سعود ٢/٧٢.

[٣] – آل عمران: ١١٦.

[٤] – التفسير الكبير ٨/١٩٢.

[٥] – آل عمران: ١١٧.

[٦] – التفسير الكبير ٨/١٩٣.

[٧] – آل عمران: ١١٨.

[٨] – التفسير الكبير ٨/١٩٧.

[٩] – آل عمران: ١١٩.

[١٠] – التفسير الكبير ٨/٢٠٠.

قوله: "إن تمسسكم" الخ[١].

في أبي السعود: بيان لتناهي عداوتهم[٢].

قوله تعالى: "وإذ غدوت" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما قال: "وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا" اتبعه بما يدلهم على سنة الله فيهم في باب النصر والمعونة ودفع مضار العدو إذا هُم صبروا واتقوا وخلاف ذلك فيهم إذا لم يصبروا[٤].

قوله تعالى: "ولقد نصركم الله ببدر" الخ[٥].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت لإيجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه[٦].

قوله تعالى: "وما جعله الله إلا بشرى" الخ[٧].

مسوق من جنابه تعالى لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وإن حقيقة النصر مختص به عزوجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان أسبابه[٨].

قوله تعالى: "ليس عليك من الأمر" الخ[٩].

في أبي السعود: اعتراض لتحقيق ان لا تأثير للمنصورين إثر بيان أن لا

---

[١] – آل عمران: ١٢٠.

[٢] – أبو سعود ٢/٧٧.

[٣]– آل عمران: ١٢١.

[٤] – التفسير الكبير ٨/٢٠٤.

[٥] – آل عمران: ١٢٣.

[٦] – أبو سعود ٢/٧٩.

[٧] – آل عمران: ١٢٦.

[٨] – أبو سعود ٢/٨١.

[٩] – آل عمران: ١٢٨.

تأثير للناصرين[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا" الخ[٢].

في أبي السعود: كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الأمر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الأمور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب، جيء به في تضاعيف القصة مسارعة إلى إرشاد المخاطبين إلى ما فيه، وإيذان بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فإن الأمور المذكورة فيه مع كونها مناطاً للفوز في الدارين على الإطلاق عمدة في أمر الجهاد، عليها يدور فلك النصر والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لما لقوا ما لقوا.

ولعل إيراد النهي عن الربا في أثنائها لما أن الترغيب في الإنفاق في السراء والضراء الذي عمدته الإنفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس إلى طرق الاكتساب ومن جملتها الربا فنهوا عن ذلك[٣].

قوله: "قد خلت من قبلكم" الخ[٤].

في أبي السعود: رجوع إلى تفصيل بقية القصة بعد تمهيده مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح[٥].

قوله تعالى: "ولا تهنوا" الخ[٦].

في أبي السعود: تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما أصابهم يوم أحد من القتل والقرح[٧].

---

[١] – أبو سعود ٨٢/٢.

[٢] – آل عمران: ١٣٠.

[٣] – آبو سعود ٨٤/٢.

[٤] – آل عمران: ١٣٧.

[٥] – أبو سعود ٨٧/٢.

[٦] – آل عمران: ١٣٩.

[٧] – أبو سعود٨٨/٢.

قوله تعالى: "إن يمسسكم" الخ[١].

هذا من تمام قوله: " ولا تهنوا[٢].

قوله تعالى: "أم حسبتم" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى الوجوه التي هي الموجبات والمؤثرات في مداولة الأيام ذكر في هذه الآية ما هو السبب الأصلي لذلك فقال: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بدون تحمل المشاق[٤].

قوله تعالى: "وما كان لنفس" الخ[٥].

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق للتنبيه على خطأهم فيما فعلوا حذراً من قتلهم وبناء على الإرجاف بقتله عليه الصلاة والسلام[٦].

قوله تعالى: "وكأين من نبي" الخ[٧].

في أبي السعود: كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام[٨].

قوله تعالى: "وما كان قولهم" الخ[٩].

في أبي السعود: كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية[١٠].

---

[١] – آل عمران: ١٤٠.

[٢] – التفسير الكبير ١٤/٩.

[٣] – آل عمران: ١٤٢.

[٤] – التفسير الكبير ١٨/٩.

[٥] – آل عمران: ١٤٥.

[٦] – أبو سعود٩٤/٢.

[٧] – آل عمران: ١٤٦.

[٨] – أبو سعود ٩٥/٢.

[٩] – آل عمران: ١٤٧.

١٠– أبو سعود ٩٦/٢.

قوله تعالى: "فآتاهم الله ثواب الدنيا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما شرح طريقة الربانيين في الصبر وطريقتهم في الدعاء ذكر أيضاً ما ضمن لهم في مقابلة ذلك في الدنيا والآخرة[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا" الخ[٣].

واعلم أن هذه الآية من تمام الكلام الأول وذلك لأن الكفار لما أرجفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل ودعا المنافقون بعض ضعفة المسلمين إلى الكفر منع المسلمين بهذه الآية عن الالتفات إلى كلام أولئك المنافقين[٤].

قوله تعالى: "سنلقي في قلوب" الخ[٥].

اعلم أن هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره فإنه تعالى ذكر وجوهاً كثيرة في الترغيب في الجهاد وعدم المبالاة بالكفار ومن جملتها ما ذكر في هذه الآية أنه تعالى يلقي الخوف في قلوب الكفار ولا شك أن ذلك مما يوجب استيلاء المسلمين عليهم[٦].

قوله تعالى: "ولقد صدقكم" الخ[٧].

لما وعدهم الله تعالى في هذه الآية المتقدمة إلقاء الرعب في قلوبهم أكد ذلك بأن ذكرهم ما أنجزهم من الوعد بالنصر في واقعة أحد[٨].

قوله تعالى: "ثم أنزل عليكم" الخ[٩].

إنه تعالى بين أنه نصر المؤمنين أولاً فلما عصى بعضهم سلط الخوف عليهم

---

[١] – آل عمران: ١٤٨.

[٢] – التفسير الكبير ٢٨/٩.

[٣] – آل عمران: ١٤٩.

[٤] – التفسير الكبير ٣٠/٩.

[٥] – آل عمران: ١٥١.

[٦] – التفسير الكبير ٣١/٩.

[٧] – آل عمران: ١٥٢.

[٨] – التفسير الكبير ٣٤/٩.

[٩] – آل عمران: ١٥٤.

ثم ذكر أنه أزال ذلك الخوف عن قلب من كان صادقاً في إيمانه مستقراً على دينه بحيث غلب النعاس عليهم[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا" الخ[٢].

اعلم أن المنافقين كانوا يعيرون المؤمنين في الجهاد مع الكفار بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ثم إنه لما ظهر عن بعض المؤمنين فتور وفشل في الجهاد حتى وقع يوم أحد ما وقع وعفا الله بفضله عنهم ذكر في هذه الآية ما يدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم[٣].

قوله تعالى: "فبما رحمة من الله" الخ[٤].

في أبي السعود: تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية أو من سعة ساحة مغفرته تعالى[٥].

قوله تعالى: "إن ينصركم الله" الخ[٦].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفاً للمؤمنين لإيجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ إليه وتحذيرهم عما يفضي إلى خذلانه[٧].

قوله تعالى: "وما كان لنبي" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في الحث على الجهاد اتبعه بذكر أحكام الجهاد ومن

---

[١] – التفسير الكبير ٤٤/٨.

[٢] – آل عمران: ١٥٦.

[٣] – التفسير الكبير ٥٣/٩.

[٤] – آل عمران: ١٥٩.

[٥] – أبو سعود ١٠٥/٢.

[٦] – آل عمران: ١٦٠.

[٧] – أبو سعود ١٠٥/٢.

[٨] – آل عمران: ١٦١.

جملتها المنع من الغلول[١].

قوله تعالى: "أفمن اتبع" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما قال: "ثم توفي" اتبعه بتفصيل هذه الجملة وبين أن جزاء المطيعين ما هو وجزاء المسيئين ما هو[٣].

قوله تعالى: "لقد من الله على المؤمنين" الخ[٤].

لما بين خطأهم في نسبته إلى الغلول والخيانة أكد ذلك بهذه الآية وذلك لأن هذا الرسول ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره إلا الصدق والأمانة والدعوة إلى الله والإعراض عن الدنيا فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة[٥].

قوله تعالى: أو لما أصابتكم" الخ[٦].

في أبي السعود: كلام مبتدأ مسوق لإبطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والأقاويل الباطلة الناشئة منها إثر إبطال بعض آخر منها[٧].

قوله تعالى: "وما أصابكم" الخ[٨].

اعلم أن هذا متعلق بما تقدم من قوله: أولما أصابتكم فذكر في الآية الأولى أنها أصابتهم بذنبهم ومن عند أنفسهم وذكر في هذه الآية أنها أصابتهم بوجه آخر وهو أن يتميز المؤمن عن المنافق[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٦٩/٩.

[٢] – آل عمران: ١٦٢.

[٣] – التفسير الكبير ٧٤/٩.

[٤] – آل عمران: ١٦٤.

[٥] – التفسير الكبير ٧٧/٩.

[٦] – آل عمران: ١٦٥.

[٧] – أبو سعود ١٠٨/٢.

[٨] – آل عمران: ١٦٦.

[٩] – التفسير الكبير ٨٣/٩.

قوله تعالى: "الذين قالوا لإخوانهم" الخ[١].

اعلم أن الذين حكى عنهم أنهم قالوا: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم وصفهم الله تعالى بأنهم كما قعدوا واحتجوا لقعودهم فكذلك ثبطوا غيرهم واحتجوا لذلك[٢].

قوله تعالى: "ولا تحسبن الذين قتلوا" الخ[٣].

في أبي السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يجدي ولا يغني[٤].

قوله تعالى: "يستبشرون بنعمة" الخ[٥].

في أبي السعود: كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقاً بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم بياناً لبعض ما أجمل في قوله تعالى: فرحين[٦].

قوله تعالى: "الذين استجابوا" الخ[٧].

اعلم أن الله تعالى مدح المؤمنين على غزوتين تعرف إحداهما بغزوة حمراء الأسد والثانية بغزوة بدر الصغرى وكلاهما متصلة بغزوة أحد أما غزوة حمراء الأسد فهي المراد من هذه الآية[٨].

---

[١] – آل عمران: ١٦٨.

[٢] – التفسير الكبير ٨٧/٨.

[٣] – آل عمران: ١٦٩.

[٤] – أبو سعود ١١١/٢.

[٥] – آل عمران: ١٧١.

[٦]– أبو سعود١١٣/٢.

[٧] – آل عمران: ١٧٢.

[٨] – التفسير الكبير ٩٧/٩.

قوله تعالى: "الذين قال لهم الناس" الخ[١].

نزلت في غزوة بدر الصغرى[٢].

قوله تعالى: "ولا يحزنك" الخ[٣].

في أبي السعود: تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والإيذان بأصالته في تدبير أمور الدين والاهتمام بشؤونه[٤].

قوله تعالى: "ولا يحسبن الذين كفروا" الخ[٥].

قال المسكين: لعله جواب عن ما يتوهم أن الكفار الذين أوعدهم الله تعالى نراهم في خصب وسعة فكيف هذا فأجاب عنه في هذه الآية.

قوله سبحانه وتعالى: "ما كان الله ليذر المؤمنين" الخ[٦].

هذه الآية من بقية الكلام في قصة أحد[٧].

قوله تعالى: "ولا يحسبن الذين يبخلون" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد في الآيات المتقدمة شرع ههنا في التحريض على بذل المال في الجهاد وبين الوعيد الشديد لمن يبخل ببذل المال في سبيل الله[٩].

---

[١] – آل عمران: ١٧٣.

[٢] – التفسير الكبير ٩٩/٩.

[٣] – آل عمران: ١٧٦.

[٤] – أبوسعود ١١٥/٢.

[٥] – آل عمران: ١٧٨.

[٦] – آل عمران: ١٧٩.

[٧] – التفسير الكبير ١١٠/٩.

[٨] – آل عمران: ١٨٠.

[٩] – التفسير الكبير ١١٢/٩.

قوله تعالى: "لقد سمع الله" الخ[١].

لما أمر المكلفين ببذل النفس والمال في سبيل الله شرع بعد ذلك في حكاية شبهات القوم في الطعن في نبوته فالشبهة الأولى أنه تعالى لو طلب الإنفاق في تحصيل مطلوبه لكان فقيراً ولما كان الفقر على الله تعالى محالاً كان ذلك يدل على كذب إسناد هذا الطلب إلى الله تعالى[٢].

قوله تعالى: "الذين قالوا" الخ[٣].

اعلم أن هذه هي الشبهة الثانية للكفار في الطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم[٤].

قوله تعالى: "كل نفس" الخ[٥].

في أبي السعود: وعد ووعيد للمصدق والمكذب[٦].

قوله تعالى: "لتبلون في أموالكم" الخ[٧].

في أبي السعود: شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره إثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا أنفسهم على احتماله عند وقوعه[٨].

قوله تعالى: وإذ أخذ الله ميثاق" الخ[٩].

---

[١] – آل عمران: ١٨١.

[٢] – التفسير الكبير ١١٦/٩. قال المؤلف في الهامش: غيرت العبارة للأدب فإن لفظ الرازي: ذلك يدل على أن محمداً كاذب في إسناد هذا الطلب إلى الله تعالى.

[٣] – آل عمران: ١٨٣.

[٤] – التفسير الكبير ١٢٠/٩.

[٥] – آل عمران: ١٨٥.

[٦] – أبو سعود ١٢٣/٢.

[٧] – آل عمران: ١٨٦.

[٨] – أبو سعود ١٢٣/٢.

[٩] – آل عمران: ١٨٧.

في أبي السعود: كلام مستأنف سيق لبيان بعض أذياتهم وهو كتمانهم من شواهد نبوته عليه الصلاة والسلام وغيرها[١].

قوله تعالى: "ولا يحسبن الذين يفرحون" الخ[٢].

في أبي السعود: الجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي إثر بيان قباحتها وقد أدمج فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو إصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما ليس فيهم من الأوصاف الجميلة[٣].

قوله تعالى: "إن في خلق السماوات" الخ[٤].

اعلم أن المقصود من هذا الكتاب الكريم جذب القلوب والأرواح من الاشتغال بالخلق إلى الاستغراق في معرفة الحق فلما طال الكلام في تقرير الأحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية والكبرياء والجلال[٥].

قوله تعالى: "الذين يذكرون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل الإلهية والقدرة والحكمة وهو ما يتصل بتقرير الربوبية ذكر بعدها ما يتصل بالعبودية[٧].

قوله تعالى: "فاستجاب لهم" الخ[٨].

بين في هذه الآية أنه استجاب دعائهم[٩].

---

[١] – أبو سعود ١٢٤/٢.

[٢] – آل عمران: ١٨٨.

[٣] – أبو سعود ١٢٦/٢.

[٤] – آل عمران: ١٩٠.

[٥] – التفسير الكبير ١٣٣/٩.

[٦] – آل عمران: ١٩١.

[٧] – التفسير الكبير ١٣٥/٩.

[٨] – آل عمران: ١٩٥.

[٩] – التفسير الكبير ١٤٩/٩.

قوله تعالى: "ولا يغرنك" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما وعد المؤمنين بالثواب العظيم وكانوا في الدنيا في نهاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم ذكر الله تعالى في هذه الآية ما يسليهم ويصبرهم على تلك الشدة[٢].

قوله تعالى: "لكن الذين اتقوا" الخ[٣].

لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد[٤].

قوله تعالى: "وإن من أهل الكتاب" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر حال المؤمنين وكان قد ذكر حال الكفار من قبل بأن مصيرهم إلى النار بين في هذه الآية أن من آمن منهم كان داخلاً في صفة لكن الذين اتقوا[٦].

في أبي السعود: جملة مستأنفة سيقت لبيان أن أهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" الخ[٨].

في أبي السعود: إثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون الحكم والأحكام فتمت بما يوجب المحافظة عليها[٩].

---

[١] – آل عمران: ١٩٦.

[٢] – التفسير الكبير ١٥٢/٩.

[٣] – آل عمران: ١٩٨.

[٤] – التفسير الكبير ١٥٣/٩.

[٥] – آل عمران: ١٩٩.

[٦] – التفسير الكبير ١٥٤/٩.

[٧] – أبو سعود ١٣٦/٢.

[٨] – آل عمران: ٢٠٠.

[٩] – أبو سعود ١٣٦/٢.

سورة النساء

وجه تعلق أولها بآخر ما قبلها أن كليهما مشترك في الأمر بالتقوى[١].

قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا" الخ[٢].

اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف وذلك لأنه تعالى أمر الناس في أول هذه السورة بالتعطف على الأولاد والنساء والأيتام والرأفة بهم وإيصال حقوقهم إليهم وحفظ أموالهم عليهم وبهذا المعنى ختمت السورة وهو قوله تعالى: يستفتونك الآية وذكر في أثناء هذه السورة أنواعاً آخر من التكاليف وهي الأمر بالطهارة والصلاة وقتال المشركين ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفس لثقلها على الطباع لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة وهي تقوى الرب الذي خلقنا والإله الذي أوجدنا فلهذا قال: "يا أيها الناس اتقوا" الخ[٣].

قوله تعالى: "وآتوا اليتامى" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما افتتح السورة بذكر ما يدل على أنه يجب على العبد أن يكون منقاداً لتكاليف الله تعالى محترزاً عن مساخطه شرع بعد ذلك في شرح اقسام التكاليف فالنوع الأول ما يتعلق بأموال اليتامى وهو هذه الآية[٥].

قوله تعالى: "وإن خفتم أن لا تقسطوا" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من الأحكام التي ذكرها في هذه السورة وهو

---

[١] – وقع هذا في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – النساء: ١.

[٣] – التفسير الكبير ١٥٧/٩.

[٤] – النساء: ٢.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٧/٩.

[٦] – النساء: ٣.

حكم الأنكحة[١].

قوله تعالى: "ولا تؤتوا السفهاء" الخ[٢].

واعلم أن هذا هو النوع الثالث من الأحكام المذكورة في هذه السورة[٣].

في أبي السعود: رجوع إلى بيان بقية الأحكام المتعلقة بأموال اليتامى وتفصيل ما أجمل فيما سبق من شرط إيتائها ووقته وكيفيته[٤].

قوله تعالى: "وابتلوا" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما أمر من قبل بدفع مال اليتيم إليه بقوله: وآتوا اليتامى بين في هذه الآية متى يؤتيهم أموالهم[٦].

قوله تعالى: "للرجال نصيب" الخ[٧].

اعلم أن هذا هو النوع الرابع من الأحكام المذكورة في هذه السورة وهو ما يتعلق بالمواريث والفرائض[٨].

قوله تعالى: "وليخش الذين" الخ[٩].

في أبي السعود: أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى[١٠].

قوله تعالى: "إن الذين يأكلون" الخ[١١].

---

[١] – التفسير الكبير ١٧٠/٩.

[٢] – النساء: ٥.

[٣] – التفسير الكبير ١٨٣/٩.

[٤] – أبو سعود ١٤٤/٢.

[٥] – النساء: ٦.

[٦] – التفسير الكبير ١٨٧/٩.

[٧] – النساء: ٧.

[٨] – التفسير الكبير ١٩٤/٩.

[٩] – النساء: ٩.

[١٠] – أبو سعود ١٤٧/٢.

[١١] – النساء: ١٠.

في أبي السعود: استيناف جيئ به لتقرير مضمون ما فصل من الأوامر والنواهي[١].

قوله تعالى: "يوصيكم الله" الخ[٢].

في أبي السعود: شروع في تفصيل أحكام المواريث المجملة في قوله تعالى: للرجال نصيب الخ[٣].

قوله تعالى: "تلك حدود الله" الخ[٤].

إنه تعالى بعد بيان سهام المواريث ذكر الوعد والوعيد ترغيباً في الطاعة وترهيباً عن المعصية[٥].

قوله تعالى: "واللاتي يأتين" الخ[٦].

في أبي السعود: شروع في بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث[٧].

قوله تعالى: "إنما التوبة" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المرتكبَين للفاحشة إذا تابا وأصلحا زال الأذى عنهما وأخبر على الإطلاق أيضاً أنه تواب رحيم ذكر وقت التوبة وشرطها ورغبهم في تعجيلها لئلا يأتيهم الموت وهم مصرون فلا تنفعهم التوبة[٩].

---

[١] – أبو سعود١٤٨/٢.

[٢] – النساء: ١١.

[٣] – أبو سعود ١٤٨/٢.

[٤] – النساء: ١٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢٢٧/٩.

[٦] – النساء: ١٥.

[٧] – أبو سعود ١٥٤/٢.

[٨] – النساء: ١٧.

[٩] – التفسير الكبير ٢/١٠.

قوله تعالى: "وليست التوبة" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر شرائط التوبة المقبولة أردفها بشرح التوبة التي لا تكون مقبولة[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى بعد وصف التوبة عاد إلى أحكام النساء، واعلم أن أهل الجاهلية كانوا يؤذون النساء بأنواع كثيرة من الإيذاء ويظلمونهن بضروب من الظلم فالله تعالى نهاهم عنها في هذه الآيات فالنوع الأول (من الأحكام) قوله تعالى: لا يحل لكم[٤].

النوع الثاني من الأحكام قوله تعالى: "ولا تعضلوهن" الخ[٥].

النوع الثالث قوله تعالى: "وعاشروهن" الخ[٦].

النوع الرابع قوله تعالى: "وإن أردتم" الخ[٧].

النوع الخامس من الأمور المتعلقة بالنساء قوله تعالى: "ولا تنكحوا ما نكح" الخ[٨].

النوع السادس قوله تعالى: "حرمت عليكم أمهاتكم" الخ[٩].

النوع السابع قوله تعالى: "ومن لم يستطع" الخ[١٠].

قوله تعالى: "يريد الله" الخ[١١].

---

[١] – النساء: ١٨.

[٢] – التفسير الكبير ٦/١٠.

[٣] – النساء: ١٩.

[٤] – التفسير الكبير ١٠/١٠، ما بين القوسين من الهامش.

[٥] – النساء: ١٩.

[٦] – النساء: ١٩.

[٧] – النساء: ٢٠.

[٨] – النساء: ٢٢.

[٩] – النساء: ٢٣.

[١٠] – النساء: ٢٥ كل ذلك من التفسير الكبير ١٠.

[١١] – النساء: ٢٦.

في أبي السعود: استيناف مسوق لتقرير ما سبق من الأحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الأنبياء والصالحين[١].

قوله تعالى: "والله يريد" الخ[٢].

في أبي السعود: جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما أراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان إرادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير[٣].

النوع الثامن قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا" الخ[٤].

لما شرح كيفية التصرف في النفوس بسبب النكاح ذكر بعده كيفية التصرف في الأموال[٥].

قوله تعالى: "ولا تقتلوا أنفسكم" الخ[٦].

في أبي السعود: قد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقيقها من حيث إنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها[٧].

قوله تعالى: "إن تجتنبوا" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر الوعيد (على إهمال الأحكام المذكورة)[٩]، اتبعه بتفصيل ما يتعلق به[١٠].

---

[١] – أبو سعود٢/١٦٨.

[٢] – النساء: ٢٨.

[٣] – أبوسعود ٢/١٦٩.

[٤] – النساء: ٢٩.

[٥] – التفسير الكبير ١٠/٦٩.

[٦] – النساء: ٢٩.

[٧] – أبو سعود٢/١٧٠.

[٨] – النساء: ٣١.

[٩] – ما بين القوسين من الهامش.

[١٠] – التفسير الكبير ١٠/٧٣.

قوله تعالى: "ولا تتمنوا ما فضل الله" الخ[١].

في أبي السعود: قال القفال: لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس عقبه بالنهي عما يؤدي إليه من الطمع في أموالهم وتمنيها وقيل نهاهم أولاً عن التعرض لأموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير أعمالهم الظاهرة والباطنة[٢].

قوله تعالى: "للرجال نصيب" الخ[٣].

في أبي السعود: لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده[٤].

قوله تعالى: "ولكل جعلنا موالي" الخ[٥].

في أبي السعود: جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها[٦].

قوله تعالى: "الرجال قوامون" الخ[٧].

في أبي السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلاً إثر بيان تفاوت استحقاقهم إجمالاً[٨].

النوع التاسع قوله تعالى: "واعبدوا الله" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما أرشد كل واحد من الزوجين إلى المعاملة الحسنة مع الآخر

---

[١] – النساء: ٣٢.

[٢] – أبو سعود ١٢١/٢.

[٣] – النساء: ٣٢.

[٤] – أبو سعود ١٧٢/٢.

[٥] – النساء: ٣٣.

[٦] – أبو سعود ١٧٢/٢.

[٧] – النساء: ٣٤.

[٨] – أبو سعود ١٧٣/٢.

[٩] – النساء: ٣٦.

وإلى إزالة الخصومة والخشونة أرشد في هذه الآية إلى سائر الأخلاق الحسنة[١].

قوله تعالى: "وما ذا عليهم" الخ[٢].

في أبي السعود: أي على من ذكر من الطوائف[٣].

قال المسكين: أي غير المؤمنين وغير المخلفين في الإنفاق.

قوله تعالى: "إن الله لا يظلم" الخ[٤].

اعلم أن تعلق هذه الآية هو بقوله تعالى: وما ذا عليهم[٥].

قوله تعالى: "فكيف إذا جئنا" الخ[٦].

وجه النظم هو أنه تعالى بين أن في الآخرة لا يجري على أحد ظلم وأنه تعالى يجازي المحسن على إحسانه ويزيده على قدر حقه فبين تعالى في هذه الآية أن ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ويكون هذا وعيداً للكفار ووعداً للمطيعين[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة" الخ[٨].

النوع العاشر من التكاليف المذكورة في هذه السورة[٩].

وقوله تعالى: "الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً" الخ[١٠].

قال المسكين: لعله مرتبط بقوله تعالى: ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أي

---

[١] – التفسير الكبير ٩٤/١٠.

[٢] – النساء: ٣٩.

[٣] – أبو سعود ١٧٧/٢.

[٤] – النساء: ٤٠.

[٥] – التفسير الكبير ١٠١/١٠.

[٦] – النساء: ٤٢.

[٧] – التفسير الكبير ١٠٥/١٠.

[٨] – النساء: ٤٣.

[٩] – التفتسير الكبير ١٠٧/١٠.

[١٠] – النساء: ٤٤.

من العلم ونعت النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله تعالى ثمه: وأعتدنا للكافرين لأن كتمانهم هذا كفر لاكتمان الأموال فقرر في هذه الآية ما يتعلق بهذا الكتمان من أخذ حطام الدنيا عليه وتحريف الكتاب ومعاداة صاحب النعت.

قوله تعالى: "يا أيها الذين أوتوا الكتاب" الخ[١].

بعد أن حكى عن اليهود أنواع مكرهم وإيذائهم أمرهم بالإيمان وقرن بهذا الأمر الوعيد الشديد على الترك[٢].

قوله تعالى: "إن الله لا يغفر" الخ[٣].

في أبي السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة[٤].

قوله تعالى: "الم تر إلى الذين يزعمون" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما هدد اليهود بقوله: إن الله لا يغفر قالوا لسنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى كما حكي تعالى عنهم أنهم قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه فذكر تعالى في هذه الآية أنه لا عبرة بتزكية الإنسان نفسه وإنما العبرة بتزكية الله[٦].

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين أوتوا" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى حكى عن اليهود نوعاً آخر من المكر وهو أنهم كانوا يفضلون عبدة الأصنام على المؤمنين ولا شك أنهم كانوا عالمين بأن ذلك باطل فكان إقدامهم على هذا القول بمحض العناد والتعصب[٨].

---

[١] – النساء: ٤٧.

[٢] – التفسير الكبير ١٢٠/١٠.

[٣] – النساء: ٤٨.

[٤] – أبو سعود ١٨٧/٢.

[٥] – النساء: ٥٠.

[٦] – التفسير الكبير ١٢٦/٩.

[٧] – النساء: ٥١.

[٨] – التفسير الكبير ١٢٨/١٠.

قوله تعالى: "أم لهم نصيب" الخ[١].

اعلم أنه تعالى وصف اليهود في الآية المتقدمة بالجهل الشديد وهو اعتقادهم أن عبادة الأوثان أفضل من عبادة الله وصفهم في هذه الآية بالبخل والحسد[٢].

قوله تعالى: "فمنهم من آمن" الخ[٣].

والمعني أن أولئك الأنبياء مع ما خصصتهم به من النبوة والملك جرت عادة أممهم فيهم أن بعضهم من آمن به وبعضهم بقوا على الكفر، يا محمد لا تتعجب مما عليه هؤلاء وذلك تسلية من الله[٤].

قوله تعالى: إن الذين كفروا" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى بعد ما ذكر الوعيد بالطائفة الخاصة من أهل الكتاب بين ما يعم الكافرين من الوعيد[٦].

قوله تعالى: "والذين آمنوا" الخ[٧].

اعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم بأن الوعد والوعيد يتلازمان في الذكر على سبيل الأغلب[٨].

قوله تعالى: "إن الله يأمركم" الخ[٩].

لما حكى عن أهل الكتاب أنهم كتموا الحق أمر المؤمنين في هذه الآية بأداء الأمانات في جميع الأمور سواء كانت تلك الأمور من باب المذاهب والديانات أو من

---

[١] – النساء: ٥٣.

[٢] – التفسير الكبير ١٢٩/١٠.

[٣] – النساء: ٥٥.

[٤] – التفسير الكبير ١٣٣/١٠.

[٥] – النساء: ٥٦.

[٦] – التفسير الكبير ١٣٤/١٠.

[٧] – النساء: ٥٧.

[٨] – التفسير الكبير ١٣٦/١٠.

[٩] – النساء: ٥٨.

باب الدنيا والمعاملات[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أمر الرعاة والولاة بالعدل في الرعية أمر الرعية بطاعة الولاة[٣].

قوله تعالى: "الم تر إلى الذين" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما أوجب في الآية الأولى على جميع المكلفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ذكر في هذه الآية أن المنافقين والذين في قلوبهم مرض لا يطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه وإنما يريدون حكم غيره[٥].

قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أمر بطاعة الرسول في قوله: وأطيعوا الرسول رغب في هذه الآية مرة أخرى في طاعة الرسول[٧].

قوله تعالى: "ولو أنا كتبنا" الخ[٨].

اعلم أن هذه الآية متصلة بما تقدم من أمر المنافقين وترغيبهم في الإخلاص وترك النفاق والمعنى أنا لو شددنا التكليف على الناس لصعب ذلك عليهم وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم فلما لم نفعل ذلك رحمة منا على عبادنا بل اكتفينا بتكليفهم في الأمور السهلة فليقبلوها بالإخلاص حتى ينالوا خير الدارين[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٣٧/١٠.

[٢] – النساء: ٥٩.

[٣] – التفسير الكبير ١٤٣/١٠.

[٤] – النساء: ٦٠.

[٥] – التفسير الكبير ١٥٣/١٠.

[٦] – النساء:٦٤.

[٧] – التفسير الكبير ١٥٩/١٠.

[٨] – النساء: ٦٦.

[٩] – التفسير الكبير ١٦٦/١٠.

قوله تعالى: "ومن يطع الله" الخ[١].

أكد الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول في هذه الآية مرة أخرى[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا خذوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى عاد بعد الترغيب في طاعة الله وطاعة الرسول إلى ذكر الجهاد الذي تقدم لأنه أشق الطاعات ولأنه أعظم الأمور التي بها يحصل تقوية الدين[٤].

قوله تعالى: "فليقاتل" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذم المبطئين في الجهاد عاد إلى الترغيب فيه[٦].

قوله تعالى: "وما لكم لا تقاتلون" الخ[٧].

اعلم أن المراد منه إنكاره تعالى لتركهم القتال فصار ذلك توكيداً لما تقدم من الأمر بالجهاد[٨].

قوله تعالى: "الذين آمنوا يقاتلون" الخ[٩].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بإمداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف أعدائهم[١٠].

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين قيل لهم" الخ[١١].

---

[١] – النساء: ٦٩.

[٢] – التفسير الكبير ١٠/١٦٩.

[٣] – النساء: ٧١.

[٤] – التفسير الكبير ١٠/١٧٦.

[٥] – النساء: ٧٤.

[٦] – التفسير الكبير ١٠/١٨٠.

٧– النساء: ٧٥.

[٨] – التفسير الكبير ١٠/١٨١.

٩– النساء: ٧٦.

[١٠] – أبو سعود ٢/٢٠٢.

[١١] – النساء: ٧٧.

قال أبو السعود: تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من إحجامهم عن القتال مع أنهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصاً عليه[١].

قوله تعالى: "أين ما تكونوا" الخ[٢].

والمقصود من هذا الكلام تبكيت من حكى عنهم أنهم عند فرض القتال يخشون الناس الخ فبين تعالى أنه لا خلاص لهم من الموت فبان يقع على وجه يكون مستعقباً للسعادة الأبدية كان أولى[٣].

قوله تعالى: "وإن تصبهم" الخ[٤].

لما حكى عن المنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد حكى عنهم في هذه الآية خصلة أخرى قبيحة أقبح من الأولى[٥].

قوله تعالى: "وأرسلناك للناس" الخ[٦].

قال أبو السعود: بيان لجلالة منصبه عليه الصلاة والسلام ومكانته عند الله عزوجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه الصلاة والسلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل[٧].

قوله تعالى: "من يطع الرسول" الخ[٨].

قال أبو السعود: بيان لأحكام رسالته عليه الصلاة والسلام إثر بيان تحققها وثبوتها[٩].

---

[١] – أبو سعود ٢٠٣/٢.

[٢] – النساء: ٧٨.

[٣] – التفسير الكبير ١٨٧/١٠.

[٤] – النساء: ٧٨.

[٥] – التفسير الكبير ١٨٧/١٠.

[٦] – النساء: ٧٩.

[٧] – أبو سعود ٢٠٦/٢.

[٨] – النساء: ٨٠.

[٩] – أبو سعود ٢٠٦/٢.

قوله تعالى: "ويقولون طاعة" الخ[١].

قال أبو السعود: شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته[٢].

قوله تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافقين أنواع مكرهم وكيدهم وكان كل ذلك لأجل أنهم كانوا لا يعتقدون كونه محقاً في ادعاء الرسالة صادقاً فيه بل كانوا يعتقدون أنه مفتر متخرص فلا جرم أمرهم الله تعالى بأن ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة نبوته[٤].

قوله تعالى: "وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى حكى عن المنافقين في هذه الآية نوعاً آخر من الأعمال الفاسدة وهو "إذا جاءهم أمر من الأمن" الخ[٦].

قوله تعالى: "فقاتل في سبيل الله" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما أمر بالجهاد ورغب فيه أشد الترغيب في الآيات المتقدمة عاد في هذه الآية إلى الأمر بالجهاد[٨].

قوله تعالى: "من يشفع شفاعة" الخ[٩].

قال أبو السعود: جملة سيقت لبيان أن له عليه الصلاة والسلام فيما أمر به من

---

[١] – النساء: ٨١.

[٢] – أبو سعود ٢٠٧/٢.

[٣] – النساء: ٨٢.

[٤] – التفسير الكبير ١٩٦/١٠.

[٥] – النساء: ٨٣.

[٦] – التفسير الكبير ١٩٨/١٠.

[٧] – النساء: ٨٤.

[٨] – التفسير الكبير ٢٠٣/١٠.

[٩] – النساء: ٨٥.

تحريض المؤمنين حظاً موفوراً[١].

قوله تعالى: "وإذا حييتم" الخ[٢].

في النظم وجهان الأول أنه لما أمر المؤمنين بالجهاد أمرهم أيضاً بأن الأعداء لو رضوا بالمسالمة فكونوا أنتم راضين بها. الثاني أن الرجل في الجهاد كان يلقي الرجل في دار الحرب أو ما يقاربها فيسلم عليه فلا يلتفت إلى سلامه عليه ويقتله وربما ظهر أنه كان مسلماً فمنع الله المؤمنين عنه[٣].

قوله تعالى: "الله لا إله إلا هو" الخ[٤].

أكد بالوعيد في قوله: إن الله كان على كل شيء حسيباً ثم بالغ في تاكيد ذلك الوعيد بهذه الآية[٥].

قوله تعالى: "فما لكم في المنافقين" الخ[٦].

اعلم أن هذا نوع آخر من أحوال المنافقين[٧].

قوله تعالى: "ودوا لو تكفرون" الخ[٨].

لما قال في هذه الآية أتريدون قرر ذلك الاستبعاد بأن قال أنهم بلغوا في الكفر إلى أنهم يتمنون أن تصيروا أيها المسلمون كفاراً فلما بلغوا في تعصبهم في الكفر إلى هذا الحد فكيف تطمعون في إيمانهم[٩].

---

[١] – أبو سعود ٢/٢١٠.

[٢] – النساء: ٨٦.

[٣] – التفسير الكبير ١٠/٢٠٩.

[٤] – النساء: ٨٧.

[٥] – التفسير الكبير ١٠/٢٦٦.

[٦] – النساء: ٨٨.

[٧] – التفسير الكبير ١٠/٢١٨.

[٨] – النساء: ٨٩.

[٩] – التفسير الكبير ١٠/٢٢٠.

قوله تعالى: "وما كان لمؤمن" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما رغب في مقاتلة الكفار وحرض عليها ذكر بعد ذلك ما يتعلق بهذه المحاربة فمنها أنه قد يتفق أن يرى الرجل رجلاً يظنه كافراً حربيا فيقتله ثم يتبين أنه كان مسلماً فذكر الله تعالى حكم هذه الواقعة في هذه الآية[٢].

قوله تعالى: "ومن يقتل مؤمناً" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما ذكر حكم القتل الخطأ ذكر بعده بيان حكم القتل العمد وله أحكام وقد ذكر تعالى ذلك في سورة البقرة فلا جرم ههنا اقتصر على بيان ما فيه من الإثم والوعيد[٤].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم" الخ[٥].

اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين وأمر المجاهدين بالتثبت فيه لئلا يسفكوا دماً حراماً بتأويل ضعيف[٦].

قوله تعالى: "لا يستوي القاعدون" الخ[٧].

قال أبو السعود: بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتزله رغبة في ارتفاع طبقته[٨].

قوله تعالى: "إن الذين توفاهم" الخ[٩].

---

[١] – النساء: ٩٢.

[٢] – التفسير الكبير ٢٢٦/١٠.

[٣] – النساء: ٩٣.

[٤] – التفسير الكبير ٢٣٧/١٠.

٥ – النساء: ٩٤.

[٦] – التفسير الكبير ٢/١١.

[٧] – النساء: ٩٥.

[٨] – أبو سعود ٢٢٠/٢.

[٩] – النساء: ٩٧.

قال أبو السعود: بيان لحال القاعدين عن الهجرة إثر بيان حال القاعدين عن الجهاد[١].

قوله تعالى: "ومن يهاجر" الخ[٢].

قال أبو السعود: ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها[٣].

قوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض" الخ[٤].

اعلم أن أحد الأمور التي يحتاج المجاهد إليها معرفة كيفية أداء الصلاة في زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو فلهذا المعنى ذكره الله تعالى في هذه الآية[٥].

قوله تعالى: "وإذا كنت فيهم" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة حال قصر الصلاة بحسب الكمية في العدد بين في هذه الآية حالها في الكيفية[٧].

قوله تعالى: "ولا تهنوا" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر بعض الأحكام التي يحتاج المجاهد إلى معرفتها عاد مرة أخرى إلى الحث على الجهاد[٩].

قوله تعالى: "إنا أنزلنا إليك" الخ[١٠].

لما شرح أحوال المنافقين على سبيل الاستقصاء ثم اتصل بذلك أمر المحاربة

---

[١] – أبو سعود ٢/٢٢٢.

[٢] – النساء: ١٠٠.

[٣] – أبو سعود ٢/٢٢٤.

[٤] – النساء: ١٠١.

[٥] – التفسير الكبير ١١/١٦.

٦– النساء: ١٠٢.

[٧] – التفسير الكبير ١١/٢٤.

[٨] – النساء: ١٠٤.

[٩] – التفسير الكبير ١١/٣١.

[١٠] – النساء: ١٠٦.

واتصل بذكر المحاربة ما يتعلق بها من الأحكام الشرعية رجع الكلام بعد ذلك إلى أحوال المنافقين وذكر أنهم كانوا يحاولون أن يحملوا الرسول عليه الصلاة والسلام على أن يحكم بالباطل ويذر الحكم الحق فاطلع الله رسوله عليه وأمره بأن لا يلتف إليهم ولا يقبل قولهم في هذا الباب[١].

قوله تعالى: "ومن يشاقق الرسول" الخ[٢].

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها هو ما روى أن طعمة بن ابيرق لما رأى أن الله تعالى هتك ستره وبرأ اليهود عن تهمة السرقة ارتد وذهب إلى مكة ونقب جدار إنسان لأجل السرقة فتهدم الجدار عليه ومات فنزلت هذه الآية[٣].

قوله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك" الخ[٤].

إنما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد أن ذلك السارق لو لم يرتد لم يصر محروماً عن رحمتي ولكنه لما ارتد وأشرك بالله صار محروماً قطعاً عن رحمة الله ثم أنه تعالى بين كون الشرك ضلالاً بعيداً فقال: إن يدعون[٥].

قوله تعالى: "ليس بأمانيكم" الخ[٦].

قال المسكين: إبطال للأماني المذكورة سابقاً في قوله تعالى: يعدهم ويمنيهم وذكر أماني أهل الكتاب استطراداً وتتميماً للفائدة ثم ذكر كون الإيمان والأعمال معتبراً بقوله: من يعمل الخ.

قوله تعالى: "ومن أحسن ديناً" الخ[٧].

اعلم أنه لما شرط حصول النجاة والفوز بالجنة بكون الإنسان مؤمناً شرح

---

[١] – التفسير الكبير ٣٢/١١.

[٢] – النساء: ١١٥.

[٣]– التفسير الكبير ٤٢/١١.

[٤] – النساء: ١١٧.

[٥] – التفسير الكبير ٤٥/١١ و٤٦.

[٦] – النساء: ١٢٢.

[٧] – النساء: ١٢٧.

الإيمان وبين فضله[١].

قوله تعالى: "ويستفتونك في النساء" الخ[٢].

اعلم أن عادة الله تعالى في ترتيب هذا الكتاب الكريم وقع على أحسن الوجوه وهو أنه يذكر شيئاً من الأحكام ثم يذكر عقيبه آيات كثيرة في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ويخلط بها آيات دالة على كبرياء الله وجلال قدرته وعظمة إلهيته ثم يعود مرة أخرى إلى بيان الأحكام وهذا أحسن أنواع الترتيب وأقربها إلى التأثير في القلوب لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا يقع في موقع القبول إلا إذا كان مقروناً بالوعد والوعيد، والوعد والوعيد لا يؤثر في القلب إلا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد، فظهر أن هذا الترتيب أحسن الترتيبات اللائقة بالدعوة إلى الدين الحق.

إذا عرفت هذا فنقول إنه سبحانه ذكر في أول هذه السورة أنواعاً كثيرة من الشرائع والتكاليف ثم أتبعها بشرح أحوال الكافرين والمنافقين واسقتصى في ذلك ثم ختم تلك الآيات بالآيات الدالة على عظمة جلال الله وكمال كبريائه ثم عاد بعد ذلك إلى بيان الأحكام فقال ويستفتونك الخ[٣].

قوله تعالى: "وان امرأة خافت" الخ[٤].

اعلم أن هذا من جملة ما أخبر الله تعالى أنه يفتيهم به في النساء مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة[٥].

قوله تعالى: "ولله ما في السموات"[٦].

---

[١] – التفسير الكبير ٥٦/١١.

[٢] – النساء: ١٢٧.

[٣] – التفسير الكبير ٦٢/١١ و٦١.

[٤] – النساء: ١٢٨.

[٥] – التفسير الكبير ٦٤/١١.

[٦] – النساء: ١٣١.

لما ذكر أنه يغني كلا من سعته وأنه واسع اشار إلى ماهو كالتفسير لكونه واسعاً[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كونوا" الخ[٢].

تقدم في هذه السورة أمر الناس بالقسط وأمرهم بالإشهاد عند دفع أموال اليتامى إليهم وأمرهم بعد ذلك ببذل النفس والمال في سبيل الله وأجرى في هذه السورة قصة طعمة بن ابيرق واجتماع قومه على الذب عنه بالكذب والشهادة على اليهودي بالباطل ثم أنه تعالى أمر في هذه الآيات بالمصالحة مع الزوجة ومعلوم أن ذلك أمر من الله لعباده بأن يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل أحد بل وعلى أنفسهم فكانت هذه الآية كالمؤكد لكل ما جرى ذكره في هذه السورة من أنواع التكاليف[٣].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا آمنوا" الخ[٤].

لما بين الأحكام الكثيرة في هذه السورة ذكر عقيبها آية الأمر بالإيمان[٥].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أمر بالإيمان ورغب فيه بين فساد طريقة من يكفر بعد الإيمان[٧].

قوله تعالى: "بشر المنافقين" الخ[٨].

قال المسكين: ذكر المنافقين إثر ذكر الكافرين.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٦٩/١١.

[٢] – النساء: ١٣٥.

[٣] – التفسير الكبير ٧٢/١١ و٧٣.

[٤] – النساء: ١٣٦.

[٥] – التفسير الكبير ٧٥/١١.

[٦] – النساء: ١٣٧.

[٧] – التفسير الكبير ٧٧/١١.

[٨] – النساء: ١٣٨.

[٩] – النساء: ١٤٤.

اعلم أنه تعالى لما ذم المنافقين بأنهم مرة إلى الكفرة ومرة إلى المسلمين من غير أن يستقروا مع أحد الفريقين نهي المسلمين في هذه الآية أن يفعلوا مثل فعلهم[١].

قوله تعالى: "لا يحب الله الجهر" الخ[٢].

قال المسكين: نهى الله تعالى فيما سبق عن موالاة الكفار ونهي في هذه الآية عن معاداتهم بما لم يأذن به الشرع.

قوله تعالى: "إن الذين يكفرون بالله ورسله" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما تكلم على طريقة المنافقين عاد يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى ومناقضاتهم وذكر في آخر هذه السورة من هذا الجنس أنواعاً. النوع الأول من أباطيلهم إيمانهم ببعض الأنبياء دون البعض[٤].

قوله تعالى: "والذين آمنوا" الخ[٥].

لما ذكر الوعيد أردفه بالوعد[٦].

قوله تعالى: "يسئلك أهل الكتاب" الخ[٧].

اعلم أن هذا النوع الثاني من جهالات اليهود[٨].

قوله تعالى: "فبظلم" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما شرح في فضائح أعمال اليهود وقبائح الكافرين ذكر عقيبه تشديده تعالى عليهم في الدنيا والآخرة[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ٨٦/١١.

[٢] – النساء: ١٤٨.

[٣] – النساء: ١٥٠.

[٤] – التفسير الكبير ٩٢/١١.

[٥] – النساء: ١٥٢.

[٦] – التفسير الكبير ٩٣/١١.

[٧] – النساء: ١٥٣.

[٨] – التفسير الكبير ٩٤/١١.

[٩] – النساء: ١٦٠.

[١٠] – التفسير الكبير ١٠٥/١١.

قوله تعالى: "لكن الراسخون" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما وصف طريقة الكفار والجهال من اليهود وصف طريقة المؤمنين منهم[٢].

قوله تعالى: "إنا أوحينا إليك" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما حكي أن اليهود سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتاباً من السماء وذكر تعالى بعده أنهم لا يطلبون ذلك لأجل الاسترشاد ولكن لأجل العناد واللجاج وحكى أنواعاً من فضائحهم وقبائحهم وامتد الكلام إلى هذا المقام شرع الآن في الجواب عن تلك الشبهة فقال إنا أوحينا الخ، والمعنى إنا توافقنا على نبوة نوح وإبراهيم وإسماعيل وجميع المذكورين في هذه الآية وعلى أن الله تعالى أوحي إليهم ولا طريق إلى العلم بكونهم أنبياء الله ورسله إلا ظهور المعجزات عليهم ولكل واحد منهم نوع آخر من المعجزات على التعيين وما أنزل الله على كل واحد من هؤلاء المذكورين كتاباً بتمامه مثل ما أنزل إلى موسى فلما لم يكن عدم إنزال الكتاب على هؤلاء دفعة واحدة قادحاً في نبوتهم بل كفى في إثبات نبوتهم ظهور نوع واحد من أنواع المعجزات عليهم علمنا أن هذه الشبهة زائلة وأن إصرار اليهود على طلب هذه المعجزة باطل[٤].

قوله تعالى: "لكن الله يشهد" الخ[٥].

لما قال: إنا أوحينا إليك قال القوم: نحن لا نشهد لك بذلك فنزل لكن الله يشهد[٦].

---

[١] – النساء: ١٦٢.

[٢] – التفسير الكبير ١١/١٠٥.

[٣] – النساء: ١٦٣.

[٤] – التفسير الكبير ١١/١٠٨.

[٥] – النساء: ١٦٦.

[٦] – التفسير الكبير ١١/١١١.

قوله تعالى: "إن الذين كفروا وصدوا" الخ[١].

اعلم أن هذا من صفات اليهود الذين تقدم ذكرهم[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم الرسول" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة اليهود على الوجوه الكثيرة وبين فساد طريقتهم ذكر خطاباً عاماً يعمهم ويعم غيرهم في الدعوة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم[٤].

قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لا تغلوا" الخ[٥].

واعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات اليهود تكلم بعد ذلك مع النصارى في هذه الآية[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما أورد الحجة على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى وأجاب عن جميع شبهاتهم عمم الخطاب ودعا جميع الناس إلى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم[٨].

قوله تعالى: "يستفتونك" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى تكلم في أول السورة في أحكام الأموال وختم آخرها بذلك ليكون الآخر مشاكلاً للأول ووسط السورة مشتمل على المناظرة مع الفرق المخالفين للدين[١٠].

---

[١] – النساء: ١٦٧.

[٢] – التفسير الكبير ١١٢/١١.

[٣] – النساء: ١٧٠.

[٤] – التفسير الكبير ١١٣/١١.

[٥] – النساء: ١٧١.

[٦] – التفسير الكبير ١١٥/١١.

[٧] – النساء: ١٧٤.

[٨] – التفسير الكبير ١١٩/١١.

[٩] – النساء: ١٧٦.

[١٠] – التفسير الكبير ١٢٠/١١.

سورة المائدة

وجه الارتباط بين أولها وآخر ما قبلها أن الله تعالى ختم السورة المتقدمة بقوله: "يبين الله لكم أن تضلوا" وفي هذه السورة بين الأحكام الضرورية[١].

اعلم أنه تعالى لما قرر بالآية الأولى جميع المكلفين أنه يلزمهم الانقياد لجميع تكاليف الله تعالى وذلك كالأصل الكلي والقاعدة الجميلة شرع بعد ذلك في ذكر التكاليف المفصلة فبدأ بذكر ما يحل وما يحرم من المطعومات[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما حرم الصيد على المحرم في الآية الاولى أكد ذلك بالنهي في هذه الآية عن مخالفة تكاليف الله تعالى[٤].

قوله تعالى: "حرمت عليكم" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى قال في أول السورة: "أحلت لكم بهيمة الأنعام" ثم ذكر فيه استثناء أشياء تتلى عليكم فههنا ذكر الله تعالى تلك الصور المستثناة عن ذلك العموم[٦].

قوله تعالى: "اليوم يئس الذين" الخ[٧].

لما عدد فيما مضى ما حرمه وما أحله حرضهم على التمسك بما شرع لهم بأكمل ما يكون[٨].

---

[١] – هذا في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – التفسير الكبير ١١/١٢٥.

[٣] – المائدة: ٢.

[٤] – التفسير الكبير ١١/١٢٨.

[٥] – المائدة: ٣.

[٦] – التفسير الكبير ١١/١٣٢.

[٧] – المائدة: ٣.

[٨] – التفسير الكبير ١١/١٣٦.

قوله تعالى: ""يسئلونك ما ذا أحل لهم" الخ[١].

وهذا أيضاً متصل بما تقدم من ذكر المطاعم والمآكل[٢].

قوله تعالى: "اليوم أحل لكم" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى أخبر في الآية المتقدمة أنه أحل الطيبات وكان المقصود من ذكره الإخبار عن الحكم ثم أعاد ذكره في الآية والغرض من ذكره أنه قال: اليوم أكملت لكم الخ.

فبين أنه كما أكمل الدين وأتم النعمة في كل ما يتعلق بالدين فكذلك أتم النعمة في كل ما يتعلق بالدنيا ومنها إحلال الطيبات والغرض من الإعادة رعاية هذه النكتة[٤].

قوله تعالى: "ومن يكفر" الخ[٥].

المقصود منه الترغيب فيما تقدم من التكاليف والأحكام[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم" الخ[٧].

قال أبو السعود: شروع في بيان الشرائع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم[٨].

قوله تعالى: "واذكروا نعمة الله" الخ[٩].

لما ذكر هذا التكليف أردفه بما يوجب عليهم القبول والانقياد وذلك من وجهين

---

[١] – المائدة: ٤.

[٢] – التفسير الكبير ١٤١/١١.

[٣] – المائدة: ٥.

[٤] – التفسير الكبير ١٤٦/١١.

[٥] – المائدة: ٥.

[٦] – التفسير الكبير ١٤٨/١١.

[٧] – المائدة: ٦.

[٨] – أبو سعود ١٠/٣.

[٩] – المائدة: ٧.

الأول كثرة نعمة الله عليهم والثاني هو الميثاق[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كونوا" الخ[٢].

قال أبو السعود: شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم إثر بيان ما يتعلق بأنفسهم[٣].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا" الخ[٤].

قال أبو السعود: تذكير لنعمة الإنجاء من الشدائد بعد تذكير نعمة إيصال الخير الذي هو نعمة الإسلام وما يتبعها من الميثاق[٥].

قوله تعالى: "ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل" الخ[٦].

لما خاطب المؤمنين فيما تقدم فقال: "واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه" ثم ذكر الآن أنه أخذ الميثاق من بني إسرائيل لكنهم نقضوه وتركوا الوفاء به فلا تكونوا أيها المؤمنون مثل أولئك اليهود في هذه الخلق الدميم لئلا تصيروا مثلهم فيما نزل بهم من اللعن والذلة والمسكنة[٧].

قوله تعالى: "ومن الذين قالوا إنا نصارى" الخ[٨].

المراد أن سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض المواثيق[٩].

قوله تعالى: "يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا" الخ[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ١٧٨/١١.

[٢] – المائدة: ٨.

[٣] – أبو سعود ١٢/٣.

[٤] – المائدة: ١١.

[٥] – أبو سعود ١٣/٣.

[٦] – المائدة: ١٢.

[٧] – التفسير الكبير ١٨٣/١.

[٨] – المائدة: ١٤.

[٩] – التفسير الكبير ١٨٨/١١.

[١٠] – المائدة: ١٥.

اعلم أنه تعالى لما حكي عن اليهود وعن النصارى نقضهم العهد وتركهم ما أمروا به دعاهم عقيب ذلك إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم[١].

قوله تعالى: "وإذ قال موسى لقومه" الخ[٢].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق منهم وكيفية نقضهم له[٣].

قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ ابني آدم" الخ[٤].

قال المسكين: هذه توطئة لما هو المقصود ههنا من ذكر جنايات بني إسرائيل كما قال أبو السعود عند قوله تعالى: "ومن أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل" الخ شروع فيما هو المقصود من تلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني إسرائيل ومعاصيهم[٥].

قوله تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى تغليظ الإثم في قتل النفس بغير قتل نفس ولا فساد في الأرض اتبعه ببيان أن الفساد في الأرض الذي يوجب القتل ما هو؟ فإن بعض ما يكون فساداً في الأرض لا يوجب القتل[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله" الخ[٨].

قال أبو السعود: لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك إلى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته أمر المؤمنون بأن يتقوه تعالى

---

[١] – التفسير الكبير ١٨٩/١١.

[٢] – المائدة: ٢٠.

[٣] – أبو سعود ٢٢/٣.

[٤] – المائدة: ٢٧.

[٥] – أبو سعود ٢٦/٣.

[٦] – المائدة: ٣٣.

[٧] – التفسير الكبير ٢١٤/١١.

[٨] – المائدة: ٣٥.

في كل ما يأتون وما يذرون بترك ما يجب اتقائه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة إلى التوبة والاستغفار[١].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا" الخ[٢].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة إلى تحصيل الوسيلة إليه عزوجل قبل انقضاء أوانه[٣].

قوله تعالى: "والسارق والسارقة" الخ[٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان أحكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لإيراد ما توسط بينهما من المقال[٥].

قوله تعالى: "الم تعلم أن الله" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أوجب قطع اليد وعقاب الآخرة على السارق قبل التوبة ثم ذكر أنه يقبل توبته إن تاب أردفه ببيان أن له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الرسول لا يحزنك" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بين بعض التكاليف والشرائع وكان قد علم من بعض الناس كونهم متسارعين إلى الكفر لا جرم صبر رسوله على تحمل ذلك[٩].

---

[١] – أبو سعود ٣/٣٢.

[٢] – المائدة: ٣٦.

[٣] – أبو سعود ٣/٣٣.

[٤] – المائدة: ٣٨.

[٥] – أبو سعود ٣/٣٤.

[٦] – المائدة: ٣٧.

[٧] – التفسير الكبير ١١/٢٣٠.

[٨] – المائدة: ٤١.

[٩] – التفسير الكبير ١١/٢٣١.

قوله تعالى: "فإن جاؤوك" الخ[١].

قال أبو السعود: لما بين تفاصيل أمورهم الواهية وأحوالهم المختلفة الموجبة لعدم مبالاة بهم وبأفاعيلهم حسبما أمر به عليه الصلاة والسلام خوطب عليه الصلاة والسلام ببعض ما يبتني عليه من الأحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة أي وإذا كان حالهم كما شرح فإن جاؤك الخ[٢].

قوله تعالى: "وكيف يحكمونك" الخ[٣].

قال أبو السعود: تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال أن الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الإيمان به وتنبيه على أنهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق وإقامة الشرع وإنما طلبوا به ما هو أهون عليهم وإن لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم[٤].

قوله تعالى: "إنا أنزلنا التوراة" الخ[٥].

اعلم أن هذا تنبيه من الله تعالى لليهود المنكرين لوجوب الرجم وترغيب لهم في أن يكونوا كمتقدميهم من مسلمي أحبارهم والأنبياء المبعوثين إليهم[٦].

قوله تعالى: "وكتبنا عليهم فيها" الخ[٧].

المعنى أنه تعالى بين في التوراة أن حكم الزاني المحصن هو الرجم واليهود غيروه وبدلوه، وبين في هذه الآية أيضاً أنه تعالى بين في التوراة أن النفس بالنفس وهؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم ايضاً ففضلوا بني النضير على بني قريظة

---

[١] – المائدة: ٤٢.

[٢] – أبو سعود ٣/٣٩.

[٣] – المائدة: ٤٢.

[٤] – أبو سعود ٣/٤٠.

[٥] – المائدة: ٤٤.

[٦] – التفسير الكبير ١٢/٢.

[٧] – المائدة: ٤٥.

وخصصوا إيجاب القود ببني قريظة دون بني النضير[١].

قوله تعالى: "وقفينا على آثارهم" الخ[٢].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحكام الإنجيل إثر بيان أحكام التوراة[٣].

قوله تعالى: "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق" الخ[٤].

قال المسكين: شروع في بيان أحكام القرآن إثر بيان أحكام الكتابين.

قوله تعالى: "لكل جعلنا" الخ[٥].

قال أبو السعود: كلام مستأنف جيء به لحمل (أهل) الكتابين من معاصريه عليه الصلاة والسلام على الانقياد لحكمه بما أنزل إليه من القرآن الكريم ببيان أنه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وإنما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الأمم السالفة[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا" الخ[٧].

قال المسكين: نهي المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين إثر ذكر أوصاف الفريقين التي هي ضد لصفات المؤمنين ومن أقوى الزواجر عن موالاتهما.

قوله تعالى: "فترى الذين" الخ[٨].

قال المسكين: بيان لمداهنة المنافقين في موالاة الكفار واعتذارهم الباطل في ذلك.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا من يرتد" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٦/١٢.

[٢] – المائدة: ٤٦.

[٣] – أبو سعود ٤٣/٣.

[٤] – المائدة: ٤٨.

[٥] – المائدة: ٤٨.

[٦] – ابو سعود ٤٥/٣.

[٧] – المائدة: ٥١.

[٨] – المائدة: ٥٢.

[٩] – المائدة: ٥٤.

قال أبو السعود: شروع في بيان حال المرتدين على الإطلاق[١].

قوله تعالى: "إنما وليكم الله" الخ[٢].

لما نهي في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار أمر في هذه الآية بموالاة من يجب موالاته[٣].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى نهي في الآية المتقدمة عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وساق الكلام في تقريره ثم ذكر ههنا النهي العام عن موالاة جميع الكفار[٥].

قوله تعالى: "وإذا ناديتم" الخ[٦].

لما حكي في الآية الأولى عنهم أنهم اتخذوا دين المسلمين هزوا ولعبا ذكر ههنا بعض ما يتخذونه من هذا الدين هزوا ولعبا[٧].

قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب هل تنقمون" الخ[٨].

لما حكي عنهم أنهم اتخذوا دين الإسلام هزواً ولعباً قال لهم ما الذي تنقمون من هذا الدين وما الذي تجدون فيه مما يوجب اتخاذه هزواً ولعباً[٩].

قوله تعالى: "قل هل أنبئكم" الخ[١٠].

لما أمر عليه الصلاة والسلام بإلزامهم أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله

---

[١] – أبو السعود ٣/٥٠.

[٢] – المائدة: ٥٥.

[٣] – التفسير الكبير ١٢/٢٥.

[٤] – المائدة: ٥٧.

[٥] – التفسير الكبير ١٢/٣٢.

[٦] – المائدة: ٥٨.

[٧] – التفسير الكبير ١٢/٣٣.

[٨] – المائدة: ٥٩.

٩– التفسير الكبير ١٢/٣٤.

[١٠] – المائدة: ٦٠.

على ما يوجب ارتضائه عندهم أيضاً وكفرهم مما هو مسلم لهم، أمر عليه الصلاة والسلام عقيبه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب حقيقةً ماهم عليه[١].

قوله تعالى: "وإذا جاؤكم قالوا" الخ[٢].

قال المسكين: ذم لمن نافق من المذكورين.

قوله تعالى: "وترى كثيراً منهم" الخ[٣].

قال المسكين: ذم لبعض آخر منهم.

قوله تعالى: "يا أيها الرسول" الخ[٤].

أمر الرسول بأن لا ينظر إلى قلة المقتصدين وكثرة الفاسقين ولا يخشى مكروههم[٥].

قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لستم" الخ[٦].

قال المسكين: من جملة التبليغ.

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٧].

قال المسكين: لما أمر بالإيمان فيما قبل بين فضيلة الإيمان ههنا.

قوله تعالى: "لقد أخذنا ميثاق" الخ[٨].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الإيمان منهم[٩].

---

[١] – أبو سعود ٣/٥٤.

[٢] – المائدة: ٦١.

[٣] – المائدة: ٦٢.

[٤] – المائدة: ٦٧.

[٥] – التفسير الكبير ١٢/٤٨.

[٦] – المائدة: ٦٨.

[٧] – المائدة: ٦٩.

[٨] – المائدة: ٧٠.

[٩] – أبو سعود ٣/٦٣.

قوله تعالى: "لقد كفر الذين قالوا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما استقصى الكلام مع اليهود شرع ههنا في الكلام مع النصارى[٢].

قوله تعالى: "قل أتعبدون" الخ[٣].

وهذا دليل آخر على فساد قول النصارى[٤].

قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب لا تغلوا" الخ[٥].

لما تكلم أولاً على أباطيل اليهود ثم تكلم ثانياً على أباطيل النصارى فعند ذلك خاطب مجموع الفريقين[٦].

قوله تعالى: "لعن الذين كفروا" الخ[٧].

لما خاطب أهل الكتاب بهذا الخطاب وصف أسلافهم[٨].

قوله تعالى: "ترى كثيراً منهم" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما وصف أسلافهم بما تقدم وصف الحاضرين منهم بأنهم يتولون الكفار وعبدة الأوثان[١٠].

قوله تعالى: "لتجدن أشد الناس" الخ[١١].

---

[١] – المائدة: ٧٢.

[٢] – التفسير الكبير ٥٩/١٢.

[٣] – المائدة: ٧٦.

[٤] – التفسير الكبير ٦٢/١٢.

[٥] – المائدة: ٧٧.

[٦] – التفسير الكبير ٦٢/١٢.

[٧] – المائدة: ٧٨.

[٨] – التفسير الكبير ٦٣/١٢.

[٩] – المائدة: ٨٠.

[١٠] – التفسير الكبير ٦٥/١٢.

[١١] – المائدة: ٨٢.

لما ذكر من أحوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما ذكره ذكر في هذه الآية أن اليهود في غاية العداوة مع المسلمين[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما استقصى في المناظرة مع اليهود والنصارى عاد بعده إلى بيان الأحكام وذكر جملة منها، النوع الأول ما يتعلق بحل المطاعم والمشارب واللذات[٣].

النوع الثاني من الأحكام المذكورة في هذا الموضع.

قوله تعالى: "لا يؤاخذكم الله" الخ[٤].

قال المسكين: آخذا من الكبير: وجه المناسبة بينه وبين ما قبله قول الصحابة فكيف نصنع بإيماننا أي على ترك الطيبات[٥].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو النوع الثالث من الأحكام المذكورة في هذا الموضع ووجه اتصاله بما قبله أنه تعالى قال فيما تقدم: لا تحرموا طيبات الخ وكلوا مما رزقكم الله الخ ثم لما كان من جملة الأمور المستطابة الخمر والميسر لا جرم أنه تعالى بين أنهما غير داخلين في المحللات بل في المحرمات[٧].

وقال المسكين: لعل الأقرب أن يقال كان ما تقدم نهياً عن تحريم الحلال وهذا نهي عن تحليل الحرام إلى قوله تعالى: ما جعل الله من بحيرة الخ بل لا يبعد أن قيل إلى حكم الإيصاء وما يتعلق به.

---

[١] – التفسير الكبير ٦٦/١٢.

[٢] – المائدة: ٨٧.

[٣] – التفسير الكبير ٧٠/١٢.

[٤] – المائدة: ٨٨، والتفسير الكبير ٧٣/١٤.

[٥] – التفسير الكبير ٧٣/١٢.

[٦] – المائدة: ٩٠.

[٧] – التفسير الكبير ٧٩/١٢.

قوله تعالى: "ليس على الذين آمنوا" الخ[١].

روي أنه لما نزلت آية تحريم الخمر قالت الصحابة: إن إخواننا كانوا قد شربوا الخمر يوم أحد ثم قتلوا فكيف حالهم فنزلت هذه الآية[٢].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم" الخ[٣].

اعلم أن هذا نوع آخر من الأحكام ووجه النظم أنه تعالى لما قال: لا تحرموا طيبات ثم استثني الخمر والميسر عن ذلك فلذلك استثنى هذا النوع من الصيد عن المحللات وبين دخوله في المحرمات[٤].

قوله تعالى: "جعل الله الكعبة" الخ[٥].

اعلم أن اتصال هذه الآية بما قبلها هو أن الله تعالى حرم في الآية المتقدمة الاصطياد على المحرم فبين أن الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطير فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا والآخرة[٦].

قوله تعالى: "اعلموا" الخ[٧].

قال أبو السعود: وعيد لمن انتهك محارمه ووعد لمن حافظ على مراعاة حرماته[٨].

قوله تعالى: "ما على الرسول" الخ[٩].

---

[١] – المائدة: ٩٣.

[٢] – التفسير الكبير ٨٣/١٢.

[٣] – المائدة: ٩٤.

[٤] – التفسير الكبير ٨٥/١٢.

[٥] – المائدة: ٩٧.

[٦] – التفسير الكبير ٩٩/١٢.

[٧] – المائدة: ٩٨.

[٨] – أبو سعود ٨٣/٣.

[٩] – المائدة: ٩٩.

قال أبو السعود: تشديد في إيجاب القيام بما أمر به أي الرسول قد أتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط[١].

قوله تعالى: "قل لا يستوي" الخ[٢].

قال أبو السعود: حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الأشخاص والأعمال والأموال وبين جيدها، قصد بذلك الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديئها[٣].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا" الخ[٤].

لما قال: ما على الرسول إلا البلاغ صار التقدير كأنه قال: ما بلغه الرسول إليكم فخذوه وكونوا منقادين له وما لم يبلغه الرسول إليكم فلا تسألوا عنه ولا تخوضوا فيه[٥].

قوله تعالى: "ما جعل الله من بحيرة" الخ[٦].

قال المسكين: آخذاً من أبي السعود: رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية إثر إبطال بعض أعمالهم من تناولهم الخمر والميسر وغيرهما[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم" الخ[٨].

لما بين التكاليف والشرائع والأحكام ثم قال: ما على الرسول إلا البلاغ إلى قوله: "وإذا قيل لهم تعالوا الخ فكأنه تعالى قال: إن هؤلاء الجهال مع ما تقدم من

---

[١] – أبو سعود ٣/٨٣.

[٢] – المائدة: ١٠٠.

[٣] – أبو سعود ٣/٨٣.

[٤] – المائدة: ١٠١.

[٥] – التفسير الكبير ١٢/١٠٤.

[٦] – المائدة: ١٠٣.

[٧] – أبو سعود٣/٨٦.

[٨] – المائدة: ١٠٥.

أنواع المبالغة في الأعذار والإنذار والترغيب لم ينتفعوا بشيء منه بل بقوا مصرين على جهلهم مجدين على جهالاتهم وضلالتهم فلا تبالوا أيها المؤمنون بجهالاتهم وضلالاتهم بل كونوا منقادين لتكاليف الله مطيعين لأوامره ونواهيه فلا يضركم ضلالتهم وجهالتهم[١].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دنياهم إثر بيان الأحوال المتعلقة بأمور دينهم[٣].

قوله تعالى: "يوم يجمع الله الرسل" الخ[٤].

اعلم أن عادة الله تعالى جارية في هذا الكتاب الكريم أنه إذا ذكر أنواعاً كثيرة من الشرائع والتكاليف والأحكام أتبعها إما بالإلهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء أو بشرح أحوال القيامة ليصير ذلك مؤكداً لما تقدم ذكره من التكاليف والشرائع فلا جرم لما ذكر فيما تقدم أنواعاً كثيرة من الشرائع اتبعها بوصف أحوال القيامة أولا ثم ذكر أحوال عيسى عليه السلام[٥].

قوله تعالى: "إذ قال الله يا عيسى بن مريم" الخ[٦].

اعلم أنا بينا أن الغرض من قوله للرسل: "ماذا أجبتم" توبيخ من تمرد أممهم وأشد الأمم افتقاراً إلى التوبيخ والملامة النصارى لأن طعن سائر الأمم كان مقصوراً على الأنبياء وطعن هؤلاء تعدي إلى جلال الله وكبرياءه فلا جرم ذكر تعالى أنه يعدد أنواع نعمه على عيسى فإن كل واحدة من تلك النعم المعدودة تدل

---

[١] – التفسير الكبير ١١١/١٢.

[٢] – المائدة: ١٠٦.

[٣] – أبو سعود ٨٨/٣.

[٤] – المائدة: ١٠٩.

[٥] – التفسير الكبير ١٢١/١٢ و١٢٢.

[٦] – المائدة: ١١٠.

على أنه عبد وليس باله[١].

قوله تعالى: "إذ قال الحواريون" الخ[٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله[٣].

قوله تعالى: "وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت" الخ[٤].

قال أبو السعود: أي أذكر وقت قول الله تعالى له عليه السلام في الآخرة توبيخاً للكفرة وتبكيتاً لهم بإقراره عليه السلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية وأمره لهم بعبادته عزوجل[٥].

قوله تعالى: "قال الله هذا يوم" الخ[٦].

قال أبو السعود: كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى لما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وأشير إلى نتيجته ومآله[٧].

قوله تعالى: "لله ملك السموات" الخ[٨].

إن السورة اشتملت على أنواع كثيرة من العلوم فمنها بيان الشرائع والأحكام والتكاليف، ومنها المناظرة مع اليهود في إنكارهم شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ومنها المناظرة مع النصارى في قولهم بالتثليث فختم السورة بهذه النكتة الوافية إثبات كل هذه المطالب[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٢/١٢٤.

[٢] – المائدة: ١١١.

[٣] – أبو سعود ٣/٩٦.

[٤] – المائدة: ١١٦.

[٥] – أبو سعود٣/١٠٠.

[٦] – المائدة: ١١٩.

[٧] – أبو سعود ٣/١٠٢.

[٨] – المائدة: ١٢٠.

[٩] – التفسير الكبير ١٢/١٣٩.

سورة الأنعام

وجه المناسبة بين أولها وآخر سابقها أن كليهما مشترك في إثبات التوحيد[١].

قوله تعالى: "الحمد لله" الخ[٢].

قال المسكين: آخذا من أبي السعود: بيان لموجبات توحيده وبطلان إشراكهم به مع معاينتهم لها[٣].

قوله تعالى: "هو الذي خلقكم من طين" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الإيمان به إثر بطلان إشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده[٥].

قوله تعالى: "وهو الله" الخ[٦].

قال أبو السعود: جملة مسوقة لبيان شمول أحكام إلهيته تعالى لجميع المخلوقات وإحاطة علمه بتفاصيل أحوال العباد وأعمالهم المؤدية إلى الجزاء إثر الإشارة إلى تحقق المعاد[٧].

قوله تعالى: "وما تأتيهم من آية" الخ[٨].

قال أبو السعود: كلام مستأنف وراد لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية بعد ما بين في الآية الأولى إشراكهم بالله سبحانه وإعراضهم عن بعض آيات

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الأنعام: ١.

[٣] – أبو سعود ١٠٦/٣.

[٤] – الأنعام: ٢.

[٥] – أبو سعود ١٠٦/٣.

[٦] – الأنعام: ٣.

[٧] – أبو سعود ١٠٧/٣.

[٨] – الأنعام: ٤.

التوحيد وفي الآية الثانية امترائهم في البعث وإعراضهم عن بعض آياته[١].

قوله تعالى: "فقد كذبوا بالحق" الخ[٢].

قال أبو السعود: فإن الحق عبارة عن القرآن الذي أعرضوا عنه، حين أعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك إبانة لكمال قبح ما فعلوا به فإن تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن أحد[٣].

قوله تعالى: "ألم يروا كم أهلكنا" الخ[٤].

اعلم أن الله تعالى لما منعهم عن ذلك الإعراض والتكذيب والاستهزاء بالتهديد والوعيد اتبعه بما يجري مجرى الموعظة والنصيحة في هذا الباب فوعظهم بسائر القرون الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم[٥].

قوله تعالى: "ولو نزلنا عليك" الخ[٦].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين العذاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الأقاويل الباطلة إثر بيان إعراضهم عن آيات الله وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا إليه عليه الصلاة والسلام مع نسبة إتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق إليهم للإشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحاً[٧].

قوله تعالى: وقالوا لو لا نزل" الخ[٨].

قال أبو السعود: شروع في قدحهم في نبوته عليه الصلاة والسلام صريحاً بعد

---

[١] – أبو سعود ١٠٩/٣.

[٢] – الأنعام: ٥.

[٣] – أبو سعود ١٠٩/٣.

[٤] – الأنعام: ٦.

[٥] – التفسير الكبير ١٦١/١٢.

[٦] – الأنعام: ٧.

[٧] – أبو سعود ١١٢/٣.

[٨] – الأنعام: ٨.

ما أشير إلى قدحهم فيها ضمناً[١].

قوله تعالى: "ولقد استهزئ برسل" الخ[٢].

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه[٣].

قوله تعالى: "قل سيروا" الخ[٤].

قال أبو السعود: بعد بيان ما فعلت الأمم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيراً لهم عما هم عليه وتكملة لتسليته بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين[٥].

قوله تعالى: "قل لمن ما في السموات" الخ[٦].

قال المسكين: عود إلى تقرير التوحيد وإبطال الشرك.

قوله تعالى: "قل أي شيء أكبر شهادة" الخ[٧].

قال أبو السعود: روي أن قريشاً قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس عندهم ذكر (لك) ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت[٨].

قال المسكين: فهو عود إلى الجواب عن قدحهم في النبوة.

قوله تعالى: "الذين آتيناهم" الخ[٩].

---

[١] – ابو سعود ١١٢/٣.

[٢] – الأنعام: ١٠.

[٣] – أبو سعود ١١٤/٣.

[٤] – الأنعام: ١١.

[٥] – أبو سعود ١١٤/٣.

[٦] – الأنعام: ١٢.

[٧] – الأنعام: ١٩.

[٨] – أبو سعود ١١٨/٣.

[٩] – الأنعام: ٢٠.

قال أبو السعود: جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك[١].

قوله تعالى: "ومن أظلم" الخ[٢].

لما حكم على أولئك بالخسران بين سبب الخسران[٣].

قوله تعالى: "ويوم نحشرهم" الخ[٤].

قال المسكين: بيان حال أهل الشرك يوم الجزاء.

قوله تعالى: "ومنهم من يستمع إليك" الخ[٥].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من أحكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريراً لما قبله وتحقيقاً لمضمونه[٦].

قوله تعالى: "وهم ينهون عنه" الخ[٧].

قال المسكين: بيان لسعيهم في كفر غيرهم مع كفر أنفسهم.

قوله تعالى: "ولو ترى إذ وقفوا على النار" الخ[٨].

قال أبو السعود: شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كذباً في نفسه[٩].

قوله تعالى: "وقالوا إن هي" الخ[١٠].

---

[١] – أبو سعود ١١٨/٣.

[٢] – الأنعام: ٢١.

[٣] – التفسير الكبير ١٨١/١٢.

[٤] – الأنعام: ٢٢.

[٥] – الانعام: ٢٥.

[٦] – أبو سعود: ١٢١/٣.

[٧] – الأنعام: ٢٦.

[٨] – الانعام: ٢٧.

[٩] – أبو سعود ١٢٢/٣.

١٠– الأنعام: ٢٩.

قال المسكين: هذا توطئة لما سيأتي من قوله تعالى: "ولو ترى إذ وقفوا على ربهم" الخ بين في هذه الآية كيفية حالهم في القيامة.

قوله تعالى: "قد خسر الذين كذبوا" الخ[١].

اعلم أن المقصود من هذه الآية شرح حالة أخرى من أحوال منكري البعث والقيامة وهي أمران أحدهما حصول الخسران والثاني حمل الأوزار العظيمة[٢].

قوله تعالى: "وما الحياة الدنيا" الخ[٣].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكى عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه السلام بمكانة من الله عزوجل وأن ما يفعلون في حقه فهو راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام[٤].

قوله تعالى: "ولقد كذبت رسل" الخ[٥].

قال أبو السعود: افتتان في تسليته عليه الصلاة والسلام فإن عموم البلية ربما يهون أمرها بعض تهوين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام في الصبر على ما أصابهم من أممهم من فنون الأذية وعدة ضمنية له عليه الصلاة والسلام بمثل ما منحوه من النصر[٦].

قوله تعالى: "وإن كان كبر عليك" الخ[٧].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتاكيد إيجاب الصبر المستفاد من التسلية

---

[١] – الانعام: ٣١.

[٢] – التفسير الكبير ١٩٦/١٢.

[٣] – الأنعام: ٣٢.

[٤] – أبو سعود ١٢٦/٣.

[٥] – الأنعام: ٣٤.

[٦] – أبو سعود ١٢٧/٣.

[٧] – الأنعام: ٣٥.

ببيان أنه أمر لا محيد عنه أصلاً[١].

قوله تعالى: "إنما يستجيب الذين" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الإيمان ولا يتركون الكفر[٣].

قوله تعالى: "وقالوا لو لا نزل" الخ[٤].

قال أبو السعود: حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به[٥].

قوله تعالى: "وما من دابة في الأرض" الخ[٦].

لما قدم ذكر الكفار وبين أنهم يرجعون إلى الله ويحشرون بين أيضاً بعده بقوله: وما من دابة الخ أنهم يحشرون والمقصود بيان أن الحشر والبعث كما هو حاصل في حق الناس فهو أيضاً حاصل في حق البهائم[٧].

قال المسكين: فالمراد تفظيع شأن الحشر.

قوله تعالى: "والذين كذبوا" الخ[٨].

قال المسكين: بيان لجهلهم وعنادهم مع إقامة البراهين الملجئة.

قوله تعالى: "من يشأ الله يضلله" الخ[٩].

قال أبو السعود: تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل

---

[١] – أبو سعود ١٢٨/٣.

[٢] – الأنعام: ٣٦.

[٣] – التفسير الكبير ٢٠٧/١٢.

[٤] – الأنعام: ٣٧.

[٥] – أبو سعود ١٣٠/٣.

[٦] – الأنعام: ٣٨.

[٧] – التفسير الكبير ٢١٢/١٢.

[٨] – الأنعام: ٣٩.

[٩] – الأنعام: ٣٩.

الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلاً[١].

قوله تعالى: "قل أرأيتكم إن أتاكم" الخ[٢].

قال أبو السعود: أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم إلى النكير[٣].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا إلى أمم" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى بين في الآية الأولى أن الكفار عند نزول الشدائد يرجعون إلى الله تعالى ثم بين في هذه الآية أنهم لا يرجعون إلى الله عند كل ما كان من جنس الشدائد بل قد يبقون مصرين على الكفر منجمدين عليه غير راجعين إلى الله عزوجل[٥].

قوله تعالى: "فلما نسوا ما ذكروا به" الخ[٦].

اعلم أن هذا الكلام من تمام القصة الأولى[٧].

قوله تعالى: "قل أرأيتم إن أخذ الله" الخ[٨].

قال أبو السعود: أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الإلزام الأول[٩].

قوله تعالى: "قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة" الخ[١٠].

---

[١] – أبو سعود ١٣٢/٣.

[٢] – الأنعام: ٤٠.

[٣] – ابو سعود ١٣٢/٣.

[٤] – الأنعام: ٤٢.

[٥] – التفسير الكبير ٢٢٤/١٢.

[٦] – الأنعام: ٤٤.

[٧] – التفسير الكبير ٢٢٥/١٢.

[٨] – الأنعام: ٤٦.

[٩] – أبو السعود ١٣٤/٣.

[١٠] – الأنعام: ٤٧.

قال أبو السعود: تبكيت آخر لهم بالجائهم إلى الاعتراف باختصاص العذاب بهم[١].

قوله تعالى: "وما نرسل المرسلين" الخ[٢].

قال ابو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان منصب الرسالة علي الإطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام وإظهار ما يقترحه الكفرة عليه عليه الصلاة والسلام ليس مما يتعلق بالرسالة أصلاً[٣].

قوله تعالى: "قل لا أقول لكم" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب مسوق لإظهار تبريته عليه الصلاة والسلام عما يدور عليه مقترحاتهم[٥].

قوله تعالى: "وأنذر به الذين يخافون" الخ[٦].

قال أبو السعود: بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من الكفرة قوماً لا يتعظون ولا يتأثرون أمر علي الصلاة والسلام بتوجيه الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة[٧].

قوله تعالى: "ولا تطرد الذين" الخ[٨].

قال أبو السعود: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي صلى الله عليه وسلم عن كون ذلك بحيث يؤدي

---

[١] – أبو سعود ١٣٤/٣.

[٢] – الأنعام: ٤٨.

[٣] – ابو سعود ١٣٥/٣.

[٤] – الأنعام: ٥٠.

[٥] – أبو سعود ١٣٦/٣.

[٦] – الأنعام: ٥١.

[٧] – أبو سعود ١٣٧/٣.

[٨] – الأنعام: ٥٢.

إلى طردهم[١].

قوله تعالى: "وكذلك فتنا" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي (وذلك إشارة إلى مصدر ما بعده من الفصل الذي هو عبارة عن)[٣] تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في أمر الدين بتوفيقهم للإيمان مع ما هم عليه في أمر الدنيا من كمال سوء الحال[٤].

قوله تعالى: "وإذا جاءك" الخ[٥].

قال المسكين: أمر بتقريبهم إثر النهي عن تبعيدهم.

قوله تعالى: "وكذلك نفصل" الخ[٦].

قال المسكين: بيان لعادته المستمرة في تفصيل المهمات إثر التفصيل المذكور.

قوله تعالى: "قل إني نهيت" الخ[٧].

قال أبو السعود: أمر عليه الصلاة والسلام بالرجوع إلى مخاطبة المصرين على الشرك إثر ما أمر بمعاملة من عداهم من أهل الإنذار والتبشير بما يليق بحالهم[٨].

قوله تعالى: "قل إني على بينة" الخ[٩].

قال أبو السعود: تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه إياه إثر إبطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له[١٠].

---

[١] – أبو سعود ١٣٨/٣.

[٢] – الأنعام: ٥٣.

[٣] – وما بين القوسين زيد من أصل أبي السعود.

[٤] – أبو سعود ٢٣٩/٣.

[٥] – الأنعام: ٥٤.

[٦] – الأنعام: ٥٥.

[٧] – الأنعام: ٥٥.

[٨] – أبو سعود ١٤١/٣.

[٩] – الأنعام: ٥٧.

[١٠] – أبو سعود ١٤١/٣.

قوله تعالى: "ما عندي ما تستعجلون" الخ[١].

قال أبو السعود: استيناف مبين لخطأهم في شأن ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيئ ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه[٢].

قوله تعالى: "وعنده مفاتيح الغيب" الخ[٣].

قال أبو السعود: بيان لاختصاص المقدورات به تعالى من حيث العلم إثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة[٤].

قوله تعالى: "وهو الذي يتوفاكم" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين كمال علمه بالآية الأولى بين كمال قدرته بهذه الآية[٦].

قوله تعالى: "وهو القادر فوق عباده" الخ[٧].

اعلم أن هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته[٨].

قوله تعالى: "قل من ينجيكم" الخ[٩].

قال أبو السعود: أي قل لهم تقريراً لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الإلهية[١٠].

قوله تعالى: "قل هو القادر" الخ[١١].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان أنه تعالى هو القادر على إلقائهم في

---

[١] – الأنعام: ٥٧.

[٢] – أبو سعود ١٤٢/٣.

[٣] – الأنعام: ٥٩.

[٤] – أبو سعود ١٤٣/٣.

[٥] – الانعام: ٦٠.

[٦] – التفسير الكبير ١٢/١٣.

[٧] – الأنعام: ٦١.

[٨] – التفسير الكبير ١٣/١٣.

[٩] – الأنعام: ٦٣.

[١٠] – أبو سعود ١٤٥/٣.

[١١] – الأنعام: ٦٥.

المهالك إثر بيان أنه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لإشراكهم[١].

قوله تعالى: "وكذب به" الخ[٢].

قال أبو السعود: إيذان لعتوهم ومكابرتهم[٣].

قوله تعالى: "وإذا رأيت الذين يخوضون" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى في الآية الأولى بين أن الذين يكذبون بهذا الدين فإنه لا يجب على الرسول أن يلازمهم وأن تكون حفيظاً عليهم ثم بين في هذه الآية أن أولئك المكذبين إن ضمنوا إلى كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فإنه يجب الاحتراز عن مقارنتهم وترك مجالستهم[٥].

قوله تعالى: "وما على الذين يتقون" الخ[٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قال المسلمون: لئن كنا كلما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لما قدرنا على أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف بالبيت فنزلت هذه الآية وخصت الرخصة فيها للمؤمنين بأن يقعدوا معهم ويذكرونهم ويفهمونهم[٧].

قوله تعالى: "وذر الذين اتخذوا" الخ[٨].

قال المسكين: بيان لسوء حالهم في ضمن الأمر بالإعراض عنهم وتذكير لهم بالقرآن.

قوله تعالى: "قل أندعو من دون الله" الخ[٩].

---

[١] – أبو سعود ١٤٦/٣.

[٢] – الأنعام: ٦٦.

[٣] – أبو سعود ١٤٦/٣.

[٤] – الأنعام: ٦٨.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤/١٣.

[٦] – الأنعام: ٦٩.

[٧] – التفسير الكبير ٢٦/١٣.

[٨] – الأنعام: ٧٠.

[٩] – الأنعام: ٧١.

اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على عبدة الأصنام وهو مؤكدة لقوله تعالى: "قل إني نهيت"[١].

قوله تعالى: "وهو الذي خلق السموات" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآيات المتقدمة فساد طريق عبدة الأصنام ذكر ههنا ما يدل على أنه لا معبود إلا الله وحده[٣].

قوله تعالى: "وإذ قال إبراهيم لأبيه" الخ[٤].

اعلم أنه سبحانه وتعالى كثيراً يحتج على مشركي العرب بأحوال إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٥].

قال أبو السعود: الذي يدعون أنهم على ملته[٦].

قوله تعالى: "وتلك حجتنا" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله تعالى في التوحيد ونصرها وذب عنها عدد وجوه نعمه وإحسانه عليه فأولها قوله تعالى: وتلك حجتنا وثانيها أنه تعالى خصه بالرفعة وثالثها أنه جعله عزيزاً في الدنيا وذلك لأنه تعالى جعل أشرف الناس – وهم الأنبياء والرسل– من نسله وذريته[٨].

قوله تعالى: "وما قدروا الله حق قدره" الخ[٩].

اعلم أنا ذكرنا أن مدار أمر القرآن على إثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه ذكر دليل التوحيد وإبطال الشرك

---

[١] – التفسير الكبير ٢٩/١٣.

[٢] – الأنعام: ٧٣.

[٣] – التفسير الكبير ٣١/١٣.

[٤] – الانعام: ٧٤.

[٥] – التفسير الكبير ٣٤/١٣.

[٦] – أبو سعود ١٥١/٣.

[٧] – الأنعام: ٨٣.

[٨] – التفسير الكبير ٦٣/١٣.

[٩] – الأنعام: ٩١.

وقرر تعالى ذلك الدليل بالوجوه الواضحة شرع بعده في تقرير أمر النبوة[١].

قوله تعالى: "وهذا كتاب أنزلناه" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أبطل بالدليل قول من قال: ما أنزل الله على بشر من شيء ذكر بعده أن القرآن كتاب الله أنزله الله تعالى على محمد عليه الصلاة والسلام[٣].

قوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما شرح كون القرآن كتاباً نازلاً من عند الله ذكر عقيبه ما يدل على وعيد من ادعى النبوة والرسالة على سبيل الكذب والافتراء[٥].

قوله تعالى: "ولقد جئتمونا فرادى" الخ[٦].

قال المسكين: توبيخ لهم من الله تعالى بعد التوبيخ من الملائكة.

قوله تعالى: "إن الله فالق الحب والنوى" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في التوحيد ثم أردفه بتقرير أمر النبوة ثم تكلم في بعض تفاريع هذا الأصل عاد ههنا إلى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وحكمته تنبيهاً على أن المقصود الأصلي من جميع المباحث العقلية والنقلية وكل المطالب الحكمية إنما هو معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله[٨].

قوله تعالى: "فالق الإصباح" الخ[٩].

هذا نوع آخر من الدلائل[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ٧٢/١٣.

[٢] – الأنعام: ٩٢.

[٣] – التفسير الكبير ٨٠/١٣.

[٤] – الأنعام: ٩٣.

[٥] – التفسير الكبير ٨٣/١٣.

[٦] – الأنعام: ٩٤.

[٧] – الأنعام: ٩٥.

[٨] – التفسير الكبير ٨٩/١٣.

[٩] – الأنعام: ٩٦.

[١٠] – التفسير الكبير ٩٤/١٣.

قوله تعالى: "الذي جعل لكم" الخ[١].

هذا هو النوع الثالث من الدلائل[٢].

قوله تعالى: "وهو الذي أنشأكم" الخ[٣].

هذا نوع رابع من الدلائل[٤].

قوله تعالى: "وهو الذي أنزل" الخ[٥].

هذا النوع الخامس[٦].

قوله تعالى: "وجعلوا لله شركاء" الخ[٧].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما ذكر هذه البراهين الخمسة من دلائل العالم الأسفل والعالم الأعلى على ثبوت الإلهية وكمال القدرة والرحمة ذكر بعد ذلك أن من الناس من أثبت لله شركاء[٨].

قوله تعالى: "بديع السموات والأرض" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما بين فساد قول المشركين شرع في إقامة الدلائل على فساد قول من يثبت له الولد[١٠].

قوله تعالى: "ذلكم الله ربكم" الخ[١١].

---

[١] – الأنعام: ٩٧.

[٢] – التفسير الكبير ١٣/١٠٠.

[٣] – الأنعام: ٩٨.

[٤] – التفسير الكبير ١٣/١٠٢.

[٥] – الأنعام: ٩٩.

[٦] – التفسير الكبير ١٣/١٠٥.

[٧] – الانعام: ١٠٠.

[٨] – التفسير الكبير ١٣/١١٢.

[٩] – الأنعام: ١٠١.

[١٠] – التفسير الكبير ١٣/١١٨.

[١١] – الأنعام: ١٠٢.

قال المسكين: كأنه فذلكة لجميع ما سبق مبينة لتوحده وعظمته.

قوله تعالى: "قد جاءكم بصائر" الخ[١].

قال المسكين: بيان لفخامة الآيات المذكورة الدالة على تحقيق الحق وإبطال الباطل.

قوله تعالى: "وكذلك نصرف" الخ[٢].

قال المسكين: بيان لحسن تصريف الآيات وضلال بعض وهداية بعض.

قوله تعالى: "اتبع ما أوحي إليك" الخ[٣].

قال المسكين: أمر له عليه السلام بالثبات على تلك الآيات إثر بيان فخامتها وحسن تصريفها وقدح المشركين فيها وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم.

قوله تعالى: "ولو شاء الله" الخ[٤].

قال المسكين: كأنه تسلية له عليه السلام في إشراكهم معرضين عن الآيات.

قوله تعالى: "ولا تسبوا الذين يدعون" الخ[٥].

قال المسكين: "لما ذكر في الآيات السابقة جهلهم وعنادهم فلا يبعد أن يغضب بعض المسلمين ويشتمونهم وآلهتهم فنهي الله تعالى عنه.

قوله تعالى: "وأقسموا بالله" الخ[٦].

لما ذكر فيما قبل أن الآيات المنزلة لم تنفع المشركين ذكر ههنا أنهم طلبوا الآيات المقترحة تعصباً وعناداً وذكر جوابه[٧].

---

[١] – الأنعام: ١٠٢.

[٢] – الأنعام: ١٠٥.

[٣] – الأنعام: ١٠٦.

[٤] – الأنعام: ١٠٧.

[٥] – الأنعام: ١٠٨.

[٦] – الأنعام: ١٠٩.

[٧] – ما وجدته في الكبير ولا في أبي السعود ولم ينسبه المؤلف إلى نفسه، فالله أعلم من أين هذا.

قوله تعالى: "ونقلب" الخ[١].

قال المسكين: مقرر لمضمون الجواب المذكور.

قوله تعالى: "ولو أننا نزلنا إليهم" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى بين في هذه الآية تفصيل ما ذكره على سبيل الإجمال بقوله: ما يشعركم[٣].

قوله تعالى: "وكذلك جعلنا" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده[٥].

وقال المسكين: من إعراضهم عن الآيات الإلهية وإصغائهم إلى زخرف القول.

قوله تعالى: "ولتصغى إليه" الخ[٦].

قال المسكين: هو متمم للآية الأولى.

قوله تعالى: "أفغير دين الله ابتغى" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى كما حكى عن الكفار أنهم أقسموا الخ وأجاب عنه بأنه لا فائدة في إظهار تلك الآيات لأنه تعالى لو أظهرها لبقوا مصرين على كفرهم ثم إنه تعالى بين في هذه الآية أن الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل فكان ما يطلبونه طلباً للزيادة وذلك مما لا يجب الالتفات إليه، وإنما قلنا أن الدليل على نبوته قد حصل بوجهين الأول قوله: "وهو الذي أنزل إليكم الكتاب" والثاني قوله: "والذين آتيناهم

---

[١] – الأنعام: ١١٠.

[٢] – الأنعام: ١١١.

[٣] – التفسير الكبير ١٤٩/١٣.

[٤] – الأنعام: ١١٢.

[٥] – أبو سعود ١٧٥/٣.

[٦] – الأنعام: ١١٣.

[٧] – الأنعام: ١١٤.

الكتاب"[١].

قوله تعالى: "والذين آتيناهم الكتاب" الخ[٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته تعالى لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمة[٣].

قال المسكين: ولعل هذا هو الأقرب لأن الكلام في تحقيق كون الآيات حقة صادقة لا في أمر النبوة.

قوله تعالى: "وتمت كلمة ربك" الخ[٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته إثر بيان كماله من حيث إضافته إليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم أهل الكتاب به[٥].

قوله تعالى: "وإن تطع أكثر من في الأرض" الخ[٦].

قال المسكين: تحذير عن اتباع من أعرض عن الآيات التامة الصادقة العادلة.

قوله تعالى: "إن ربك هو أعلم" الخ[٧].

قال المسكين: تقرير لما قبله أي لما كان الله تعالى عالماً بالواقع فمن حكم عليه بالضلال فهو ضال لاشك.

قوله تعالى: "فكلوا مما ذكر اسم الله عليه" الخ[٨].

قال أبو السعود: أمر مرتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة

---

[١] – التفسير الكبير ١٥٩/١٣.

[٢] – الأنعام: ١١٤.

[٣] – أبو سعود ١٧٧/٣.

[٤] – الأنعام: ١١٥.

[٥] – أبو سعود ١٧٨/٣.

[٦] – الأنعام: ١١٦.

[٧] – الأنعام: ١١٧.

[٨] – الأنعام: ١١٨.

إضلالهم تحليل الحرام وتحريم الحلال[١].

قال المسكين: أي خلاف الآيات.

قوله تعالى: "وذروا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين أنه فصل المحرمات اتبعه بما يوجب تركها بالكلية[٣].

قوله تعالى: "أو من كان ميتاً" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أن المشركين يجادلون المؤمنين في دين الله ذكر مثلاً يدل على حال المؤمن المهتدي وعلى حال الكافر الضال الخ[٥].

قوله تعالى: "وكذلك جعلنا" الخ[٦].

قوله تعالى: "وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن" الخ[٧].

قال المسكين: رجوع إلى بيان حال المعرضين عن الآيات المصرين على الجهالات.

قوله تعالى: "فمن يرد الله أن يهديه" الخ[٨].

قال المسكين: بيان أن الانتفاع بالآيات بمحض فضل الله تعالى فلا فائدة في إظهار مقترحاتهم.

قوله تعالى: "وهذا صراط ربك" الخ[٩].

قال المسكين: بيان لكون مدلول الآيات حقا نافعاً للمتذكرين المستحقين لدار

---

[١] – أبو سعود ١٧٩/٣.

[٢] – الأنعام: ١٢٠.

[٣] – التفسير الكبير ١٦٧/١٣.

[٤] – الأنعام: ١٢٢.

[٥] – التفسير الكبير ١٧٠/١٣.

[٦] – الأنعام: ١٢٢.

[٧] – الأنعام: ١٢٤.

[٨] – الأنعام: ١٢٥.

[٩] – الأنعام: ١٢٧.

السلام وولاية الله تعالى.

قوله تعالى: "ويوم يحشرهم جميعاً" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما بين حال من يتمسك بالصراط المستقيم بين بعده حال من يكون بالضد من ذلك لتكون قصة أهل الجنة مردفة بقصة أهل النار[٢].

قوله تعالى: "يا معشر الجن والإنس" الخ[٣].

قال أبو السعود: شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المشركين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان مآل أمرهم[٤].

قوله تعالى: "ذلك أن لم يكن" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين أنه ما عذب الكفار إلا بعد أن بعث إليهم الأنبياء والرسل بين بهذه الآية أن هذا هو العدل والحق[٦].

قوله تعالى: "ولكل درجات" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل الثواب والدرجات وأحوال أهل العقاب والدركات ذكر كلاماً كلياً[٨].

قوله تعالى: "وربك الغني" الخ[٩].

بين أن تخصيص المطيعين بالثواب والمذنبين بالعذاب ليس لأجل أنه محتاج

---

[١] – الأنعام: ١٢٨.

[٢] – التفسير الكبير ١٣/١٩٠.

[٣] – الأنعام: ١٣٠.

[٤] – أبو سعود ٣/١٨٥.

[٥] – الأنعام: ١٣١.

[٦] – التفسير الكبير ١٣/١٩٦.

[٧] – الأنعام: ١٣٢.

[٨] – التفسير الكبير ١٣/١٩٦.

[٩] – الأنعام: ١٣٣.

إلى طاعة المطيعين أو ينتقص بمعصية المذنبين[١].

قوله تعالى: "قل يا قوم اعملوا" الخ[٢].

اعلم أنه لما بين بقوله: "إنما توعدون" أمر رسوله من بعده أن يهدّد من ينكر البعث من الكفار[٣].

قوله تعالى: "وجعلوا لله" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين قبح طريقتهم في إنكارهم البعث والقيامة ذكر عقيبه أنواعاً من جهالاتهم وركاكات أقوالهم[٥].

قوله تعالى: "وكذلك زين" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو النوع الثاني من أحكامهم الفاسدة ومذاهبهم الباطلة[٧].

قوله تعالى: "قالوا هذه أنعام" الخ[٨].

اعلم أن هذا هو نوع ثالث من أحكامهم الفاسدة[٩].

قوله تعالى: "وقالوا ما في" الخ[١٠].

هذا نوع رابع من أنواع قضاياهم الفاسدة[١١].

قوله تعالى "وهو الذي أنشأ جنات" الخ[١٢].

---

[١] – التفسير الكبير ١٣/١٩٩.

[٢] – الأنعام: ١٣٥.

[٣] – التفسير الكبير ١٣/٢٠٣.

[٤] – الأنعام:١٣٦.

[٥] – التفسير الكبير ١٣/٢٠٤.

[٦] – الأنعام: ١٣٧.

[٧] – التفسير الكبير ١٣/٢٠٥.

[٨] – الأنعام: ١٣٨.

[٩] – التفسير الكبير ١٣/٢٠٧.

[١٠] – الأنعام: ١٣٩.

[١١] – التفسير الكبير ١٣/٢٠٨.

[١٢] – الأنعام: ١٤١.

قال أبو السعود: تمهيد لما سيأتي من تفصيل أحوال الأنعام أي هو الذي أنشأهن من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه[١].

قوله تعالى: "ومن الأنعام حمولة" الخ[٢].

قال أبو السعود: شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل[٣].

قوله تعالى: "قل لا أجد فيما أوحي" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين فساد طريقة أهل الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في هذا الباب[٥].

قوله تعالى: "سيقول الذي أشركوا" الخ[٦].

قال أبو السعود: حكاية لفن آخر من كفرهم[٧].

قوله تعالى: "قل هلم شهدائكم" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما أبطل على الكفار جميع أنواع حججهم بين أنه ليس لهم على قولهم شهود البتة[٩].

قوله تعالى: "قل تعالوا" الخ[١٠].

اعلم أنه تعالى لما بين فساد ما يقوله الكفار أن الله حرم علينا كذا وكذا أردفه

---

[١] – أبو سعود ١٩١/٣.

[٢] – الأنعام: ١٤٢.

[٣] – ابو سعود ١٩٢/٣.

[٤] – الأنعام: ١٤٧.

[٥] – التفسير الكبير ٢١٩/١٣.

[٦] – الأنعام: ١٤٨.

[٧] – ابو سعود ١٩٦/٣.

[٨] – الأنعام: ١٥٠.

[٩] – التفسير الكبير ٢٣٠/١٣.

[١٠] – الأنعام: ١٥١.

ببيان الأشياء التي حرمها عليهم[١].

قوله تعالى: "وأن هذا صراطي" الخ[٢].

اعلم انه تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به أجمل في آخره إجمالاً يقتضي دخول ما تقدم فيه ودخول سائر الشريعة فيه[٣].

قوله تعالى: "ثم آتينا موسى" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مسوق من جهته تعالى تقريراً للوصية وتحقيقاً لها وتمهيداً لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبيئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات إلى التكلم[٥].

قوله تعالى: "هل ينظرون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين أنه إنما أنزل الكتاب إزالة للعذر وإزاحة للعلة بين أنهم لا يؤمنون البتة وشرح أحوالا توجب الياس عن دخولهم في الإيمان[٧].

قوله تعالى: "إن الذين فرقوا" الخ[٨].

قال أبو السعود: استيناف لبيان أحوال أهل الكتابين إثر بيان أحوال المشركين[٩].

قوله تعالى: "من جاء بالحسنة" الخ[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٣١/١٣.

[٢] – الأنعام: ١٥٣.

[٣] – التفسير الكبير ٣١/١٤.

[٤] – الأنعام: ١٥٤.

[٥] – أبو سعود ٢٠٠/٣.

[٦] – الأنعام: ١٥٨.

[٧] – التفسير الكبير ٦/١٤.

[٨] – الانعام: ١٥٩.

[٩] – ابو سعود ٢٠٦/٣.

[١٠] – الأنعام: ١٦٠.

قال أبو السعود: استيناف مبين لمقادير أجزية العاملين (المدلولة عليها بقوله فيما قبل ينبأهم بما كانوا يفعلون)[١].

قوله تعالى: "قل إنني هداني" الخ[٢].

قال أبو السعود: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون أنهم عليه وقد فارقوه بالكلية[٣].

قوله تعالى: "قل إن صلاتي" الخ[٤].

قال أبو السعود: أعيد الأمر لما أن المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق بأصولها[٥].

قوله تعالى: "قل أغير الله أبغي" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أمر محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد المحض أمره بأن يذكر ما يجري مجرى الدليل على صحة هذا التوحيد ثم بين أنه لا يرجع إليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب ثم بين تعالى أن رجوع هؤلاء المشركين إلى موضع لا حاكم فيه ولا آمر إلا الله تعالى[٧].

قوله تعالى: "وهو الذي جعلكم" الخ[٨].

قال المسكين: بين في هذه الآية الأمور الحاملة على امتثال جميع الأوامر من النعم والاجتناب عن جميع النواهي من النقم فكأنها تأكيد وتقرير لجميع ما في السورة مع غيرها، والله أعلم.

---

[١] – أبو سعود ٣/٢٠٦ وما بين القوسين من الهامش.

[٢] – الأنعام: ١٦١.

[٣] – أبو سعود ٣/٢٠٦.

[٤] – الأنعام: ١٦٢.

[٥] – أبو سعود ٣/٢٠٧.

[٦] – الأنعام: ١٦٤.

[٧] – التفسير الكبير ١٤/١٢.

[٨] – الأنعام: ١٦٥.

سورة الأعراف

لما بين في آخر السورة المتقدمة مسلك النبي صلى الله عليه وسلم وما هو عليه من الدين الحق بقوله: "قل إنني هداني ربي –إلى– صراط مستقيم" أمر في أول هذه السورة بتبليغ دينه ذلك إلى الناس وأيضاً كان المذكور في خاتمة السورة الأولى كونه تعالى سريع الحساب وذكر في أول هذه السورة سوال الأمم والأنبياء والوزن فحصلت المناسبة بهذين الوجهين[١].

قوله تعالى: "اتبعوا ما أنزل" الخ[٢].

اعلم أن أمر الرسالة إنما يتم بالمرسِل (بالكسر) وهو الله سبحانه وتعالى، والمرسَل –بالفتح– وهو الرسول، والمرسل إليه وهو الأمة فلما أمر في الآية الأولى الرسول بالتبليغ والإنذار مع قلب قوى وعزم صحيح أمر المرسَل إليه وهو الأمة بمتابعة الرسول[٣].

قوله تعالى: "وكم من قرية أهلكناها" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالإنذار والتبليغ وأمر القوم بالقبول والمتابعة ذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة والإعراض عنها من الوعيد[٥].

قوله تعالى: "فلنسألن الذين" الخ[٦].

قال أبو السعود: بيان لعذابهم الأخروي إثر بيان عذابهم الدنيوي خلا أنه قد

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الأعراف: ٣.

[٣] – التفسير الكبير ١٤/١٧.

[٤] – الأعراف: ٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٤/٢٠.

[٦] – الأعراف: ٦.

تعرض لبيان مبادي أحوال المكلفين جميعاً لكونه أدخل في التهويل[١].

قوله تعالى: "والوزن يومئذ" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى السوال والحساب بين في هذه الآية وزن الأعمال[٣].

قوله تعالى: "ولقد مكناكم في الأرض" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما أمر الخلق بمتابعة الأنبياء عليهم السلام ثم خوفهم بعذاب الدنيا ثم خوفهم بعذاب الآخرة رغبهم في هذه الآية بطريق أخرى وهو أنه كثرت نعم الله عليهم وكثرة النعم توجب الطاعة[٥].

قوله تعالى: "ولقد خلقناكم" الخ[٦].

قال أبو السعود: تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عليه السلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة[٧].

قوله تعالى: "يابني آدم قد أنزلنا" الخ[٨].

في نظم الآية وجهان الأول أنه تعالى لما بين أنه أمر آدم وحواء بالهبوط إلى الأرض وجعل الأرض مستقراً بين بعده أنه تعالى أنزل كل ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا ومن جملتها اللباس.

الوجه الثاني أنه تعالى لما ذكر واقعة آدم في انكشاف العورة وأنه كان يخصف الورق عليها اتبعه بأن بين أنه خلق اللباس للخلق ليستروا بها عوراتهم ونبه

---

[١] – أبو سعود ٢١٢/٣.

[٢] – الأعراف: ٨.

[٣] – التفسير الكبير ٢٤/١٤.

[٤] – الأعراف: ١٠.

[٥] – التفسير الكبير ٢٨/١٤.

[٦] – الأعراف: ١١.

[٧] – أبوسعود ٢١٤/٣.

[٨] – الأعراف: ٢٦.

به على المنة العظيمة على الخلق بسبب أنه أقدرهم على التستر[١].

قوله تعالى: "يا بني آدم لا يفتننكم" الخ[٢].

اعلم أن المقصود من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام حصول العبرة لمن يسمعها فكأنه تعالى لما ذكر قصة آدم وبين فيها شدة عداوة الشيطان لآدم وأولاده اتبعها بأن حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان[٣].

قوله تعالى: "وإذا فعلوا فاحشة" الخ[٤].

قال المسكين: بيان لولاية الشيطان للكافرين في فعلهم الفاحشة وتقليدهم الباطل وافترائهم على الله تعالى.

قوله تعالى: "قل أمر ربي بالقسط" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين أمر الأمر بالفحشاء بين تعالى أنه يأمر بالقسط والعدل[٦].

قوله تعالى: "وأقيموا وجوهكم" الخ[٧].

قال المسكين: هذا من جملة القسط وكذا قوله: وادعوه ثم أشار بقوله: كما بدأكم إلى وقوع الجزاء ثم بين حال القائمين بالقسط والناكبين عنه بقوله: فريقاً هدى ثم علل ضلالتهم بقوله: إنهم اتخذوا" الخ.

قوله تعالى: "يا بني آدم خذوا" الخ[٨].

اعلم أن الله تعالى لما أمر بالقسط في الآية الأولى وكان من جملة القسط أمر

---

[١] – التفسير الكبير ١٤/٥١.

[٢] – الأعراف: ٢٧.

[٣] – التفسير الكبير ١٤/٥٣.

[٤] – الأعراف: ٢٨.

[٥] – الأعراف: ٢٩.

[٦] – التفسير الكبير ١٤/٥٧.

[٧] – الأعراف: ٢٩.

[٨] – الأعراف: ٣١.

اللباس وأمر المأكول والمشروب لا جرم اتبعه بذكرهما[١].

قوله تعالى: "قل إنما حرم ربي الفواحش" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذي حرموه (من ملبوسات في الطواف ومن مأكولات من البحائر والسوائب وغيرهما) ليس بحرام بين في هذه الآية أنواع المحرمات[٣].

قوله تعالى: "ولكل أمة أجل" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين الحلال والحرام وأحوال التكليف بين أن لكل أحد أجلاً معيناً لا يتقدم ولا يتأخر وإذا جاء ذلك الأجل مات لا محالة والغرض منه التخويف ليتشدد المرء في القيام بالتكاليف كما ينبغي[٥].

قوله تعالى: "يا بني آدم إما يأتينكم" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين أحوال التكليف وبين أن لكل أحد أجلاً معيناً لا يتقدم ولا يتأخر بين أنهم بعد الموت إن كانوا مطيعين فلا خوف عليهم ولا حزن وإن كانوا متمردين وقعوا في أشد العذاب[٧].

قوله تعالى: "فمن أظلم ممن افترى" الخ[٨].

اعلم أن قوله تعالى: "فمن أظلم يرجع إلى قوله تعالى: والذين كذبوا[٩].

قوله تعالى: "قال ادخلوا في أمم" الخ[١٠].

١- التفسير الكبير ١٤/٦٠.

٢ – الأعراف: ٣٣.

٣ – التفسير الكبير ١٤/٦٥ وما بين القوسين من الهامش.

٤ – الاعراف: ٣٤.

٥ – التفسير الكبير ١٤/٦٧.

٦ – الأعراف: ٣٥.

٧ – التفسير الكبير ١٤/٦٨.

٨ – الأعراف: ٣٧.

٩ – التفسير الكبير ١٤/٧٠.

١٠ – الأعراف: ٣٨.

اعلم أن هذه الآية من بقية شرح أحوال الكفار وهو أنه تعالى يدخلهم النار[١].

قوله تعالى: "إن الذين كذبوا" الخ[٢].

اعلم أن المقصود منه إتمام الكلام في وعيد الكفار[٣].

قوله تعالى: "والذين آمنوا وعملوا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما استوفي الكلام في الوعيد للكفار اتبعه بالوعد في هذه الآية الشريفة[٥].

قوله تعالى: "ونادى أصحاب الجنة" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما شرح وعيد الكفار وثواب أهل الإيمان والطاعات اتبعه بذكر المناظرات التي تدور بين الفريقين[٧].

قوله تعالى: "ولقد جئناهم بكتاب" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل الجنة وأهل النار وأهل الأعراف ثم شرح الكلمات الدائرة بين هؤلاء الفرق الثلاث على وجه يصير سماع تلك المناظرات حاملاً للمكلّف على الحذر والاحتراز وداعياً له إلى النظر والاستدلال، بين شرف هذا الكتاب الكريم ونهاية منفعته[٩].

قوله تعالى: "هل ينظرون" الخ[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ٧٢/١٤.

[٢] – الأعراف: ٤٠.

[٣] – التفسير الكبير ٧٥/١٤.

[٤] – الأعراف: ٤٢.

[٥] – التفسير الكبير ٧٨/١٤.

[٦] – الأعراف: ٤٤.

[٧] – التفسير الكبير ٨٣/١٤.

[٨] – الأعراف: ٥٢.

٩– التفسير الكبير ٩٤/١٤.

[١٠] – الاعراف: ٥٣.

اعلم أنه تعالى لما بين إزاحة العلة بسبب إنزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب[١].

قوله تعالى: "إن ربكم الله" الخ[٢].

اعلم أنا بينا أن مدار القرآن على تقرير هذه المسائل الأربع وهي التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر ولا شك أن مدار إثبات المعاد على إثبات التوحيد والقدرة والعلم فلما بالغ الله تعالى في تقرير المعاد عاد إلى ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم لتصير تلك الدلائل مقررة لأصول التوحيد ومقررة أيضاً لإثبات المعاد[٣].

قوله تعالى: "وادعوا ربكم" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على كمال القدرة والحكمة والرحمة اتبعه بذكر الأعمال اللائقة بتلك[٥].

قوله تعالى: "وهو الذي يرسل الرياح" الخ[٦].

لما ذكر دلائل الإلهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه بذكر الدلائل من بعض أحوال العالم السفلى[٧].

قال المسكين: واستدل في ضمنه على صحة البعث بقوله: كذلك نخرج الموتى الخ.

قوله تعالى: "والبلد الطيب" الخ[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ١٤/٩٥.

[٢] – الأعراف: ٥٤.

[٣] – التفسير الكبير ١٤/٩٦.

[٤] – الأعراف: ٥٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٤/١٢٧.

[٦]– الأعراف: ٥٧..

[٧] – التفسير الكبير ١٤/١٣٨.

[٨] – الأعراف: ٥٨.

قال أبو السعود: هذا كما ترى مثل لإرسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب المنقسمين إلى المقتبسين من أنوارها والمحرومين من مغانم آثارها (فهو بصورته مناسب لقوله: "فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات" وبمعناه مناسب لقوله: "ولقد جئناهم بكتاب فصلناه" بحيث أفاد وجه التقليد بقوله: "لقوم يؤمنون")، وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الأمم الخالية بطريق الاستيناف فقيل ولقد أرسلنا[١].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا نوحاً" الخ[٢].

في الكبير: اعلم أنه تعالى لما ذكر في تقرير المبدأ والمعاد دلائل ظاهرة وبينات قاهرة وبراهين باهرة اتبعها بذكر قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفيه فوائد أحدها التنبيه على أن إعراض الناس عن قبول هذه الدلائل ليس من خواص قوم محمد عليه الصلاة والسلام بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في جميع الأمم السالفة، والمصيبة إذا عمت خفت، فيفيد تسلية الرسول عليه الصلاة والسلام.

وثانيها أنه تعالى يحكي في هذه القصص أن عاقبة المنكرين كان إلى الكفر واللعن والخسارة، وعاقبة أمر المحقين إلى الدولة والسعادة وذلك يقوي قلوب المحقين ويكسر قلوب المبطلين.

وثالثها التنبيه على أنه تعالى وإن كان يمهل هؤلاء المبطلين ولكنه لا يهملهم بل ينتقم منهم على أكمل الوجوه.

ورابعها بيان أن هذه القصص دالة على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام لأنه عليه السلام كان أمياً وما طالع كتاباً ولا تلمذ أستاذاً فإذا ذكر هذه القصص على الوجه من غير تحريف ولا خطأ دل ذلك على أنه إنما عرفها بالوحي من الله عزوجل وذلك يدل على صحة نبوته[٣].

---

[١] – ابو سعود ٣/٢٣٤ وما بين القوسين زيادة من الهامش.

[٢] – الأعراف: ٥٩.

[٣] – التفسير الكبير ١٤/١٤٦ وقال المؤلف في هامشه على لفظ "وفي الكبير" صرح به أي –باسم الكبير – لئلا يشتبه على الناظر بأنه من تفسير أبي السعود.

قوله تعالى: "وما أرسلنا في قرية" الخ[١].

قال أبو السعود: إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة تفصيلاً[٢].

قوله تعالى: "ولو أن أهل القرى" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين عصوا وتمردوا أخذهم الله بغتة بين في هذه الآية أنهم لو أطاعوا لفتح الله عليهم أبواب الخير[٤].

قوله تعالى: "أولم يهد للذين يرثون" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين فيما تقدم من الآيات حال الكفار الذين أهلكهم الله تعالى بالاستيصال مجملاً ومفصلا اتبعه ببيان أن الغرض من ذكر هذه القصص حصول العبرة لجميع المكلفين في مصالح أديانهم وطاعتهم[٦].

قوله تعالى: "ثم بعثنا من بعدهم موسى" الخ[٧].

اعلم أن هذا هو القصة السادسة من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وذكر في هذه القصة من الشرح والتفصيل ما لم يذكر في سائر القصص لأجل أن معجزات موسى كانت أقوى وجهل قومه كان أعظم وأفحش[٨].

قوله تعالى: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما بين أن من صفة من يكتب له الرحمة التقوى وإيتاء الزكاة

---

[١] – الأعراف: ٩٤.

[٢] – أبو سعود ٢٥٢/٣.

[٣] – الأعراف: ٩٦.

[٤] – التفسير الكبير ١٨٥/١٤.

[٥] – الأعراف: ١٠٠.

[٦] – التفسير الكبير ١٨٦/١٤.

[٧] – الأعراف: ١٠٣.

[٨] – التفسير الكبير ١٨٩/١٤ وما بين القوسين في الهامش.

[٩] – الأعراف: ١٥٧.

والإيمان بالآيات ضم إلى ذلك أن يكون من صفته اتباع النبي الأمي فكأنه تعالى بين بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بني إسرائيل إلاّ من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالدلائل في زمن موسى، ومن هذه صفته في أيام الرسول إذا كان مع ذلك متبعاً للنبي الأمي في شرائعه[١].

قوله تعالى: "قل يا أيها الناس" الخ[٢].

قال أبو السعود: لما حكي ما في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من أهلهما ونيلهم لسعادة الدارين أمر عليه الصلاة والسلام ببيان أن تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائناً من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بأقوامهم[٣].

قوله تعالى: "ومن قوم موسى أمة" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة والتقوى والإيمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم – من حرمان أسلاف قوم موسى من كل خير وبيان أن كلهم ليسوا كما حكيت أحوالهم بل منهم أمة الخ[٥].

قوله تعالى: "وقطعناهم اثنتي عشرة" الخ[٦].

قال المسكين: هذا بقية من حكاية قصة بني إسرائيل.

قوله تعالى: "واسألهم عن القرية" الخ[٧].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٢/١٥

[٢] – الأعراف: ١٥٨.

[٣] – أبو سعود ٢٨٠/٣.

[٤] – الأعراف: ١٥٩.

[٥] – أبو سعود ٢٨١/٣.

[٦] – الأعراف: ١٥٩.

[٧] – الأعراف: ١٦٣.

قال المسكين: هذا أيضاً بعض قبائح اليهود.

قوله تعالى: "وإذ تأذن ربك" الخ[١].

قال المسكين: هذا بيان لجزائهم من الذل والصغار إثر بيان قبائحهم.

قوله تعالى: "وقطعناهم في الأرض" الخ[٢].

هذا أيضاً من بقايا أحوالهم إلى قوله تعالى: وإذ نتقنا الجبل الخ.

قوله تعالى: "وإذ أخذ ربك" الخ[٣].

لما شرح قصة موسى عليه السلام مع توابعها على أقصى الوجوه ذكر في هذه الآية ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين[٤].

قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ الذي" الخ[٥].

قال المسكين: هذا تقبيح لمن ضل بعد العلم والهدي كبعض علماء بني إسرائيل الذين ذكرت أخبارهم فيما قبل أو كل من ذكره الله تعالى بآياته ومواثيقه التي أخذها في عالم الذر كما يدل عليه قوله تعالى: "ذلك مثل القوم الذين كذبوا" الخ.

قوله تعالى: "ساء مثلا القوم" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قال بعد تمثيلهم بالكلب: "ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا" وزجر بذلك عن الكفر والتكذيب أكده في باب الزجر بقوله: ساء مثلا[٧].

قوله تعالى: "من يهدي الله" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما وصف الضالين بالوصف المذكور وعرف حالهم بالمثل

---

[١] – الأعراف: ١٦٧.

[٢] – الأعراف: ١٦٨.

[٣] – الأعراف: ١٧٢.

[٤] – التفسير الكبير ٤٦/١٥.

[٥] – الأعراف: ١٧٥.

[٦] – الأعراف: ١٧٧.

[٧] – التفسير الكبير ٥٧/١٥.

[٨] – الأعراف: ١٧٨.

المذكور بين في هذه الآية أن الهداية والضلالة من الله تعالى[١].

قوله تعالى: "ولقد ذرأنا لجهنم" الخ[٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذئيل[٣].

قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى" الخ[٤].

قال أبو السعود: تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به إثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة[٥].

قوله تعالى: "وممن خلقنا أمة يهدون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قال: ولقد ذرأنا فأخبر أن كثيراً منهم مخلوقون للنار اتبعه بقوله: وممن خلقنا أمة ليبين أيضاً أن كثيراً منهم مخلوقون للجنة[٧].

قوله تعالى: "والذين كذبوا بآياتنا" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر حال الأمة الهادية العادلة أعاد ذكر المكذبين بآيات الله تعالى وما عليهم من الوعيد[٩].

قوله تعالى: "أولم يتفكروا" الخ[١٠].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكرهم في شأنه عليه الصلاة

---

[١] – التفسير الكبير ٥٨/١٥.

[٢] – الأعراف: ١٧٩.

[٣] – أبو سعمود ٢٩٥/٣.

[٤] – الأعراف: ١٨٠.

[٥] – أبو سعود ٢٩٦/٣.

[٦] – الأعراف: ١٨١.

[٧] – التفسير الكبير ٧٢/١٥.

[٨] – الأعراف: ١٨٢.

[٩] – التفسير الكبير ٧٣/١٥.

[١٠] – الأعراف: ١٨٤.

والسلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها[١].

قوله تعالى: "أو لم ينظروا في ملكوت" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف آخر مسوق للإنكار والتوبيخ بإخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس الشاهدة لصحة مضمون الآيات المنزلة إثر ما نعى عليهم إخلالهم بالتفكر في شأنه عليه الصلاة والسلام[٣].

قوله تعالى: "من يضلل الله" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم[٥].

قوله تعالى: "يسألونك عن الساعة" الخ[٦].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان بعض أحكام ضلالهم وطغيانهم[٧].

قوله تعالى: "قل لا أملك" الخ[٨].

قال أبو السعود: شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها إثر بيان عجز الكل عنه وإبطال زعمهم الذي بنوا عليه سوالهم من كونه عليه الصلاة والسلام ممن يعلمها (والأولى أن يقال ممن يدعى علمها)[٩].

قوله تعالى: "هو الذي خلقكم من نفس واحدة" الخ[١٠].

---

[١] – أبو سعود ٢٩٨/٣.

[٢] – الأعراف: ١٨٥.

[٣] – أبو سعود ٢٩٩/٣.

[٤] – الأعراف: ١٨٦.

[٥] – أبو سعود ٣٠٠/٣.

[٦] – الأعراف: ١٨٧.

[٧] – أبو سعود ٣٠٠/٣.

[٨] – الأعراف: ١٨٨.

[٩] – أبو سعود ٣٠٢/٣ وما بين القوسين من الهامش.

[١٠] – الأعراف: ١٨٩.

اعلم أنه تعالى رجع في هذه الآية إلى تقرير أمر التوحيد وإبطال الشرك[١].

قوله تعالى: "خذ العفو" الخ[٢].

قال أبو السعود: بعد ما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله أمر عليه السلام بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم[٣].

قوله تعالى: "وإما ينزغنك" الخ[٤].

قال أبو زيد: لما نزل قوله: "وأعرض عن الجاهلين" قال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف يا رب والغضب فنزل قوله: "وإما ينزغنك"[٥].

قوله تعالى: "إن الذين اتقوا" الخ[٦].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به عليه الصلاة والسلام من الاستعاذة بالله تعالى سنة مسلوكة للمتقين والإخلال بها ديدن الغاوين[٧].

قوله تعالى: "وإذا لم تأتهم بآية" الخ[٨].

قال المسكين: عود إلى إثبات حقية الآيات المنزلة عليه عليه الصلاة والسلام وكفايتها في أمر الإيمان وإغنائها عن الآيات المقترحة.

قوله تعالى: "وإذا قرئ القرآن" الخ[٩].

قال أبو السعود: إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي

---

[١] – التفسير الكبير ٨٥/١٥.

[٢] – الأعراف: ١٩٩.

[٣] – أبو سعود ٣٠٨/٣.

[٤] – الأعراف: ٢٠٠.

[٥] – التفسير الكبير ٩٧/١٥.

[٦] – الأعراف: ٢٠١.

[٧] – أبو سعود ٣٠٨/٣.

[٨] – الأعراف: ٢٠٣.

[٩] – الأعراف: ٢٠٤.

ينطوي عليها القرآن[١].

قوله تعالى: "واذكر ربك" الخ[٢].

قال المسكين: لما كانت التلاوة المذكورة منه عليه السلام بالجهر ليتمكن السامع من استماعه أمر في هذه الآية بالذكر الخفي ليفي حق الجلوة والخلوة.

قوله تعالى: "إن الذين عند ربك" الخ[٣].

لما رغب الله رسوله في الذكر وفي المواظبة عليه ذكر عقيبه ما يقوي دواعيه في ذلك[٤].

---

[١] – أبو سعود ٣/٣١٠.

[٢] – الأعراف: ٢٠٥.

[٣] – الأعراف: ٢٠٦.

[٤] – التفسير الكبير ١٥/١١٠.

سورة الأنفال

لما أبطل طريقة المشركين في خاتمة السورة السابقة وهو الجهاد باللسان بين في هذه السورة أحكام الجهاد بالسنان[١].

قوله تعالى: "إنما المؤمنون الذين" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما قال: "وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" واقتضى ذلك كون الإيمان مستلزماً للطاعة شرح ذلك في هذه الآية مزيد شرح وتفصيل وبين أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول هذه الطاعات[٣].

قوله تعالى: "كما أخرجك ربك" الخ[٤].

قال المسكين: عود إلى حكم الأنفال والتشبيه في الكراهة حالاً والموافقة للحكمة مآلا.

قوله تعالى: "وإذ يعدكم الله" الخ[٥].

قال المسكين: تفصيل لقصة بدر.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم" الخ[٦].

قال أبو السعود: خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب، جيء به تضاعيف القصة إظهاراً للاعتناء بشأنه ومبالغة في حضهم على المحافظة عليه[٧].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الأنفال: ٢.

[٣] – التفسير الكبير ١١٧/١٥.

[٤] – الأنفال: ٥.

[٥] – الأنفال: ٧.

[٦] – الأنفال: ١٥.

[٧] – أبو سعود ١٢/٤.

قوله تعالى: "فلم تقتلوهم" الخ[١].

قال أبو السعود: رجوع إلى بيان بقية أحكام الواقعة وأحوالها وتقرير ما سبق منها[٢].

قوله تعالى: "إن تستفتحوا فقد" الخ[٣].

قال أبو السعود: خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين واهدى الفئتين وأكرم الحزبين[٤].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا" الخ[٥].

قال المسكين: لما خاطب أهل مكة بالتهكم أمر المؤمنين بأن لا يكونوا مثلهم بل يطيعوا الله ورسوله.

قوله تعالى: "واتقوا فتنة" الخ[٦].

قال المسكين: لما أمر في الآية الأولى بالإطاعة والاستجابة أمر في هذه الآية بحمل غيرهم عليهما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قوله تعالى: "واذكروا إذ أنتم" الخ[٧].

قال المسكين: بيان لموجبات الإطاعة من النعم الجليلة.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله" الخ[٨].

قال المسكين: لما أمر فيما قبل بالإطاعة نهي ههنا عن المعصية والخيانة،

---

[١] – الأنفال: ١٧.

[٢] – أبو سعود ١٣/٤.

[٣] – الأنفال: ١٩.

[٤] – أبو سعود ١٤/٤.

[٥] – الأنفال: ٢٠.

[٦] – الأنفال: ٢٥.

[٧] – الأنفال: ٢٦.

[٨] – الأنفال: ٢٧.

ولما كان الحامل عليهما في الأغلب حب المال والولد شرح كونهما فتنة.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله" الخ[١].

قال المسكين: فيه الحض على التقوى وبيان كونه مداراً لسعادة الدنيا والآخرة إثر الأمر به فيما قبل.

قوله تعالى: "وإذ يمكربك" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله: "واذكروا إذ أنتم قليلاً" فكذلك ذكر رسوله نعمه عليه[٣].

قوله تعالى: "وإذا تتلى عليهم آياتنا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما حكى أمرهم في ذات محمد صلى الله عليه وسلم حكى مكرهم في دين محمد صلى الله عليه وسلم[٥].

قوله تعالى: "وما كان الله ليعذبهم" الخ[٦].

قال أبو السعود: جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان الموجب لإمهالهم والتوقف في إجابة دعائهم[٧].

قوله تعالى: "وما لهم أن لا يعذبهم" الخ[٨].

قال أبو السعود: بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان أن المانع ليس من قبلهم[٩].

قوله تعالى: "وما كان صلاتهم" الخ[١٠].

---

[١] – الأنفال: ٢٩.

[٢] – الأنفال: ٣٠.

[٣] – التفسير الكبير ١٥/١٥٥.

[٤] – الأنفال: ٣١.

[٥] – التفسير الكبير ١٥/١٥٦.

[٦] – الأنفال: ٣٣.

[٧] – أبو سعود ٤/٩.

[٨] – الأنفال: ٣٤.

[٩] – أبو سعود ٤/٢٠.

[١٠] – الأنفال: ٣٥.

قال أبو السعود: مساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فإنها لا تليق بمن هذه صلاته[١].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا ينفقون" ألخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها بشرح أحوالهم في الطاعات المالية[٣].

قال المسكين: وحسن موقعها ههنا نزولها في المطعمين يوم بدر.

قوله تعالى: "قل للذين كفروا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين صلاتهم في عباداتهم البدنية وعباداتهم المالية أرشدهم إلى طريق الصواب[٥].

قوله تعالى: "وقاتلوهم حتى" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين أن هؤلاء الكفار ان انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وإن عادوا فهم متوعدون بسنة الأولين اتبعه بأن أمر بقتالهم إذا أصروا[٧].

قوله تعالى: "واعلموا أنما غنمتم" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما أمر بالمقاتلة في قوله: وقاتلوهم وكان من المعلوم أن عند المقاتلة قد تحصل الغنيمة لا جرم ذكر الله تعالى حكم الغنيمة[٩].

---

[١] – أبو سعود ٢٠/٤.

[٢] – الأنفال: ٣٦.

[٣] – التفسير الكبير ١٦٥/١٥.

[٤] – الأنفال: ٣٨.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٢/١٥.

[٦] – الأنفال: ٣٩.

[٧] – التفسير الكبير ١٦٣/١٥.

[٨] – الأنفال: ٤١.

[٩] – التفسير الكبير ١٦٤/١٥.

قوله تعالى: "إذ أنتم بالعدوة الدنيا" الخ[١].

قال المسكين: متعلق بدر.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع نعمه على الرسول وعلى المؤمنين يوم بدر علمهم إذا التقوا الثبات وأن يذكروا الله كثيراً[٣].

قوله تعالى: "وإذ زين لهم الشيطان"[٤].

قال المسكين: هذا أيضاً متعلق ببدر.

قوله تعالى: "ولو ترى إذ يتوفى الذين" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال هؤلاء الكفار شرح أحوال موتهم والعذاب الذي يصل إليهم[٦].

قوله تعالى: "كدأب آل فرعون" الخ[٧].

لما بين ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلاً وآجلاً اتبعه بأن بين أن هذه طريقته وسنته في الكل فقال: كدأب آل الخ ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي أنزله بهم فقال: ذلك بأن الله[٨].

قوله تعالى: "إن شر الدواب" الخ[٩].

قال أبو السعود: بعد ما شرح أحوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان

---

[١] – الأنفال: ٤٢.

[٢] – الأنفال: ٤٥.

[٣] – التفسير الكبير ١٥/١٧١.

[٤] – الأنفال: ٤٨.

[٥] – الانفال: ٥٠.

[٦] – التفسير الكبير ١٥/١٧٧.

[٧] – الأنفال: ٥٢.

[٨] – التفسير الكبير ١٥/١٨٠.

[٩] – الأنفال: ٥٥.

أحوال الباقين منهم وتفصيل أحكامهم[١].

قوله تعالى: "فإما تثقفنهم" الخ[٢].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحكامهم بعد تفصيل أحوالهم[٣].

قوله تعالى: "ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين ما يفعل الرسول في حق من يجده في الحرب ويتمكن منه وذكر أيضاً ما يجب أن يفعله فيمن ظهر منه نقض العهد بين أيضاً حال من فاته في يوم بدر وغيره[٥].

قوله تعالى: "وأعدوا لهم" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر عنه نقض العهد وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار[٧].

قال أبو السعود: أو لقتال الكفار على الإطلاق وهو الأنسب لسياق النظم الكريم[٨].

قوله تعالى: "وإن جنحوا" الخ[٩].

اعلم أنه لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار بين بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا أي مالوا إلى الصلح فالحكم قبول الصلح[١٠].

---

[١] – أبو سعود ٣٠/٤.

[٢] – الأنفال: ٥٧.

[٣] – أبو سعود ٣٠/٤.

[٤] – الانفال: ٥٩.

[٥] – التفسير الكبير ١٨٤/١٥.

[٦] – الأنفال: ٦٠.

[٧] – التفسير الكبير ١٨٥/١٥.

[٨] – أبو سعود ٣٢/٤.

[٩] – الأنفال: ٦١.

[١٠] – التفسير الكبير ١٨٧/١٥.

قوله تعالى: "وإن يريدوا خيانتك" الخ[١].

وقال المسكين: ثم لما كان في الصلح احتمال الخداع وعد نبيه بحسبانه تعالى إياه وعلله بنصره وبالمؤمنين في قوله: "إن يريدوا" الخ.

قوله تعالى: "يا أيها النبي حسب الله ومن اتبعك" الخ[٢].

قال ابو السعود: شروع في بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في جميع أموره وأمور المؤمنين أو في الأمور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة إثر بيان كفايته تعالى إياه عليه الصلاة والسلام في مادة خاصة[٣].

قوله تعالى: "يا أيها النبي حرض المؤمنين" الخ[٤].

بعد ما بين كفايته إياهم بالنصر والإمداد أمره عليه الصلاة والسلام بترتيب مبادى نصره وإمداده[٥].

قوله تعالى: "وما كان لنبي أن يكون" الخ[٦].

واعلم أن المقصود من هذه الآية تعليم حكم آخر من أحكام الغزو والجهاد في حق النبي صلى الله عليه وسلم[٧].

قوله تعالى: "يا أيها النبي قل لمن في أيديكم" الخ[٨].

اعلم أن الرسول لما أخذ الفداء من الأسارى وشق عليهم أخذ أموالهم منهم ذكر الله تعالى هذه الآية استعمالةً لهم[٩].

---

[١] – الأنفال: ٦٢.

[٢] – الأنفال: ٦٤.

[٣] – أبو سعود ٣٣/٤.

[٤] – الأنفال: ٦٥.

[٥] – أبو سعود ٣٤/٤.

[٦] – الأنفال: ٦٧.

[٧] – التفسير الكبير ١٩٧/١٥.

[٨] – الأنفال: ٧٠.

[٩] – التفسير الكبير ٢٠٤/١٥.

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا وهاجروا" إلى آخر السورة[١].

اعلم أنه تعالى قسم المؤمنين في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أربعة أقسام وذكر حكم كل واحد منهم وتقرير هذه القسمة أنه عليه السلام ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك إلى الدين ثم انتقل من مكة إلى المدينة فحين هاجر من مكة إلى المدينة صار المؤمنون على قسمين منهم من وافقه في تلك الهجرة ومنهم من لم يوافقه فيها بل بقي هناك أما القسم الأول فهم المهاجرون الأولون وقد وصفهم بقوله: إن الذين آمنوا الخ وإنما قلنا أن المراد منهم المهاجرون الأولون لأنه تعالى قال في آخر الآية والذين آمنوا من بعد وهاجروا.

أما القسم الثاني من المؤمنين الموجودين في زمان محمد صلى الله عليه وسلم فهم الأنصار الذين آووا ونصروا.

القسم الثالث من أقسام مؤمني زمان الرسول عليه السلام وهم المؤمنون الذين ما وافقوا الرسول في الهجرة وبقوا في مكة وهم المعنيون بقوله: والذين آمنوا ولم يهاجروا.

القسم الرابع من مؤمني زمان محمد صلى الله عليه وسلم هم الذين لم يوافقوا الرسول في الهجرة إلا أنهم بعد ذلك هاجروا إليه وهو المراد من قوله تعالى: والذين آمنوا من بعد[٢].

قال المسكين: لما كانت الوظيفة هو الجهاد وقت القدرة، والهجرة عند العجز ذكر الهجرة وبعض أحكامها بعد ذكر الجهاد.

---

[١] – الانفال: ٧٢.

[٢] – التفسير الكبير ١٥/٢٠٧-٢١٢.

سورة براءة

اعلم أن كلتا السورتين مشتملة على بيان أحكام الجهاد فالمناسبة ظاهرة[١].

قوله تعالى: "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى بدء السورة بذكر البراءة عن الكفار وبالغ في إيجاب ذلك وذكر من أنواع فضائحهم وقبائحهم ما يوجب تلك البراءة[٣].

قال المسكين: واشعر ذلك بإهانتهم وأجاب عما افتخروا بها.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم" الخ[٤].

قال المسكين آخذاً من الكبير: لما بالغ في البراءة عن الكفار كان مظنة أن يقال إن البراءة عن الأقارب صعب جداً فذكرها في هذه الآية[٥].

قوله تعالى: "لقد نصركم الله في مواطن" الخ[٦].

قال المسكين: لما أمر الله تعالى فيما قبل بترجيح موالاة الله تعالى على موالاة غيره والإنقطاع عما سواه أكده بتذكير واقعة حنين وأضاربها بأن كثرة جماعتكم لم تغن شيئاً وإنما نفعكم نصر الله تعالى فحق عليكم التوكل عليه لا على غيره.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس" الخ[٧].

لما أمر صلى الله عليه وسلم علياً أن يقرأ على مشركي مكة أول سورة براءة وينبذ إليهم عهدهم قال أناس: ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – براءة: ١٧.

[٣] – التفسير الكبير ٦٧/١٦ وما بين القوسين من الهامش.

[٤] – براءة: ٢٣.

[٥] – التفسير الكبير ١٨/١٦.

[٦] – براءة: ٢٥.

[٧] – براءة: ٢٨.

الحمولات فنزلت هذ الآية وأجاب الله تعالى بقوله: "وإن خفتم عيلة[١].

قوله تعالى: "قاتلوا الذين" الخ[٢].

قال أبو السعود: أمرهم بقتال أهل الكتابين إثر أمرهم بقتال المشركين[٣].

قوله تعالى: "وقالت اليهود" الخ[٤].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما مر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين[٥].

قوله تعالى: "اتخذوا أحبارهم" الخ[٦].

قال أبو السعود: زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى[٧].

قوله تعالى: "يريدون أن يطفئوا" الخ[٨].

اعلم أن المقصود منه بيان نوع من الأفعال القبيحة الصادرة عن رؤساء اليهود والنصارى وهو سعيهم في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم[٩].

قوله تعالى: "هو الذي أرسل رسوله" الخ[١٠].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الأعداء أنهم يحاولون إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم وبين تعالى أنه يأبى ذلك الإبطال وإنه يتم أمره بين كيفية ذلك الإتمام[١١].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٤/١٦.

[٢] – براءة: ٢٩.

[٣] – أبو سعود ٥٨/٤.

[٤] – براءة: ٣٠.

[٥] – أبو سعود ٥٩/٤.

[٦] – براءة: ٣١.

[٧] – أبو سعود ٦٠/٤.

[٨] – براءة: ٣٢.

[٩] – التفسير الكبير ٣٨/١٦.

[١٠] – براءة: ٣٢.

[١١] – التفسير الكبير ٣٩/١٦.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً" الخ[١].

قال أبو السعود: شروع في بيان حال الأحبار والرهبان في إغوائهم لأرذالهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أرباباً[٢].

قوله تعالى: "إن عدة الشهور" الخ[٣].

قال المسكين: رجوع إلى بيان بعض قبائح المشركين وضلالتهم وجهالاتهم من تغيير أحكام الله تعالى الموجبة لقتالهم.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا مالكم" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما شرح معائب هؤلاء الكفار وفضائحهم عاد إلى الترغيب في مقاتلتهم[٥].

قوله تعالى: "انفروا خفافا وثقالا" الخ[٦].

قال أبو السعود: تجريد للأمر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والإنكار على المساهلة فيه[٧].

قوله تعالى: "لو كان عرضاً قريباً" الخ[٨].

قال أبو السعود: صرف الخطاب عنهم وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديداً لما صدر عنهم من الهنات قولاً وفعلاً على طريق المباثة، وبيان لدنائة هممهم وسائر رذائلهم[٩].

---

[١] – براءة: ٣٤.

[٢] – أبو سعود ٦٢/٤.

[٣] – براءة: ٣٦.

[٤] – براءة: ٣٨.

[٥] – التفسير الكبير ٥٩/١٦.

[٦] – براءة: ٤١.

[٧] – أبو سعود ٦٧/٤.

[٨] – براءة: ٤٢.

[٩] – أبو سعود ٦٧/٤.

قال المسكين: شرع الله تعالى من ههنا قبائح المنافقين وفضائحهم في غزوة تبوك وامتد هذا البيان إلى آخر السورة إلا ما وقع من بعض أحوال المنافقين في التضاعيف استطراداً وإلا قوله: وما كان الله ليضل فكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك.

قوله تعالى: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل ذلك التكاليف[٢].

قوله تعالى: "فإن تولوا" الخ[٣].

قال ابو السعود: تلوين للخطاب وتوجيه له إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له[٤].

---

[١] – براءة: ١٢٨.

[٢] – التفسير الكبير ٢٣٥/١٦.

[٣] – براءة: ١٢٩.

[٤] – أبو سعود ١١٤/٤.

سورة يونس عليه الصلاة والسلام

وجه المناسبة أن خاتمة ما قبلها وفاتحتها تشتركان في إثبات الرسالة[١].

قوله تعالى: "إن ربكم الله الذي" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تعجبوا من الوحي والبعثة والرسالة ثم إنه تعالى أزال ذلك التعجب بأنه لا يبعد البتة في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولاً يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب كان هذا الجواب إنما يتم ويكمل بإثبات أمرين أحدهما إثبات أن لهذا العالم إلهاً قادراً قاهراً نافذ الحكم بالأمر والنهي والتكليف.

والثاني إثبات الحشر والنشر والبعث والقيامة حتى يحصل الثواب والعقاب اللذان أخبر الأنبياء عن حصولهما فلا جرم أنه سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقيق هذين المطلوبين[٣].

قوله تعالى: "هو الذي جعل الشمس ضياء" الخ[٤].

قال أبو السعود: تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وحلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من إبداع السموات والأرض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان بعض أفراد التدبير الذي أشير إليه إشارة إجمالية وإرشاد إلى أنه حيث دبرت أمورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بإرسال الرسل وإنزال الكتاب

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – يونس: ٣.

[٣] – التفسير الكبير ٨/١٧.

[٤] – يونس: ٥.

وتبيين طرائق الهدى وتعيين مهاوي الردي أولى وأحرى[١].

قوله تعالى: "إن الذين لا يرجون لقاءنا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أقام الدلائل القاهرة على صحة القول بإثبات الإله الرحيم الحكيم وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع بعده في شرح أحوال من يكفر بها وفي شرح أحوال من يؤمن بها[٣].

قوله تعالى: "ولو يعجل الله للناس الشر" الخ[٤].

إن الذي يغلب على ظني أن ابتداء هذه السورة في ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها فالشبهة الأولى أن القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمداً عليه السلام بالنبوة فأزال الله تعالى ذلك التعجب بقوله: أكان للناس عجباً ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد وحاصل الجواب أنه يقول: إني ما جئتكم إلا بالتوحيد والإقرار بالمعاد وقد دلّلت على صحتها فلم يبق للتعجب من نبوتي معنى.

والشبهة الثانية للقوم أنهم كانوا أبداً يقولون: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً في ادعاء الرسالة فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بما ذكره في هذه الآية[٥].

قوله تعالى: "وإذا مس الإنسان الضر" الخ[٦].

إنه تعالى حكى عنهم أنهم يستعجلون في نزول العذاب ثم بين في هذه الآية أنهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال لأنه لو نزل بالإنسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه فإنه يتضرع إلى الله تعالى في إزالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه

---

[١] – أبو سعود ١٢٠/٤.

[٢] – يونس: ٨.

[٣] – التفسير الكبير ٣٨/١٧.

[٤] – يونس: ١١.

[٥] – التفسير الكبير ٤٧/١٧.

[٦] – يونس: ١٢.

ليس صادقاً في هذا الطلب[١].

قوله تعالى: "ولقد أهلكنا القرون" الخ[٢].

بين في هذه الآية ما يجري مجرى التهديد وهو أنه تعالى قد ينزل بهم عذاب الاستيصال ولا يزيله[٣].

قوله تعالى: "وإذا تتلى عليهم آيات بينات" الخ[٤].

اعلم أن هذا الكلام هو النوع الثالث من شبهاتهم وكلماتهم التي ذكروها في الطعن في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم حكاها الله تعالى في كتابه وأجاب عنها[٥].

قوله تعالى: "فمن أظلم ممن افترى" الخ[٦].

اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها ظاهر[٧].

قوله تعالى: "ويعبدون من دون الله" الخ[٨].

قال أبو السعود: حكاية جناية أخرى لهم نشأت عنها جنايتهم الأولى[٩].

قال المسكين: أي قولهم: ائت بقرآن غير هذا أو بدله لأن في القرآن إبطال ألوهية أصنامهم.

قوله تعالى: "وما كان الناس إلا أمة" الخ[١٠].

اعلم أنه تعالى لما أقام الدلائل القاهرة على فساد القول بعبادة الأصنام بين

---

[١] – التفسير الكبير ٤٩/١٧ و٥٠.

[٢] – يونس: ١٣.

[٣] – التفسير الكبير ٥٣/١٧.

[٤] – يونس: ١٥.

[٥] – التفسير الكبير ٥٥/١٧.

[٦] – يونس: ١٧.

[٧] – التفسير الكبير ٥٨/١٧.

[٨] – يونس: ١٨.

[٩] – أبو سعود ١٣١/٤.

[١٠] – يونس: ١٩.

السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد والمقالة الباطلة[١].

قوله تعالى: "ويقولون لولا" الخ[٢].

اعلم أن هذا الكلام هو النوع الرابع من شبهات القوم في إنكارهم نبوته[٣].

قوله تعالى: "وإذا أذقنا الناس رحمة" الخ[٤].

اعلم أن القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية وأجاب الجواب وهو قوله تعالى: "إنما الغيب لله ذكر جواباً آخر وتقريره أن عادة هؤلاء الأقوام المكر واللجاج والعناد وعدم الإنصاف وإذا كانوا كذلك فبتقدير أن اعطوا ما سألوه من إنزال معجزات أخرى فإنهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم[٥].

قوله تعالى: "هو الذي يسيركم في البحر" الخ[٦].

قال المسكين: هذه متمم لما قرر قبله.

قوله تعالى: "إنما مثل الحياة الدنيا" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما قال يا أيها الناس إنما بغيكم الخ اتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها[٨].

قوله تعالى: "والله يدعو إلى" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما نفر الغافلين عن الميل إلى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في

---

[١] – التفسير الكبير ٦١/١٧.

[٢] – يونس: ٢٠.

[٣] – التفسير الكبير ٦٣/١٧.

[٤] – يونس: ٢١.

[٥] – التفسير الكبير ٦٤/١٧.

[٦] – يونس: ٢٢.

[٧] – يونس: ٢٤.

[٨] – التفسير الكبير ٧٢/١٧.

[٩] – يونس: ٢٥.

الآخرة بهذه الآية[١].

قوله تعالى: "للذين أحسنوا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما دعا عباده إلى دار السلام ذكر السعادات التي تحصل لهم فيها[٣].

قوله تعالى: "والذين كسبوا السيئات" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى كما شرح حال المسلمين في الآية المتقدمة شرح حال من أقدم على السيئات في هذه الآية[٥].

قوله تعالى: "ويوم نحشرهم جميعاً" الخ[٦].

اعلم أن هذا نوع آخر من شرح فضائح أولئك الكفار الذين كسبوا السيئات[٧].

قوله تعالى: "هنالك تبلوا" الخ[٨].

هذه الآية كالتتمة لما قبلها[٩].

قوله تعالى: "قل من يرزقكم من السماء" الخ[١٠].

اعلم أنه تعالى لما بين فضائح عبدة الأوثان اتبعها بذكر الدلائل الدالة على فساد هذا المذهب[١١].

---

[١] – التفسير الكبير ٧٤/١٧.

[٢] – يونس: ٢٦.

[٣] – التفسير الكبير ٧٧/١٧.

[٤] – يونس: ٢٧.

[٥] – التفسير الكبير ٧٩/١٧.

[٦] – يونس: ٢٨.

[٧] – التفسير الكبير ٨٢/١٧.

[٨] – يونس: ٣٠.

[٩] – التفسير الكبير ٨٥/١٧.

[١٠] – يونس: ٣١.

[١١] – التفسير الكبير ٨٦/١٧.

قوله تعالى: "وما كان هذا القرآن" الخ[١].

قال أبو السعود: شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم إثر بيان ردهم للأدلة العقلية المندرجة في تضاعيفه[٢].

قال المسكين: كأنه عود إلى تقرير مضمون قوله تعالى في أول السورة: "وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقائنا ائت بقرآن غير هذا" الخ.

قوله تعالى: "ومنهم من يؤمن به" الخ[٣].

قال المسكين: بيان لمعاملة الكفار مع القرآن وصاحب القرآن على أنحاء شتى.

قوله تعالى: "ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين أن حال كل الأنبياء مع أقوامهم كذلك[٥].

قوله تعالى: "ويقولون متى هذا الوعد" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة من شبهات منكرى النبوة فإنه عليه الصلاة والسلام كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا: متى هذا الوعد[٧].

قوله تعالى: "ويستنبئونك أحق هو" الخ[٨].

قال المسكين: هي تتمة لما قبلها وكذا قوله تعالى: ألا إن لله ما في السموات

١- يونس: ٣٧.

٢- أبو سعود ١٤٥/٤.

٣- يونس: ٤٠.

٤ – يونس: ٤٥.

٥ – التفسير الكبير ١٠٦/١٧.

٦ – يونس: ٤٨.

٧ – التفسير الكبير ١٠٧/١٧.

٨ – يونس: ٥٣.

والأرض الخ تنبيه للجواب المذكور ببيان أن الله تعالى مالك العلويات والسفليات ووعده حق والإحياء والإماتة بيده فهو قادر على نزول العذاب متى شاء وإنه ينزل لا محالة.

قوله تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم" الخ[١].

اعلم أن الطريق إلى إثبات نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أمران الأول أن يقول: إن هذا الشخص قد ادعى للنبوة وظهرت المعجزة على يده وكل من كان كذلك فهو رسول من عند الله حقاً وصدقاً وهذا الطريق مما قد ذكره الله تعالى في قوله: "وما كان لهذا القرآن أن يفتري" الخ.

فنقول: إنه تعالى لما بين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق المعجزة ففي هذه الآية بين صحة نبوته بالطريق الثاني وهذا الطريق طريق كاشف عن حقيقة النبوة معرف لماهيتها فالاستدلال بالمعجزة هو الذي يسميه المنطقيون برهان الإنّ وهذا الطريق هو الطريق الذي يسمونه برهان اللّمّ وهو أشرف وأعلى وأكمل وأفضل[٢].

قوله تعالى: "قل أرأيتم ما أنزل الله" الخ[٣].

لما ذكر الدلائل الكثيرة على صحة النبوة وبين فساد سؤالاتهم وشبهاتهم في إنكارها اتبع ذلك ببيان فساد طريقتهم في شرائعهم وأحكامهم[٤].

قوله تعالى: "وما تكون في شأن" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما أطال الكلام في أمر الرسول بإيراد الدلائل على فساد مذاهب الكفار، وفي أمره بتحمل أذاهم وبالرفق معهم ذكر هذا الكلام ليحصل به تمام السلوة والسرور للمطيعين وتمام الخوف والفزع للمذنبين وهو كونه سبحانه وتعالى

---

[١] – يونس: ٥٧.

[٢] – التفسير الكبير ١١٤/١٧ و١١٥.

[٣] – يونس: ٥٩.

[٤] – التفسير الكبير ١٢٠/١٧.

[٥]– يونس: ٦١.

عالما بعمل كل واحد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف[١].

قوله تعالى: "ألا إن أولياء الله" الخ[٢].

اعلم أنا بينا أن قوله تعالى: وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن، مما يقوي قلوب المطيعين ومما يكسر قلوب الفاسقين فاتبعه الله تعالى بشرح أحوال المخلصين الصادقين الصديقين في هذه الآية[٣].

قوله تعالى: "ولا يحزنك قولهم" الخ[٤].

قال أبو السعود: تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام عما كان يلقاه من جهتهم من الأذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة، وتبشير له عليه الصلاة والسلام بأنه عزوجل ينصره ويعزره عليهم إثر بيان أن له ولأتباعه أمنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب[٥].

قوله تعالى: "ألا إن لله" الخ[٦].

قال ابو السعود: وهو مع ما فيه من التأكيد لما سبق من اختصاص العزة لله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاة بالمشركين وبمقالاتهم، تمهيد لما لحق من قوله تعالى: وما يتبع الذين الخ وبرهان على بطلان ظنونهم وأعمالهم المبنية عليها[٧].

قوله تعالى: "هو الذي جعل لكم" الخ[٨].

قال أبو السعود: تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم

---

[١]- التفسير الكبير ١٢١/١٧.

[٢] – يونس: ٦٢.

٣- التفسير الكبير ١٢٥/١٧.

[٤] – يونس: ٦٥.

[٥] – أبو سعود ١٦١/٤.

[٦] – يونس: ٦٦.

[٧] – أبو سعود ١٦١/٤.

[٨] – يونس: ٦٧.

على توحيده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من اختصاص العزة به سبحانه[١].

قوله تعالى: "وقالوا اتخذ الله" الخ[٢].

اعلم أن هذا نوع آخر من الأباطيل التي حكاها الله تعالى عن الكفار[٣].

قوله تعالى: "قل إن الذين يفترون" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين بالدليل القاهر أن إثبات الولد لله تعالى قول باطل ثم بين أنه ليس لهذا القائل دليل على صحة قوله فقد ظهر أن ذلك المذهب افتراء على الله ونسبة لما لا يليق به إليه فبين أن من هذا حاله فإنه لا يفلح البتة[٥].

قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ نوح" الخ[٦].

قال أبو السعود: ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم فينزجروا بذلك عماهم عليه من الكفر أو تنكسر شدة شكيمتهم أو يعترف بعضهم بصحة نبوتك بأن عرفوا أن ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما أصلاً مع علمهم بأنك لم تسمع ذلك من أحد، ليس إلا بطريق الوحي.

وفيه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن أوليائه عزوعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وبأقوالهم وأفعالهم ما لا يخفى[٧].

---

١ – أبو سعود ١٦٢/٤.

٢– يونس: ٦٨.

٣– التفسير الكبير ١٣٢/١٧.

٤ – يونس: ٦٩.

٥ – التفسير الكبير ١٣٤/١٧.

٦ – يونس: ٧١.

٧– أبو سعود ١٦٤/٤.

قوله تعالى: "ولقد بوأنا بني إسرائيل" الخ[١].

قال أبو السعود: كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم إثر نعمة الإنجاء على وجه الإجمال وإخلالهم بشكرها وأداء حقوقها[٢].

قوله تعالى: "فإن كنت في شك" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما ذكر من قبل اختلافَهم عند ما جاءهم العلم أورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ما يقوى قلبه في صحة القرآن والنبوة[٤].

قوله تعالى: "إن الذين حقت عليهم" الخ[٥].

قال أبو السعود: شروع في بيان سر إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال[٦].

قوله تعالى: "فلو لا كانت قرية" الخ[٧].

قال أبو السعود: كلام مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي بياناً لكون قوم يونس عليه الصلاة والسلام ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم إلى التدارك في وقته[٨].

قوله تعالى: "ولو شاء ربك لآمن" الخ[٩].

---

[١] – يونس: ٩٣.

[٢] – أبو سعود ١٧٤/٤.

[٣] – يونس: ٩٤.

[٤] – التفسير الكبير ١٦٠/١٧.

[٥] – يونس: ٩٦.

[٦] – أبو سعود ١٧٥/٤.

[٧] – يونس: ٩٨.

[٨] – أبو سعود ١٧٦/٤.

[٩] – يونس: ٩٩.

قال أبو السعود: تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين وجوداً وعدماً على قطب مشيته تعالى مطلقاً إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته[١].

قوله تعالى: "قل انظروا ماذا في السموات" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآيات السالفة أن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله تعالى ومشيته أمر بالنظر والاستدلال في الدلائل حتى لا يتوهم أن الحق هو الجبر المحض[٣].

قوله تعالى: "فهل ينتظرون" الخ[٤].

قال المسكين: تقرير لما سبق من عدم إغناء الآيات والنذر عنهم ببيان أنهم لا يؤمنون حتى يقع عليهم العذاب فيؤمنون حيث لا ينفعهم الإيمان.

قوله تعالى: "قل يا أيها الناس إن كنتم في شك" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله بإظهار دينه وبإظهار المباينة عن المشركين لكي تزول الشكوك والشبهات في أمره وتخرج عبادة الله تعالى من طريقة السر إلى الإظهار[٦].

قوله تعالى: "وإن يمسسك الله بضر" الخ[٧].

قال أبو السعود: تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام وتصويرٌ لاختصاصه به سبحانه[٨].

---

[١] – أبو سعود ١٧٧/٤.

[٢] – يونس: ١٠١.

[٣] – التفسير الكبير ١٦٩/١٧.

[٤] – يونس: ١٠٢.

[٥] – يونس: ١٠٤.

[٦] – التفسير الكبير ١٧٢/١٧.

[٧] – يونس: ١٠٧.

[٨] – أبو سعود ١٨٠/٤.

قوله تعالى: "قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق" الخ[١].

قال المسكين: إتمام للحجة بعد تبليغ الدين.

قوله تعالى: "واتبع" الخ[٢].

قال المسكين: أمر له عليه الصلاة والسلام بالإتباع والصبر على التبليغ إثر الأمر بالتبليغ.

---

[٩] – يونس: ١٠٨.

[١] – يونس: ١٠٩.

سورة هود عليه الصلاة والسلام

فاتحة هذه وخاتمة ما قبلها تشتملان على بيان الرسالة[١].

قوله تعالى: "ألا تعبدوا" الخ[٢].

قال أبو السعود: كأنه قيل: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله أي لتتركوا عبادة غير الله عزوجل وتتمحضوا في عبادته فإن الأحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة[٣].

قوله تعالى: "ألا إنهم يثنون صدورهم" الخ[٤].

قال المسكين: بيان للتولي وإشارة إلى جزائه.

قوله تعالى: "وما من دابة في الأرض" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في الآية الأولى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فذكر أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى فلو لم يكن عالماً بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات[٦].

قوله تعالى: "وهو الذي خلق السموات" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما أثبت بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات أثبت بهذا

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – هود: ٢.

[٣] – أبو سعود ١٨٣/٤.

[٤] – هود: ٥.

[٥] – هود: ٦.

[٦] – التفسير الكبير ١٨٥/١٧.

[٧] – هود: ٧.

الدليل كونه تعالى قادراً على كل المقدورات[١].

(فهو تقرير لقوله تعالى فيما قبل: وهو على كل شيء قدير)[٢].

قوله تعالى: "ولئن قلت" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بين أنه خلق هذا العالم لأجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم فهذا يوجب القطع بحصول الحشر والنشر فعند هذا خاطب محمداً عليه الصلاة والسلام وقال: ولئن قلت الخ[٤].

قوله تعالى: "ولئن أخرنا عنهم العذاب" الخ[٥].

قال المسكين آخذا من أبي السعود: لما أوعدهم الله تعالى بالعذاب في قوله "وان تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير" تعجبوا من تأخيره فأجاب الله تعالى في هذه الآية[٦].

قوله تعالى: "ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة" الخ[٧].

قال أبو السعود: ووجه تعلق الآيات الثلث بما قبلهن من حيث أن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال الواقع في قوله: "ليبلوكم أيكم أحسن عملاً" والمعنى أن كلا من إذاقة النعماء ونزعها في كونه ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر؟ لا يهتدي فيه إلى سنن الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه إلى مهاوي الضلال فلا يظهر منه بأحسن عمل إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث أن إنكارهم بالبعث واستهزائهم العذاب بسبب بطرهم وفخرهم

---

[١] – التفسير الكبير ١٨٧/١٧.

[٢] – ما بين القوسين في هامش الكتاب زيادة من المؤلف.

[٣] – هود: ٧.

[٤] – التفسير الكبير ١٨٨/١٧.

[٥] – هود: ٨.

[٦] – أبو سعود ١٨٩/٤.

[٧] – هود: ٩.

كأنه قيل: إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على ذلك[١].

قوله تعالى: "فلعلك تارك" الخ[٢].

اعلم أن هذا نوع آخر من كلمات الكفار والله تعالى بين أن قلب الرسول ضاق بسببه ثم أنه تعالى قواه وأيده بالإكرام والتأييد[٣].

قوله تعالى: "أم يقولون افتراه" الخ[٤].

اعلم أن القوم لما طلبوا منه المعجز (بقولهم: "لو لا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك" الخ).

قال: معجزى هذا القرآن ولما حصل المعجز الواحد كان طلب الزيادة بغياً وجهلاً ثم قرر كونه معجزاً بأن تحداهم بالمعارضة[٥].

قوله تعالى: "من كان يريد الحياة الدنيا" الخ[٦].

قال أبو السعود: لما أمر نبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين بأن يزدادوا علماً ويقيناً بأن القرآن منزل بعلم الله وبأن لا قدرة لغيره على شيئ أصلاً وهيجهم على الثبات على الإسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين أنهم ليسوا على شيء أصلاً اقتضى الحال أن يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان أن ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك أي بيان ثم أعيد الترغيب فيما ذكر من الإيمان بالقرآن والتوحيد والإسلام فقيل: "أفمن كان على بينة من ربه الخ وتقديره أفمن كان على بينة من ربه كأولئك الذين ذكرت

---

[١] – أبو سعود ١٩٠/٤.

[٢] – هود: ١٢.

[٣] – التفسير الكبير ١٩٢/١٧.

[٤] – هود: ١٣.

[٥] – التفسير الكبير ١٩٤/١٧ وما بين القوسين من الهامش.

[٦] – هود: ١٥.

أعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني أن بينهما تفاوتاً عظيماً[١].

قوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى" إلى قوله "هم الأخسرون" الخ[٢].

قال أبو السعود: وهذه الآيات كما ترى مقررة لما سبق من إنكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين ما كان يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فإنهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين أحد من الظلمة الأخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم شرح في بيان حال أضدادهم أعني فريق المؤمنين وما يؤول إليه أمرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف عن محاسنهم المذكورة في قوله تعالى: "أفمن كان على بينة من ربه" الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلاً فقيل: إن الذين آمنوا الخ وبعد بيان حاليهما عقلاً أريد بيان تباينهما حسًّا فقيل: مثل الفريقين كالأعمى[٣].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه" إلى آخر القصص المذكورة في السورة[٤].

قال أبو السعود: ولما بين من فاتحة السورة الكريمة إلى هذا المقام أنها كتاب محكم الآيات، مفصلها، نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن الذي أنزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك ماله مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب وإلزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى، وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحراً وأخرى مفترى، وتثبيته عليه الصلاة والسلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأبدع أسلوب.

---

[١] – أبو سعود ١٩٤/٤.

[٢] – هود: ١٨-٢٢.

[٣] – أبو سعود ١٩٧/٤ و١٩٨.

[٤] – هود: ٢٥.

شرع في تحقيق ما ذكر وتقريره بذكر قصص الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين:

أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الأنبياء قاطبة والثاني أن ذلك إنما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام أصلاً وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من أممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم[١].

قوله تعالى: "إن في ذلك لآية لمن" الخ[٢].

قال المسكين: ذكر أعظم منافع بيان القصص ثم اتبعه بذكر يوم الآخرة وأحواله وما يلقى الناس فيه من سعداء وأشقياء.

قوله تعالى: "فلا تك في مرية" الخ[٣].

قال أبو السعود: ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثلاً فقيل: مثل الفريقين الخ وقد قص عقيب ذلك من أنباء الأمم السالفة مع رسلهم المبعوثة إليهم ما يتذكر به المتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك فقيل: ما يعبدون الخ أي هم وآباؤهم سواء في الشرك وقد بلغك ما لحق بآبائهم فيلحقهم مثل ذلك فإن تماثل الأسباب يقتضي تماثل المسببات[٤].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى إصرار كفار مكة وبين تعالى أن هؤلاء الكفار كانوا على هذه السيرة الفاسدة مع كل الأنبياء عليهم السلام ضرب لذلك

---

[١] – أبو سعود ١٩٩/٤.

[٢] – هود: ١٠٤.

[٣] – هود: ١٠٩.

[٤] – أبو سعود ٢٤٣/٤.

[٥] – هود: ١١٠.

مثلاً وهو أنه لما أنزل التوراة اختلفوا فيه وذلك يدل على أن عادة الخلق هكذا[١].

قوله تعالى: "فاستقم" الخ[٢].

قال أبو السعود: لما بين في تضاعيف القصص سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأن كل واحد من المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر به[٣].

قوله تعالى: "وأقم الصلاة" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما أمره بالاستقامة أردفه بالأمر بالصلاة وذلك يدل على أن أعظم العبادات بعد الإيمان بالله هو الصلاة[٥].

قوله تعالى: "فلو لا كان من القرون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الأمم المتقدمين حل بهم عذاب الاستيصال بين السبب فيه[٧].

قوله تعالى: "ولو شاء ربك" الخ[٨].

قال المسكين: كان المذكور في الآية الأولى السبب الظاهري وفي هذه الآية السبب الخفي.

قوله تعالى: "وكلا نقص عليك" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية

---

[١] – التفسير الكبير ٦٨/١٨ و٦٩.

[٢] – هود: ١١٢.

[٣] – أبو سعود ٢٤٤/٤.

[٤] – هود: ١١٤.

[٥] – التفسير الكبير ٧٢/١٨.

[٦] – هود: ١١٦.

[٧] – التفسير الكبير ٧٥/١٨.

[٨] – هود: ١١٨.

[٩] – هود: ١٢٠.

نوعين من الفائدة (أحدهما للرسول وثانيهما للمؤمنين) الخ[١].

قوله تعالى: "وقل للذين لا يؤمنون" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بلغ الغاية في الإعذار والإنذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بأن قال للرسول: "وقل" الخ[٣].

---

[١] – التفسير الكبير ٧٩/١٨ وما بين القوسين في الهامش.

[٢] – هود: ١٢١.

[٣] – التفسير الكبير ٨٠/١٨.

سورة يوسف عليه الصلاة والسلام

لما قال في آخر السورة التي تقدمت: وكلا نقص عليك من أنباء الرسول الخ بين في هذه السورة القصة التي هي أحسن القصص[١].

قوله تعالى: "ذلك من أنباء الغيب" الخ[٢].

اعلم أن المقصد من هذا إخبار عن الغيب فيكون معجزاً[٣].

قوله تعالى: "وما أكثر الناس ولو حرصت" الخ[٤].

اعلم أن وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التعنت، واعتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه إذا ذكرها فربما آمنوا فلما ذكرها أصروا على كفرهم فنزلت هذه الآية[٥].

قال المسكين: ثم ذكر غفلتهم عن الآيات الكونية كغفلتهم عن الآيات المنزلة وذكر الوعيد بالعذاب على الغفلة ثم أمر عليه السلام بإظهار حقيقة سبيل الحق الذي بعث به والدعوة إليه ثم دفع الاستبعاد في كونه عليه الصلاة والسلام رسولاً لكونه بشراً وذكر عاقبة المكذبين للرسل من حلول العذاب بهم ولو بعد حين ثم نبه على فائدة ذكر القصص في القرآن وقرر كون القرآن المشتمل على هذه القصص حقا وصدقا وهدى ورحمة.

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – يوسف: ١٠٢.

[٣] – التفسير الكبير ٢٢٢/١٨.

[٤] – يوسف: ١٠٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢٢٣/١٨.

سورة الرعد

والمناسبة بين أول هذه السورة وآخر السورة المتقدمة أن كليهما يشتركان في إثبات حقية القرآن[١].

قوله تعالى: "الله الذي رفع السموات" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد[٣].

قوله تعالى: "وهو الذي مد الأرض" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما قرر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية[٥].

قوله تعالى: "وفي الأرض قطع" الخ[٦].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة مشتملة على طائفة أخرى من الآيات[٧].

قوله تعالى: "وإن تعجب" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل القاهرة على ما يحتاج إليه في معرفة المبدء ذكر بعده مسألة المعاد[٩].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الرعد: ٢.

[٣] – التفسير الكبير ٢٣١/١٨.

[٤] – الرعد: ٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢/١٩.

[٦] – الرعد: ٤.

[٧] – أبو سعود ٥/٥.

[٨] – الرعد: ٥.

[٩] – التفسير الكبير ٨/١٩.

قوله تعالى: "ويستعجلونك بالسيئة" الخ[١].

اعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا، والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الآية الأولى وكلما هددهم بعذاب الدنيا قالوا له: فجئنا بهذا العذاب فلهذا السبب حكى الله عنهم أنهم يستعجلون[٢].

قوله تعالى: "ويقول الذين كفروا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في الحشر والنشر أولاً، ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستيصال ثانياً، ثم طعنوا في نبوته بأن طلبوا منه المعجزة (اي من مقترحاتهم الواهية) والبينة ثالثاً، وهو المذكور في هذه الآية[٤].

قوله تعالى: "الله يعلم ما تحمل" الخ[٥].

قال المسكين: هذا الركوع بكماله تقرير للتوحيد وإبطال للشرك مرتبط بقوله: "الله الذي رفع السموات" الخ وفي تضاعيفه جعل قوله: "إن الله لا يغير ما بقوم" الخ غاية للحفظ المذكور في قوله: يحفظونه من أمر الله وضرب أمثالاً للحق والباطل، وبين جزاء المحق والمبطل ثم ذكر أوصاف المحقين والمبطلين بقوله: "أفمن يعلم أنما أنزل إليك" الخ (إلى قوله) "أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار".

قوله تعالى: "الله يبسط الرزق" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما حكم على نقض عهد الله في قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون في الدنيا ومعذبون في الآخرة فكأنه قيل لو كانوا أعداء الله لما فتح الله عليهم

---

[١] – الرعد: ٦.

[٢] – التفسير الكبير ١٠/١٩.

[٣] – الرعد: ٧.

[٤] – التفسير الكبير ١٢/١٩ وما بين القوسين من الهامش.

[٥] – الرعد: ٨.

[٦] – الرعد: ٢٦.

أبواب النعم واللذات في الدينا فأجاب الله عنه بهذه الآية[١].

قوله تعالى: "ويقول الذين كفروا" الخ[٢].

قال المسكين: كان المذكور إلى ههنا أمر التوحيد وما يتعلق به والآن شرع في إثبات الرسالة والجواب عن شبهاتهم فيها وتقريعهم على إنكارها ففي هذه الآية أجاب عن شبهتهم المشهورة: لو لا أنزل عليه آية من ربه. حاصل الجواب أنا أعطيناك آية عظيمة هي الذكر أي القرآن الذي تطمئن به قلوب المؤمنين ويضل به المردة من الطاغين.

قوله تعالى: "كذلك أرسلناك في أمة" الخ[٣].

قال المسكين: فيه تصريح بالمقصود وأما قوله: وهم يكفرون بالرحمن فلعل المراد به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن لو كفروا بك فإنهم يكفرون بالرحمن فتوكل عليه ولا تهتم بهم.

قوله تعالى: "ولو أن قرآنا سيرت به الجبال" الخ[٤].

قال المسكين: فيه إثبات لأمر القرآن الدال على النبوة وإقناط من إيمانهم وبيان لجزائهم على الكفر.

قوله تعالى: "ولقد استهزئ برسل" الخ[٥].

قال المسكين: فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم ثم أشار إلى استحقاقهم العذاب في قوله تعالى: أفمن هو قائم على كل نفس الخ ببيان أن أمر التوحيد عقلي بديهي لا عذر لأحد في الإعراض عنه وإهمال أمره.

---

[١] – التفسير الكبير ٤٧/١٩.

[٢] – الرعد: ٢٧.

[٣] – الرعد: ٣٠.

[٤] – الرعد: ٣١.

[٥] – الرعد: ٣٢.

قوله تعالى: "مثل الجنة التي وعد" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر عذاب الكفار في الدنيا والآخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين[٢].

قوله تعالى: "والذين آتيناهم الكتاب" الخ[٣].

قال المسكين: هذا دليل آخر على حقية القرآن الذي جاء به الرسول بأن أهل الكتاب يصدقونه ثم أشار إلى ركاكة رأي المنكرين بقوله: قل إنما أمرت الخ أي ليس فيما أنزل إلى أمر التوحيد وهذا مما لا ينكر.

قوله تعالى: "وكذلك أنزلناه" الخ[٤].

قال المسكين: فيه تصريح أيضاً بالمقصود من إنزال القرآن على الرسول.

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك" الخ[٥].

اعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعاً من الشبهات في إبطال نبوته فالشبهة الأولى قولهم: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وهذه الشبهة إنما ذكرها الله تعالى في سورة أخرى والشبهة الثانية قولهم: الرسول لا بد وأن يكون من جنس الملائكة فأجاب الله تعالى عنه ههنا بقوله: ولقد أرسلنا الخ.

الشبهة الثالثة عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات فأجاب الله تعالى عنه بقوله: "ولقد أرسلنا الخ.

والشبهة الرابعة قالوا لو كان رسولاً من عند الله لكان أي شيء طلبنا منه من المعجزات أتى به ولم يتوقف فأجاب الله تعالى عنه بقوله: وما كان لرسول الخ.

الشبهة الخامسة أنه عليه السلام كان يخوفهم بنزول العذاب ثم إن ذلك الموعود كان يتأخر فأجاب الله تعالى عنه بقوله: ولكل أجل كتاب.

---

[١] – الرعد: ٣٥.

[٢] – التفسير الكبير ٥٨/١٩.

[٣] – الرعد: ٣٦.

[٤] – الرعد: ٣٧.

[٥] – الرعد: ٣٨.

الشبهة السادسة قالوا: لو كان في دعوى الرسالة محقا لما نسخ الأحكام التي نص الله تعالى على ثبوتها في الشرائع المتقدمة فأجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله: يمحو الله ما يشاء[١].

قوله تعالى: "وإما نرينك بعض الذي نعدهم" الخ[٢].

قال المسكين: كأنه تفصيل وتوضيح لقوله: "وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب" الخ.

قوله تعالى: "أو لم يروا أنا نأتي" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما وعد رسوله بأن يريه بعض ما وعده أو يتوفاه قبل ذلك بين في هذه الآية أن آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت[٤].

قوله تعالى: "ويقول الذين كفروا" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى حكى عن القوم أنهم أنكروا كونه رسولاً من عند الله ثم أنه تعالى احتج عليهم بأمرين الأول شهادة الله والمراد أنه تعالى أظهر المعجزات والثاني قوله: "ومن عنده علم الكتاب" الخ[٦].

---

[١] – التفسير الكبير ٦٢/١٩ و٦٣.

[٢] – الرعد: ٤٠.

[٣] – الرعد: ٤١.

[٤] – التفسير الكبير ٦٧/١٩.

[٥] – الرعد: ٤٣.

[٦] – التفسير الكبير ٦٩/١٩.

سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

بين أمر الرسالة في آخر المتقدمة وأول هذه فهذا هو وجه الربط بينهما[١].

قوله تعالى: "ما أرسلنا من رسول" الخ[٢].

قال المسكين: كأنه تسليم لقوله لتخريج الناس من الظلمات أي كافتهم فكان الحاصل أنا بعثنا جميع الرسل إلى أقوامهم خاصة وأرسلناك إلى الناس عامة.

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا موسى" الخ[٣].

قال أبو السعود: شروع في تفصيل ما أجمل في قوله عزوجل: "ولقد أرسلنا" (وقد مر مراراً ما في ذكر القصص من الحكم)[٤].

قوله تعالى: "وإذ تأذن" الخ[٥].

قال أبو السعود: من جملة مقال موسى عليه الصلاة والسلام لقومه[٦].

قوله تعالى: "ألم يأتكم نبأ الذين" الخ[٧].

قال المسكين: هذا ترهيب منه عليه الصلاة والسلام غب ترغيب ويحتمل أن يكون ابتداء مخاطبة من الله تعالى لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ذكر تعالى المناظرة التي وقعت بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقوامهم إلى خاتمة الركوع ثم ذكر تعالى جزاء المكذبين في قوله تعالى: فأوحى إليهم ربهم إلى آخر الركوع وأشار في تضاعيفه بقوله تعالى: ألم تر أن الله خلق السموات والأرض الخ إلى أن

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – إبراهيم: ٤.

[٣] – إبراهيم: ٥.

[٤] – أبو سعود ٣٣/٥ وما بين القوسين من هامش الكتاب.

[٥] – إبراهيم: ٧.

[٦] – أبو سعود ٣٤/٥.

[٧] – إبراهيم: ٩.

من هذا شأنه حقيق بأن يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه.

قوله تعالى: "وقال الشيطان لما قضي الأمر" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وقعت بين الرؤساء والاتباع من كفرة الإنس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين اتباعه من الإنس[٢].

قوله تعالى: "وادخل الذين آمنوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في شرح أحوال الأشقياء من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء[٤].

قوله تعالى: ألم تر كيف ضرب الله" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ذكر مثالاً يبين الحال في حكم هذين القسمين[٦].

قوله تعالى: "يثبت الله" الخ[٧].

قال المسكين: بيان كيفية التشبيه وآثاره.

قوله تعالى: "الم تر إلى الذين بدلوا" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى عاد إلى وصف أحوال الكفار في هذه الآية.

(أقول: كان فيما قبل بيان الكفار السابقين وههنا ذكر حال الموجودين منهم)[٩].

قوله تعالى: "قل لعبادي الذين آمنوا" الخ[١٠].

---

[١] – إبراهيم: ٢٢.

[٢] – التفسير الكبير ١٠٩/١٩.

[٣] – إبراهيم: ٢٣.

[٤] – التفسير الكبير ١١٥/١٩.

[٥] – إبراهيم: ٢٤.

[٦] – التفسير الكبير ١١٦/١٩.

[٧] – إبراهيم: ٢٦.

[٨] – إبراهيم: ٢٨.

[٩] – التفسير الكبير ١٢٣/١٩ وما بين القوسين من الهامش.

[١٠] – إبراهيم: ٣١.

اعلم أنه تعالى لما أمر الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا امر المؤمنين في هذه الآية بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال[١].

قوله تعالى: "الله الذي خلق السموات" ألخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أطال الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وكانت العمدة في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وبصفاته وفي حصول الشقاوة فقدان هذه المعرفة لا جرم ختم الله تعالى وصف أحوال السعداء والأشقياء بالدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته[٣].

قوله تعالى: "وإذ قال إبراهيم" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين بالدلائل المتقدمة أنه لا معبود إلا الله سبحانه وتعالى وأنه لا يجوز عبادة غيره تعالى البتة حكى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام مبالغة في إنكار عبادة الأوثان[٥].

قوله تعالى: "ولا تحسبن الله غافلاً" الخ[٦].

قال المسكين: هذا عود إلى ذكر جزاء المكذبين بالتوحيد والنبوة ويمتد إلى خاتمة السورة فخلاصة السورة كلها تقرير أمر النبوة ووعيد المنكرين لها والله أعلم.

ثم فخم شأن الكتاب الكافل لما ذكر بقوله: هذا بلاغ للناس، وبين فوائده العلمية والعملية.

---

[١] – التفسير الكبير ١٢٤/١٩.

[٢] – إبراهيم: ٣٢.

[٣] – التفسير الكبير ١٢٦/١٩.

[٤] – إبراهيم: ٣٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٣١/١٩.

[٦] – إبراهيم: ٤٢.

سورة الحجر

لما ختم السورة التي مرت ببيان جزاء المكذبين بين في أول هذه السورة تمنيهم الإسلام إذ رأوا الجزاء[١].

قوله تعالى: "ربما يود الذين" الخ[٢].

قال أبو السعود: لما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين إلى حسن تلقى ما فيها من الأحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما يتضمنه فقيل: ربما وقال: هذه بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى: ذرهم يأكلوا[٣].

قوله تعالى: "وما أهلكنا من قرية" الخ[٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان سر تأخير عذابهم[٥].

قوله تعالى: "وقالوا يا أيها الذي نزل" الخ[٦].

قال أبو السعود: شروع في بيان كفرهم بمن أنزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول إليه حالهم[٧].

قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر" الخ[٨].

قال أبو السعود: رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الحجر: ٣.

[٣] – أبو سعود ٥/٦٣، و٦٤.

[٤] – الحجر: ٤.

[٥] – أبو سعود ٥/٦٥.

[٦] – الحجر: ٦.

[٧] – أبو سعود ٥/٦٦.

[٨] – الحجر: ٩.

وسلم وتسلية له[١].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا من قبلك" الخ[٢].

اعلم أن القوم لما أساؤوا في الأدب وخاطبوه بالسفاهة وقالوا: إنك لمجنون فالله تعالى ذكر أن عادة هؤلاء الجهال مع جميع الأنبياء هكذا كانت ولك أسوة في الصبر[٣].

قوله تعالى: "ولو فتحنا عليهم باباً" الخ[٤].

اعلم أن القوم لما طالبوا نزول الملائكة بين الله تعالى في هذه الآية أن بتقدير أن يحصل هذا المعنى لقال الذين كفروا: هذا من باب السحر[٥].

قوله تعالى: "ولقد جعلنا في السماء بروجاً" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهة منكرى النبوة وكان قد ثبت أن القول بالنبوة متفرع على القول بالتوحيد اتبعه بدلائل التوحيد فقال: ولقد جعلنا في السماء الخ والأرض مددناها الخ وجعلنا لكم فيها معايش الخ، وإن من شيء إلا عندنا الخ وأرسلنا الرياح لواقح الخ وإنا لنحن نحيي الخ ولقد علمنا المستقدمين الخ وإن ربك هو يحشرهم الخ ولقد خلقنا الإنسان الخ[٧].

قوله تعالى: "وإذ قال ربك للملائكة" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر حدوث الإنسان الأول واستدل بذكره على وجود الإله

---

[١] – أبو سعود ٥/٦٨.

[٢] – الحجر: ١٠.

[٣] – التفسير الكبير ١٩/١٦١.

[٤] – الحجر: ١٤.

[٥] – التفسير الكبير ١٩/١٦٦.

[٦] – الحجر: ١٦.

[٧] – التفسير الكبير ١٩/١٦٨.

[٨] – الحجر: ٢٨.

القادر المختار ذكر بعده واقعته[١].

قوله تعالى: "إن المتقين في جنات" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما شرح أحوال أهل العقاب اتبعه بصفة أهل الثواب[٣].

قوله تعالى: "ونبئهم عن ضيف إبراهيم" الخ[٤].

قال أبو السعود: المقصود اعتبارهم بما جرى على إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع اهله من البشرى في تضاعيف الخوف، وبما حل بقوم لوط من العذاب ونجاته عليه الصلاة والسلام مع أهله التابعين له في ضمن الخوف، وتنبيههم بحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بأن عذاب الله هو العذاب الأليم[٥].

وفي الكبير: اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير النبوة ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر عقيبه أحوال القيامة وصفة الأشقياء والسعداء اتبعه بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام ليكون سماعها مرغباً في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الأنبياء ومحذراً عن المعصية لاستحقاق دركات الأشقياء فبدأ أولاً بقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام[٦].

قوله تعالى: "وما خلقنا السموات والأرض" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أهلك الكفار فكأنه قيل الإهلاك والتعذيب كيف يليق بالرحيم الكريم؟ فأجاب عنه أنما خلقت الخلق ليكونوا مشتغلين بالعبادة والطاعة فإذا تركوها وأعرضوا عنها وجب في الحكمة إهلاكهم وتطهير وجه الأرض منهم.

(ليس المراد بالوجوب الوجوب العقلي كما عند المعتزلة بل بمحض إرادته

---

[١] – التفسير الكبير ١٨١/١٩.

[٢] – الحجر: ٤٥.

[٣] – التفسير الكبير ١٩١/١٩.

[٤] – الحجر: ٥١.

[٥] – أبو سعود ٨٠/٥.

[٦] – التفسير الكبير ١٩٥/١٩.

[٧]– الحجر: ٨٥.

ومشيته كما عند أهل الحق)[١].

قوله تعالى: "ولقد آتيناك سبعاً" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما صبره على أذى قومه وأمره بأن يصفح الصفح الجميل اتبع بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بها لأن الإنسان إذا تذكر كثرة نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز[٣].

قوله تعالى: "لا تمدن عينيك" الخ[٤].

لما عرف رسوله صلى الله عليه وسلم عظم نعمه عليه فيما يتعلق بالدين نهاه عن الرغبة في الدنيا[٥].

قوله تعالى: "وقل إني أنا" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله بالزهد في الدنيا وخفض الجناح للمؤمنين أمره بأن يقول للقوم: "إني أنا النذير المبين" فيدخل تحت كونه نذيراً كونه مبلغاً لجميع التكاليف[٧].

قوله تعالى: "ولقد نعلم أنك يضيق" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهون عليه قال له: "ولقد نعلم" لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له: "فسبح" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٩/٢٠٥ و٢٠٦ وما بين القوسين في الهامش.

[٢] – الحجر: ٨٧.

[٣] – التفسير الكبير ١٩/٢٠٧.

[٤] – الحجر: ٨٨.

[٥] – التفسير الكبير ١٩/٢١٠.

[٦] – الحجر: ٨٩.

[٧] – التفسير الكبير ١٩/٢١١.

[٨] – الحجر: ٩٧.

[٩] – التفسير الكبير ١٩/٢١٥.

سورة النحل

ختم السورة السابقة بإثبات الرسالة وافتتح هذه ببيان التوحيد. وأيضاً لما قال في تلك: "ولقد نعلم أنك يضيق صدرك" أخبر في هذه بأنه "أتى أمر الله" الخ لئلا يضيق صدره[١].

قوله تعالى: أتى أمر الله فلا تستعجلوه" الخ[٢].

قال المسكين: لعل المقصود الأصلي منه إثبات التوحيد وافتتحه بالوعيد على الإعراض عنه واتبعه ببيان أنه دين أجمع عليه جمهور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمروا بدعوة الناس إليه.

قوله تعالى: "خلق السموات" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بين فيما سبق أن معرفة الحق مطلع السعادات اتبعه بذكر الدلائل على وجود الصانع الإله تعالى وكمال قدرته وحكمته[٤].

قوله تعالى: "أفمن يخلق كمن لا يخلق" الخ[٥].

قال المسكين: هو كالنتيجة لما سبق من الدلائل التي هي نعم أيضاً.

قوله تعالى: "وإذا قيل لهم ما ذا أنزل" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وأورد الدلائل القاهرة في إبطال مذاهب عبدة الأصنام ذكر بعد ذلك شبهات منكري النبوة مع الجواب عنها

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – النحل: ١.

٣– النحل: ٣.

[٤] – التفسير الكبير ٢٢٢/١٩.

[٥] – النحل: ١٧.

[٦] – النحل: ٢٤.

فالشبهة الأولى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما احتج على صحة نبوة نفسه بكون القرآن معجزة طعنوا في القرآن وقالوا إنه أساطير الأولين وليس هو من جنس المعجزات ولما ثبت كون القرآن معجزاً مراراً كثيرة لا جرم اقتصر في هذه الآية على مجرد الوعيد[١].

قوله تعالى: "قد مكر الذين من قبلهم" الخ[٢].

اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في وصف وعيد أولئك الكفار[٣].

قوله تعالى: "وقيل للذين اتقوا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين أحوال الأقوام الذين إذا قيل لهم: "ما ذا أنزل ربكم" قالوا: "أساطير الأولين" اتبعه بذكر وصف المؤمنين[٥].

قوله تعالى: "هل ينظرون إلا أن" ألخ[٦].

اعلم أن هذا هو الشبهة الثانية لمنكري النبوة فإنهم طلبوا أن ينزل الله تعالى ملكاً من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة[٧].

قوله تعالى: "وقال الذين أشركوا" الخ[٨].

اعلم أن هذا هو الشبهة الثالثة لمنكري النبوة وتقريرها أنهم تمسكوا بصحة القول بالجبر على الطعن في النبوة فالكل من الله ولا فائدة في مجيئك وإرسالك فكان القول بالنبوة باطلاً[٩].

---

[١]- التفسير الكبير ٢٠/ ١٨ و١٩.

[٢] – النحل: ٢٦.

[٣] – التفسير الكبير ١٩/٢٠.

[٤] – النحل: ٣٠.

[٥] – التفسير الكبير ٢٣/٢٠.

[٦] – النحل: ٣٣.

[٧] – التفسير الكبير ٢٦/٢٠.

[٨] – النحل: ٣٥.

[٩] – التفسير الكبير ٢٧/٢٠.

قوله تعالى: "وأقسموا بالله جهد أيمانهم" الخ[١].

اعلم أن هذا هو الشبهة الرابعة لمنكري النبوة فقالوا: القول بالبعث والحشر والنشر باطل فكان القول بالنبوة باطلاً[٢].

قوله تعالى: "والذين هاجروا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تمادوا في الغي والجهل والضلال وفي مثل هذه الحالة لا يبعد إقدامهم على إيذاء المسلمين وحينئذ يلزم على المؤمنين أن يهاجروا فذكر الله تعالى حكم تلك الهجرة[٤].

قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك" الخ[٥].

اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري النبوة كانوا يقولون: الله أعلى وأجل من أن يكون رسوله واحداً من البشر[٦].

قوله تعالى: "أفأمن الذين مكروا" الخ[٧].

قال المسكين آخذاً من الكبير: لعله راجع إلى بيان حال الذين اضطر المسلمون إلى الهجرة من إيذائهم فهددهم الله تعالى[٨].

قوله تعالى: "أولم يروا إلى ما خلق الله" الخ[٩].

قال المسكين: رجوع إلى إثبات التوحيد وإقامة الدلائل عليه وإبطال أقوال المشركين من اتخاذ الولد له تعالى ونحوه وتهديدهم بقوله: "ولو يؤاخذ الله الناس"

---

[١] – النحل: ٣٨.

[٢] – التفسير الكبير ٣٠/٢٠.

[٣] – النحل: ٤١.

[٤] – التفسير الكبير ٣٤/٢٠.

[٥] – النحل: ٤٣.

[٦] – التفسير الكبير ٣٥/٢٠.

[٧] – النحل: ٤٥.

[٨] – التفسير الكبير ٣٨/٢٠.

[٩] – النحل: ٤٨.

وفساد مذهب عبدة الأصنام بالأمثال من قوله: "ضرب الله مثلاً" الخ "وضرب الله مثلاً رجلين" الخ واختصاص علم الغيب به تعالى في قوله: "ولله غيب السموات والأرض" وكمال قدرته على كل شيء من الأمور التي يؤيد مطلب التوحيد وامتدت هذه الدلائل إلى قوله تعالى: "والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً" إلى آخر الآية ثم نبه على كون تلك الأمور نعماً تاماً بقوله: "كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون" ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إن تولوا وأنكروا بعد المعرفة بقوله: فإن تولوا: وقوله يعرفون نعمة الله الخ.

قوله تعالى: "ويوم نبعث من كل أمة شهيداً" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما بين من حال القوم أنهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة[٢].

قال المسكين: وامتد ذلك إلى قوله: ويوم نبعث المكرر ولما كان المبين لهذه المهمات هو القرآن ختمه بالثناء على القرآن بقوله: ونزلنا عليك الخ.

قوله تعالى: "إن الله يأمر بالعدل" الخ[٣].

قال المسكين آخذاً من أبي السعود: كأنه دليل لكون القرآن تبياناً لكل شيء يعني أمر الله تعالى في هذا القرآن بكل محمود، ونهي فيه عن كل مذموم فصدق كونه تبياناً وهدى الخ ويحتمل أن يكون إجمالاً لما سبق من تفصيل الأحكام[٤].

قوله تعالى: "وأوفوا بعهد الله" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما جمع كل المأمورات والمنهيات في الآية الأولى على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض تلك الأقسام[٦].

---

[١] – النحل: ٨٤.

[٢] – التفسير الكبير ٩٥/٢٠.

[٣] – النحل: ٩٠.

[٤] – أبو سعود ١٣٦/٥.

[٥] – النحل: ٩١.

[٦] – التفسير الكبير ١٠٦/٢٠.

قوله تعالى: "ولو شاء الله" الخ[١].

قال المسكين: هذا بيان حكمة تخصيص التبيين بيوم القيامة.

قوله تعالى: "ما عندكم ينفد" الخ[٢].

قال أبو السعود: تعليل للخيرية بطريق الاستيناف[٣].

قوله تعالى: "من عمل صالحاً من ذكر" الخ[٤].

قال أبو السعود: شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعاً لتوهم اختصاص الأجر الموفور بهم وبعملهم المذكور[٥].

قوله تعالى: "وإذا قرأت القرآن" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قال قبل هذه الآية: "ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" أرشد إلى العمل الذي به تخلص أعماله عن الوساوس فقال: "فإذا قرأت القرآن" الخ[٧].

قال أبو السعود: وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة عند إرادتها للتنبيه على أنها لغيره عليه السلام وفي سائر الأعمال أهم فإنه عليه الصلاة والسلام حيث أمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه الصلاة والسلام فيما عدا القراءة من الأعمال[٨].

---

[١] – النحل: ٩٣.

[٢] – النحل: ٩٦.

[٣] – ابو سعود ١٣٨/٥.

[٤] – النحل: ٩٧.

[٥] – أبو سعود ١٣٩/٥.

[٦] – النحل: ٩٨.

[٧] – التفسير الكبير ١١٤/٢٠.

٨– أبو سعود ١٣٩/٥ و١٤٠.

قوله تعالى: "وإذا بدلنا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى شرع من هذا الموضع في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بعد إثبات التوحيد من فاتحة السورة)[٢].

قوله تعالى: "من كفر بالله من بعد إيمانه" الخ[٣].

قال أبو السعود: هو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله بعد ما آمن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها رأساً[٤].

قوله تعالى: "ثم إن ربك للذين هاجروا" الخ[٥].

لما ذكر في الآية المتقدمة حال من كفر بالله وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما فتن[٦].

قال المسكين: ثم ذكر اليوم الذي يجازي فيه الكافر والمؤمن فقال: يوم تأتي كل نفس.

قوله تعالى: "وضرب الله مثلاً قرية" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة هددهم أيضاً بآفات الدنيا وهو الوقوع في الجوع والخوف[٨].

قوله تعالى: "ولقد جاءهم رسول منهم" الخ[٩].

قال أبو السعود: من تتمة المثل جيئ بها لبيان أن ما فعلوه من كفران النعم لم

---

[١] – النحل: ١٠١.

[٢] – التفسير الكبير ١١٥/٢٠ وما بين القوسين من الهامش زيادة من المؤلف.

[٣] – النحل: ١٠٦.

[٤] – أبو سعود ١٤٢/٥ و١٤٣.

[٥] – النحل: ١١٠.

[٦] – التفسير الكبير ١٢٥/٢٠.

[٧] – النحل: ١١٢.

[٨] – التفسير الكبير ١٢٧/٢٠.

[٩] – النحل: ١١٣.

يكن مزاحمة منهم لقضية فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق[١].

قوله تعالى: "فكلوا مما رزقكم الله" الخ[٢].

يعني أن ذلك الجوع إنما كان بسبب كفركم فاتركوا الكفر حتى تأكلوا[٣].

قوله تعالى: "إنما حرم عليكم الميتة" الخ[٤].

يعني أنكم لما آمنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال الطيب واتركوا الخبائث[٥].

قوله تعالى: "ولا تقولوا لما تصف" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما حصر المحرمات بالغ في تأكيد ذلك الحصر[٧].

قوله تعالى: "وعلى الذين هادوا" الخ[٨].

قال أبو السعود: هو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون: لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا[٩].

قال المسكين: يمكن أن يكون هذا تأييداً لما سلف من وقوع الجوع والخوف على القرية بسبب كفرهم وحينئذ محط الفائدة قوله: وما ظلمناهم.

قوله تعالى: "ثم إن ربك للذين عملوا" الخ[١٠].

اعلم أن المقصود بيان أن الافتراء على الله ومخالفة أمر الله لا يمنعهم من

---

[١] – أبو سعود ١٤٥/٥.

[٢] – النحل: ١١٤.

[٣] – التفسير الكبير ١٣٠/٢٠.

[٤] – النحل: ١١٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٣٠/٢٠.

[٦] – النحل: ١١٦.

[٧] – التفسير الكبير ١٣١/٢٠.

[٨] – النحل: ١١٨.

[٩] – أبو سعود ١٤٨/٥.

[١٠] – النحل: ١١٩.

التوبة وحصول المغفرة والرحمة[١].

قوله تعالى: "إن إبراهيم كان أمة" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين في قولهم بإثبات الشركاء وطعنهم في نبوة الأنبياء وقولهم بتحليل وتحريم أشياء وكان إبراهيم عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة الأصوليين والمشركون كانوا مفتخرين به لا جرم ذكره الله تعالى في آخر هذه السورة ليصير ذلك حاملاً على الإقرار بالتوحيد والرجوع عن الشرك[٣].

قوله تعالى: "إنما جعل السبت" الخ[٤].

قال أبو السعود: تحقيق لذلك النفي الكلي (المذكور في قوله تعالى: "وما كان من المشركين") وتوضيح له بإبطال ما عسى يتوهم كونه قادحاً في كليته فإن اليهود كانوا يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم عليه السلام كان محافظاً عليه – أن ليس السبت من شرائع إبراهيم وشعائر ملته التي أمرت باتباعها حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك لبني إسرائيل بعد مدة طويلة[٥].

قوله تعالى: "ادع إلى سبيل ربك" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أمر محمداً صلى الله عليه وسلم باتباع إبراهيم عليه السلام بين الشيء الذي أمره بمتابعته فيه فقال "ادع" (فسقط ما يتوهم من لزوم كون الشريعة المحمدية غير مستقلة)[٧].

---

[١] – التفسير الكبير ١٣٣/٢٠.

[٢] – النحل: ١٢٠.

[٣] – التفسير الكبير ١٣٤/٢٠.

[٤] – النحل: ١٢٤.

[٥] – أبو سعود ١٥٠/٥ وما بين القوسين من الهامش.

[٦] – النحل: ١٢٥.

[٧] – التفسير الكبير ١٣٨/٢٠ وما بين القوسين في الهامش.

قوله تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا" الخ[١].

قال أبو السعود: بعد ما أمره عليه الصلاة والسلام فيما يختص به من شأن الدعوة بما أمره به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم الكل فإن الدعوة المأمور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا هي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليهم آباؤهم. وقد ضاقت عليهم الحيل وعييت لهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم أبواب المباحثة والمحاورة[٢].

---

[١] – النحل: ١٢٦.

[٢] – أبو سعود ١٥٢/٥.

سورة بني إسرائيل

لما سلى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في آخر السورة المتقدمة زاده تسلية في هذه ببيان إكرامه بالإسراء كيلا يلتفت إلى أعدائه[١].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى الكتاب" الخ[٢].

ذكر الله تعالى في الآية الأولى إكرامه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن أسرى به وذكر في هذه الآية أنه أكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بالكتاب الذي آتاه[٣].

قوله تعالى: "ذرية من حملنا" الخ[٤].

قال أبو السعود: والمراد تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه تعالى عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام[٥].

قوله تعالى: "إنه كان عبداً شكوراً" الخ[٦].

قال أبو السعود: فيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه الصلاة والسلام وحث الذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران[٧].

قوله تعالى: "وقضينا إلى بني إسرائيل" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما ذكر إنعامه على بني إسرائيل بإنزال التوراة عليهم وبأنه

١- في الأصل بهامش الكتاب.

٢ – الإسراء: ٢.

٣- التفسير الكبير ١٥٣/٢٠.

٤- الإسراء: ٣.

٥ – أبو سعود ١٥٦/٥.

٦ – الإسراء: ٣.

٧ – أبو سعود ١٥٦/٥.

٨- الإسراء: ٤.

جعل التوراة هدى لهم بين أنهم ما اهتدوا بهداه بل وقعوا في الفساد[١].

قوله تعالى: "إن أحسنتم أحسنتم" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى حكى عنهم أنهم لما عصوا سلط عليهم أقواماً ولما تابوا أزال عنهم تلك المحنة فعند ذلك ظهر أنهم إن أطاعوا فقد أحسنوا إلى أنفسهم وإن أصروا على المعصية فقد أساؤوا إلى أنفسهم[٣].

قوله تعالى: "إن هذا القرآن يهدي" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما شرح ما فعله في حق عباده المخلصين وهو الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإيتاء الكتاب لموسى عليه الصلاة والسلام وما فعله في حق العصاة والمتمردين وهو تسليط أنواع البلاء عليهم كان ذلك تنبيهاً على أن إطاعة الله توجب كل خير وكرامة ومعصيته توجب كل بلية وغرامة لا جرم أثنى على القرآن (الذي فيه تفصيل الطاعات والمعاصي)[٥].

قوله تعالى: "ويدع الإنسان بالشر" الخ[٦].

قال أبو السعود: بيان لحال المهدي إثر بيان الهادي إظهاراً لما بينهما من التباين والمراد بالإنسان الجنس، أسند إليه حال بعض أفراده أو حكى عنه حاله في بعض أحيانه فالمعنى على الأول أن القرآن يدعو الإنسان إلى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر الكبير ويحذره من الشر وما وراءه من العذاب الأليم وهو أي بعض منه – وهو الكافر – يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور إما بلسانه حقيقه كدأب من قال منهم: "اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم" وإما بأعمالهم السيئة المفضية إليه الموجبة له مجازاً كما

---

[١] – التفسير الكبير ١٥٥/٢٠.

[٢] – الإسراء: ٧.

[٣] – التفسير الكبير ١٥٨/٢٠.

[٤] – الإسراء: ٩.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٠/٢٠ وما بين القوسين زيادة من المؤلف في الهامش.

[٦] – الإسراء: ١١.

هو ديدن كلهم وعلى الثاني أن القرآن يدعو الإنسان إلى ما هو خير وهو في بعض أحيانه – كما عند الغضب – يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر[١].

قوله تعالى: "وجعلنا الليل والنهار" الخ[٢].

لما بين في الآية المتقدمة "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" وذلك الأقوم ليس إلا ذكر الدلائل الدالة على التوحيد والنبوة لا جرم أردفه بذكر دلائل التوحيد وهو عجائب العالم العلوي والسفلي[٣].

قوله تعالى: "وكل إنسان ألزمناه" الخ[٤].

قال المسكين: لما بين تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" وبين حال المكلفين نبه في هذه الآية أن أمر الأعمال ليس مهملاً بل يسئلون عنه يوم القيامة.

قوله تعالى: "من اهتدى فإنما" الخ[٥].

قال أبو السعود: فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن هادياً لأقوم الطرائق ولزوم الأعمال لأصحابها[٦].

قوله تعالى: "ولا تزر وازرة" الخ[٧].

قال أبو السعود: تاكيد للجملة الثانية الخ[٨].

قوله تعالى: "وما كنا معذبين" الخ[٩].

قال أبو السعود: بيان للعناية الربانية إثر بيان اختصاص آثار الهداية

---

[١] – أبو سعود ١٥٨/٥.

[٢] – الإسراء: ١٢.

[٣] – التفسير الكبير ١٦٤/٢٠.

[٤] – الإسراء: ١٣.

[٥] – الإسراء: ١٥.

[٦] – أبو سعود: ١٦١/٥.

[٧] – الإسراء: ١٥.

[٨] – أبو سعود ١٦٢/٥.

[٩] – الإسراء: ١٥.

والضلال بأصحابها وعدم حرمان المهتدي من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها[١].

قوله تعالى: "وإذا أردنا" الخ[٢].

قال أبو السعود: بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعثة التي جعلت غاية لعدم صحته[٣].

قوله تعالى: "من كان يريد العاجلة" الخ[٤].

قال المسكين: لما ذكر فيما سبق جزاء الأعمال ذكر في هذه الآية شرط قبولها وهو إرادة الآخرة بالعمل وبين عدم الاغترار بالدنيا وزخارفها بأنها من العطاء العام الذي لا يدل على القبول.

قوله تعالى: "لا تجعل مع الله إلها آخر" الخ[٥].

لما بين أن الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا وهم أهل العقاب والعذاب، ومنهم من يريد به طاعة الله وهم أهل الثواب. ثم شرط ذلك بشرائط ثلاثة أولها إرادة الآخرة، وثانيها أن يعمل عملاً ويسعى سعياً موافقا لطلب الآخرة، وثالثها أن يكون مؤمنا، لاجرم فصل في هذه الآية تلك المجملات فبدأ أولاً بشرح الإيمان وأشرف أجزاء الإيمان هو التوحيد ونفي الشركاء والأضداد فقال: "لا تجعل مع الله إلهاً آخر" ثم ذكر عقيبه سائر الأعمال التي يكون المقدم عليها والمشتغل بها ساعياً سعياً يليق بطلب الآخرة وصار من الذين سعد طائرهم وحسن بختهم وكملت أحوالهم[٦].

قوله تعالى: "ذلك مما أوحي إليك" الخ[٧].

---

[١] – أبو سعود ١٦٢/٥.

[٢] – الإسراء: ١٦.

[٣] – أبو سعود ١٦٢/٥.

[٤] – الإسراء: ١٨.

٥– الإسراء: ٢٢.

[٦] – التفسير الكبير ١٨٢/٢٠.

[٧] – الإسراء: ٣٩.

اعلم أنه تعالى جمع في هذه الآية خمسة وعشرين نوعاً من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواهٍ، جمعها الله تعالى في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله: "ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً" وخاتمتها قوله: "ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً"[١].

قوله تعالى: "ولقد صرفنا" الخ[٢].

قال المسكين آخذاً عن أبي السعود: هذا تأكيد لإثبات الألوهية أي كررنا هذا المعنى في هذا القرآن بحيث لا يبقى التباس فيه[٣].

قوله تعالى: "قل لو كان" الخ[٤].

قال المسكين: "عود إلى إبطال الشرك.

قوله تعالى: "وإذا قرأت القرآن" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في الآية المتقدمة في المسائل الإلهية تكلم في هذه الآية فيما يتعلق بتقرير النبوة[٦].

قوله تعالى: "قالوا أ إذا كنا" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما تكلم أولاً في الإلهيات ثم اتبعه بذكر شبهاتهم في النبوات ذكر في هذه الآية شبهات القوم في إنكار المعاد والبعث وقد ذكرنا كثيراً أن مدار القرآن على المسائل الأربعة وهي الإلهيات والنبوات والمعاد والقضاء والقدر[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ٢١٣/٢٠.

[٢] – الإسراء: ٤١.

[٣] – أبو سعود ١٧٤/٥.

[٤] – الإسراء: ٤٢.

[٥] – الإسراء: ٤٥.

[٦] – التفسير الكبير ٢٢٠/٢٠.

[٧] – الإسراء: ٤٩.

[٨] – التفسير الكبير ٢٢٤/٢٠.

قوله تعالى: "وقل لعبادي" الخ[١].

لما ذكر الحجة اليقينية في إبطال الشرك وفي صحة المعاد قال في هذه إذا أردتم إيراد الحجة على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل بالطريق الأحسن وهو أن لا يكون ذكر الحجة مخلوطاً بالشتم والسب[٢].

قوله تعالى: "ربكم أعلم بكم" الخ[٣].

قال المسكين: كأنه تعليل للقول الأحسن وعدم الخشونة بأنه لا فائدة فيها لأن الهداية والضلال متعلقان بالمشيئة الأزلية.

قوله تعالى: "وربك أعلم بمن" الخ[٤].

يعني أن علمه غير مقصور عليكم ولا على أحوالكم بل علمه بجميع الموجودات والمعدومات فيعلم حال كل واحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وأوتي موسى التوراة وداؤد الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أيضاً أن يؤتي محمداً القرآن وأن يفضله على جميع الخلق[٥].

قوله تعالى: "قل ادعوا الذين زعمتم" الخ[٦].

قال المسكين: رجوع إلى إبطال الشرك ببيان أن الذين تعبدونهم محتاجون إلى الإله الحق فكيف تتخذونهم آلهة.

قوله تعالى: "وإن من قرية إلا نحن" الخ[٧].

قال أبو السعود: بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثر بيان أنه

---

[١] – الإسراء: ٥٣.

[٢] – التفسير الكبير ٢٢٨/٢٠.

[٣] – الإسراء: ٥٤.

[٤] – الإسراء: ٥٥.

[٥] – التفسير الكبير ٢٣٠/٢٠.

[٦] – الإسراء: ٥٦.

[٧] – الإسراء: ٥٨.

حقيق بالحذر وأن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام على حذر من ذلك[١].

قوله تعالى: "وما منعنا" الخ[٢].

قال المسكين: عود إلى مسألة النبوة بالجواب عن اقتراحهم بالآيات الدالة على النبوة على زعمهم.

قوله تعالى: "وإذ قلنا لك إن ربك" الخ[٣].

قال المسكين آخذاً من أبي السعود: هذا متمم للجواب المذكور في الآية الأولى وحاصله أن الله محيط بجميع الأشياء وقد علم أن هؤلاء يكذبون ولو ظهرت لهم مقترحاتهم كما كذبوا بالرؤيا التي أريناك وكما كذبوا بالشجرة التي جعلت في القرآن للملعونين وتنبت في أصل الجحيم فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى وهو معنى قوله: "ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً"[٤].

قوله تعالى: "وإذا قلنا للملائكة اسجدوا" الخ[٥].

قال المسكين: لما قرر الله تعالى أمر التوحيد والنبوة وكيفية الأعمال شرع الآن في تعديد النعم الباعثة على الإيمان والرادعة عن الكفر فذكر أولاً قصة إكرام بني آدم بذكر إكرام أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام وتضمنت هذه الحكاية تحقيق مضمون قوله تعالى: "أولئك الذين يدعون" ببيان أن الملائكة امتثلوا وأطاعوا من غير تردد وتلعثم وتحقيق مضمون قوله تعالى: "فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً" ببيان عناد إبليس وعتوه عن أمر الله تعالى.

قوله تعالى: "ربكم الذي يزجى لكم" الخ[١].

---

[١] – أبو سعود ١٧٩/٥.

[٢] – الإسراء: ٥٩.

[٣] – الإسراء: ٦٠.

[٤] – ابو سعود ١٨٢/٥.

[٥] – الإسراء: ٦١.

قال أبو السعود: وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى: "فلا يملكون" الخ[٢].

قوله تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم" الخ[٣].

اعلم أن المقصود من هذه الآية ذكر نعمة أخرى جليلة رفيعة من نعم الله تعالى على الإنسان[٤].

قوله تعالى: "يوم ندعو كل أناس" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنواع كرامات الإنسان في الدنيا ذكر أحوال درجاته في الآخرة[٦].

قال المسكين: وأيضاً هو تقرير لما مر من إثبات البعث والحساب.

قوله تعالى: "وإن كادوا ليفتنونك" الخ[٧].

قال المسكين: هذا بيان عداوة الكفار مع النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الدين وهو المذكور في هذه الآية وفي أمر الدنيا وهو فيما بعد في قوله تعالى: "وإن كادوا ليستفزونك" الخ وهو راجع إلى بحث النبوة فكان المذكور فيما سبق هو التكذيب وههنا العداوة.

قوله تعالى: "أقم الصلاة لدلوك الشمس" الخ[٨].

لما قال: "وإن كادوا ليستفزونك" أمره تعالى بالإقبال على عبادته تعالى لكي ينصره عليهم فكأنه قيل لا تبال لسعيهم في إخراجك من بلدتك ولا تلتفت إليهم واشتغل

---

[٦] – الإسراء: ٦٦.

[١] – أبو سعود ١٨٤/٥.

[٢] – الإسراء: ٧٠.

[٣] – التفسير الكبير ١٢/٢١.

[٤] – الإسراء: ٧١.

[٥] – التفسير الكبير ١٧/٢١.

[٦] – الإسراء: ٧٣.

[٧] – الإسراء: ٧١.

بعبادة الله تعالى وداوم على أداء الصلوات ونظيره قوله تعالى: "فاصبر على ما يقولون فسبح بحمد ربك"[١].

قال المسكين: ثم ذكر ثمرة إقباله عليه السلام على عبادته تعالى تطييباً لقلبه وشغلاً له عن عداوتهم والاهتمام بهم فقال: "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً" ثم أمر عليه الصلاة والسلام بأن يفوض أمره دخوله وخروجه إليه تعالى في كل حال ويطلب منه العز والنصر ولا يبالي بكيدهم ولا يدبر لنفسه فقال: "وقل رب أدخلني مدخل صدق" الخ. ثم بشره الله تعالى بإجابة دعائه بالنصر فقال: "وقل جاء الحق وزهق الباطل".

قوله تعالى: "وننزل من القرآن ما هو شفاء" الخ[٢].

قال المسكين: هذا دليل لنبوته عليه السلام ببيان معجزته التي فاقت كل معجزة فهو أيضاً عائد إلى تقرير النبوة التي ذكرت في الآيات السالفة. ثم إنه تعالى ذكر السبب الأصلي في وقوع هؤلاء الجاهلين الضالين في أودية الضلال ومقامات الخزي والنكال وهو الاستكبار والبطر واليأس والقنوط ويجمعها الغفلة والقسوة فقال: "وإذا أنعمنا على الإنسان" الخ ثم بين في قوله: "قل كل يعمل" الخ أن أعمال المؤمنين من قبول الهدى والرحمة وأعمال الكافرين من الغفلة والقسوة على طريقتهم التي تشاكل حالهم.

قوله تعالى: "ويسئلونك عن الروح" الخ[٣].

قال المسكين: هذا أيضاً متعلق بمسألة النبوة وجواب عما أراد اليهود بالسؤال عنه إبطال أمر نبوته عليه السلام وإلزام الحجة عليه.

قوله تعالى: "ولئن شئنا لنذهبن" الخ[٤].

قال المسكين: هذا أيضاً تقرير لنبوته عليه السلام بكونه عليه السلام مؤيداً

---

[١] – التفسير الكبير ٢٥/٢١.

[٢] – الإسراء: ٨٢.

[٣] – الإسراء: ٨٥.

[٤] – الإسراء: ٨٦.

بالوحي وثباته من الله تعالى.

قوله تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس" الخ[١].

قال المسكين: بيان لجلالة القرآن العظيم بأنه كاف شاف واف للمقصود وذكر لشدة عناد الكفار المنكرين.

قوله تعالى: "وقالوا لن نؤمن" الخ[٢].

قال المسكين: هذا جواب عن قدحهم في نبوته عليه السلام باقتراح الآيات عناداً.

وحاصل الجواب أني بشر لا أقدر بنفسي على الإتيان بالآيات لكني رسول يكفي للدلالة على رسالتي دليل ما لأن الدليل الواحد السالم عن القادح يكفي في إثبات المطلوب ولا يلزم اجتماع الدلائل الكثيرة وإلا لم يثبت شيء من المطالب لأن المخاصم لا ينتهي إلى حد بل لا يزال يطالب مدة عمره بالدلائل الغير المتناهية وهذه سفسطة بينة.

قوله تعالى: "وما منع الناس أن يؤمنوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما حكي شبهة القوم في اقتراح المعجزات الزائدة وأجاب عنها حكى عنهم شبهة آخر وهي أن الله تعالى لو أرسل رسولاً إلى الخلق لوجب أن يكون من الملائكة فأجاب الله تعالى عن هذه[٤].

قوله تعالى: "قل كفى بالله" الخ[٥].

تقريره أن الله تعالى لما أظهر المعجزة على وفق دعواى كان ذلك شهادة من الله تعالى على كوني صادقاً فبعد ذلك قول القائل بأن الرسل يجب أن يكون ملكاً لا

---

[١] – الإسراء: ٨٨.

[٢] – الإسراء: ٩٠.

[٣] – الإسراء: ٩٤.

[٤] – التفسير الكبير ٥٩/٢١.

[٥] – الإسراء: ٩٦.

إنساناً تحكم فاسد[١].

قوله تعالى: "ومن يهدي الله فهو المهتد" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أجاب عن شبهات القوم في إنكار النبوة وأردفها بالوعيد الإجمالي وهو قوله: "إنه كان بعباده" الخ ذكر بعده الوعيد الشديد على سبيل التفصيل[٣].

قال المسكين: وعلل الوعيد بشيئين الكفر بالآيات الدالة على التوحيد والنبوة وإنكار البعث ثم أجاب عن استبعادهم للبعث بقوله: "أو لم يروا أن الله" الخ فمدار الكلام ههنا على أمر النبوة والمعاد.

قوله تعالى: "قل لو أنتم تملكون" الخ[٤].

إن الكفار لما قالوا لن نؤمن لك الخ طلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم وتتسع عليهم معيشتهم فبين الله تعالى لهم أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم ولما أقدموا على إيصال النفع إلى أحد وعلى هذا التقرير فلا فائدة في إسعافهم بهذا المطلوب الذي التمسوه[٥].

قال المسكين: خلاصة المرام أن إظهار المقترحات إما للدلالة على النبوة فجوابه ما مر في قوله: "هل كنت إلا بشراً رسولاً" وإما لاتساع الأرزاق فجوابه على ما ذكر ههنا أن الاتساع لا يكون حسب قانون التمدن إلا بأن يعاون بعضهم بعضاً وهؤلاء لبخلهم ما كانوا ليعاونوا فانتفت هذه الفائدة أيضاً فكان إظهار المقترحات عبثاً محضاً فافهم والأحسن والأقرب أن يفسر الرحمة بالنبوة ويقال: إنه تعالى لما بين فيما قبل إنكارهم للنبوة الدال على الكراهة فرع على هذه الكراهة أنكم لو تملكون فرضاً أمر النبوة لما أعطيتموها أحداً.

---

[١] – التفسير الكبير ٦٠/٢١.

[٢] – الإسراء: ٩٧.

[٣] – التفسير الكبير ٦٠/٢١.

[٤] – الإسراء: ١٠٠.

[٥] – التفسير الكبير ٦٢/٢١.

قوله تعالى: ولقد آتينا موسى" الخ[١].

قال المسكين: نظير لإتيان الرسول بالآيات العظام وعناد الكفرة الجهلة اللئام.

قوله تعالى: "وبالحق أنزلناه" الخ[٢].

عاد إلى تعظيم حال القرآن وجلالة درجته[٣].

قوله تعالى: "قل ادعو الله" الخ[٤].

قال المسكين: تقرير للتوحيد والعبادة في الخاتمة كما كان في الفاتحة فتناسب الأول والآخر.

---

[١] – الإسراء: ١٠١.

[٢] – الإسراء: ١٠٥.

[٣] – التفسير الكبير ٦٧/٢١.

[٤] – الإسراء: ١١٠.

سورة الكهف

ختم السورة المتقدمة بالتكبير وافتتح هذه بالتحميد وتعانقهما ظاهر[١].

قوله تعالى: "قيماً لينذر" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بهذه الصفات المذكورة أردفه ببيان ما لأجله أنزله[٣].

قوله تعالى: "فلعلك باخع" الخ[٤].

الغرض تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم[٥].

قوله تعالى: "إنا جعلنا ما على الأرض – إلى قوله: صعيداً جرزاً" الخ[٦].

قال أبو السعود: والمعنى لا تحزن بما عانيت من القوم من تكذيب ما أنزلنا عليك من الكتاب فإنا قد جعلنا ما على الأرض من فنون الأشياء زينة لها لنختبر أعمالهم فنجازيهم بحسبها وإنا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب أعمالهم[٧].

قال المسكين: خلاصة القول أن الدنيا دار الابتلاء لا دار الجزاء فلا يحزنك تمتعهم ههنا فإنما يجازون ولا بد في دار الجزاء.

قوله تعالى: "أم حسبت أن أصحاب الكهف" الخ[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الكهف: ٢.

[٣] – التفسير الكبير ٧٦/٢١.

[٤] – الكهف: ٦.

[٥] – التفسير الكبير ٧٩/٢١.

[٦] – الكهف: ٧.

[٧] – ابو سعود ٢٠٥/٥.

[٨] – الكهف: ٩.

قال المسكين: لما بين الله تعالى في الآيات المتقدمة إنزال الكتاب عليه صلى الله عليه وسلم الدال على نبوته وقد أراد اليهود امتحان نبوته بالسؤال عن أمور منها قصة أصحاب الكهف حكاها الله تعالى ليستدل بها على دعوى النبوة.

وأما حكمة بدئها بهذا العنوان العجيب فتقريره على ما في الكبير: ويظهر به أيضاً وجه ارتباط عنوان هذه الآية بعنوان الآية المتقدمة هكذا: اعلم أن القوم تعجبوا من قصة أصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال تعالى: "ام حسبت أن أصحاب الكهف كانوا عجباً من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فإن آياتنا كلها عجب، فإن من كان قادراً على تخليق السموات والأرض ثم يزين الأرض بأنواع المعادن والنبات والحيوان ثم يجعلها بعد ذلك صعيداً جرزاً خالية عن الكل كيف يستبعدون من قدرته وحفظه ورحمته حفظ طائفة مدة ثلث مائة سنة وأكثر في النوم[١].

قوله تعالى: "واتل ما أوحي" الخ[٢].

قال المسكين: عود إلى مضمون قوله: "أنزل على عبده الكتاب" وقوله: "لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين" الخ فذكر الله تعالى ههنا آداب التبليغ من التسوية بين المخاطبين الأغنياء منهم والفقراء، وعدم الالتفات إلى الدنيا لفنائها، وعدم المبالاة بعدم إيمانهم لكون النار جزاء وفاقا لهم وما يقارب ذلك من المضامين كما في الكبير:

اعلم أن من هذه الآية إلى قصة موسى والخضر كلام واحد من قصة واحدة وذلك أن أكابر كفار قريش احتجوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أردت أن نؤمن بك فاطرد من عندك هؤلاء الفقراء الذين آمنوا بك والله تعالى نهاه عن ذلك ومنعه عنه وأطنب في جملة هذه الآيات[٣].

قوله تعالى: "وقل الحق من ربكم" الخ[٤].

---

[١] – التفسير الكبير ٢١/٨١ و٨٢.

[٢] – الكهف: ٢٧.

[٣] – التفسير الكبير ٢١/١١٤.

[٤] – الكهف: ٢٩.

لما أمر رسوله بأن لا يلتفت إلى أولئك الأغنياء قال: وقل الحق أي قل لهؤلاء إن هذا الدين الحق إنما أتى من عند الله فإن قبلتموه عاد النفع إليكم وإن لم تقبلوا عاد الضرر إليكم[١].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المبطلين أردفه بوعد المحقين[٣].

قوله تعالى: "واضرب لهم مثلاً" الخ[٤].

اعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنياً والغني فقيراً أما الذي يجب حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية[٥].

قوله تعالى: "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا" الخ[٦].

اعلم أن المقصود اضرب مثلاً آخر يدل على حقارة الدنيا وقلة بقائها[٧].

قوله تعالى: "المال والبنون" الخ[٨].

لما بين أن الدنيا سريعة الانقراض بين تعالى أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١١٨/٢١.

[٢] – الكهف: ٣٠.

[٣] – التفسير الكبير ١٢١/٢١.

[٤] – الكهف: ٣٢.

[٥] – التفسير الكبير ١٢٣/٢١ و١٢٤.

[٦] – الكهف: ٤٥.

[٧] – التفسير الكبير ١٣٠/٢١.

[٨] – الكهف: ٤٦.

[٩] – التفسير الكبير ١٣٠/٢١.

قوله تعالى: "ويوم نسير الجبال" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما بين خساسة الدنيا وشرف القيامة أردفه بأحوال القيامة[٢].

قوله تعالى: "وإذ قلنا للملائكة" الخ[٣].

قال أبو السعود: والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المنكرين المفتخرين بأنسابهم وأموالهم المستنكفين عن الانتظام في سلك فقراء المؤمنين ببيان أن ذلك من صنع إبليس وأنهم في ذلك تابعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله تعالى: "أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فتطيعونهم بدل طاعتي[٤].

قوله تعالى: "ما أشهدتهم" الخ[٥].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور[٦].

قوله تعالى: "ويوم يقول نادوا" الخ[٧].

قال المسكين: هو بيان لعدم نفع ولاية الشياطين لهم.

قوله تعالى: "ولقد صرفنا في هذا القرآن" الخ[٨].

قال المسكين: بيان لكون الموعظة القرآنية في الواقعة المذكورة وغيرها بالغة وجدال الإنسان فيها وتمادي كفره إلى أن يقع به العذاب والإشارة إلى قرب وقوعه بهم وبأضرابهم من أهل القرى.

قوله تعالى: وإذ قال موسى لفتاه" الخ[٩].

---

[١] – الكهف: ٤٨.

[٢] – التفسير الكبير ١٣٢/٢١.

[٣] – الكهف: ٥٠.

[٤] – أبو سعود ٢٢٧/٥.

[٥] – الكهف: ٥١.

[٦] – أبو سعود ٢٢٨/٥.

[٧] – الكهف: ٥٢.

[٨] – الكهف: ٥٤.

[٩] – الكهف: ٦٠.

اعلم أن هذا ابتداء قصة ثالثة ذكرها الله تعالى في هذه السورة هذا وإن كان كلاماً مستقلاً في نفسه إلا أنه يعين على ما هو المقصود أما نفع هذه القصة في الرد على الكفار فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعمله وعلو منصبه ذهب إلى الخضر لطلب العلم وتواضع له وذلك يدل على أن التواضع خير من التكبر (خصوصاً في طلب العلم خصوصاً من أفضل الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم)[١].

قوله تعالى: "ويسألونك عن ذي القرنين" الخ[٢].

إن اليهود أمروا المشركين أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح فالمراد من قوله: ويسئلونك عن ذي القرنين هو ذلك السؤال[٣].

قال المسكين: ويمكن أن يجعل إشارة إلى أن ذم المال والجاه الذي ذكر فيما مر ليس على الإطلاق بل إذا جعلا الإنسان طاغياً باغياً وأما إذا شكر الله تعالى عليهما ونفع بهما عباده فهو من أعظم النعم كما كان لذي القرنين الذي جمع المال والعلم.

قوله تعالى: "أفحسب الذين كفروا" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين من حال الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن استماع ما جاء به الرسول اتبعه بقوله أفحسب الخ والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع إعراضهم عن تدبر الآيات وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله[٥].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ولما ذكر في الكفار أن جهنم

---

[١] – التفسير الكبير ١٤٣/٢١ وما بين القوسين في الهامش زيادة من المؤلف.

[٢] – الكهف: ٨٣.

[٣] – التفسير الكبير ١٦٣/٢١.

[٤] – الكهف: ١٠٢.

[٥] – التفسير الكبير ١٧٤/٢١.

[٦] – الكهف: ١٠٨.

نزلهم اتبعه بذكر ما يرغب في الإيمان والعمل الصالح[١].

قوله تعالى: "قل لو كان البحر مداداً" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في هذه السورة أنواع الدلائل والبينات وشرح فيها أقاصيص الأولين نبه على كمال حال القرآن فقال: "قل لو كان البحر مداداً" الخ[٣].

قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم" الخ[٤].

قال المسكين: لما بين تعالى في الآيتين المتقدمتين فضل الإيمان والعمل الصالح وفضل القرآن العظيم ذكر ما يدل على إثبات النبوة بالجواب عن طعن الكفار بالبشرية بأن البشرية لا تنافي النبوة بل مدار النبوة على الوحي وقد يوحي إلي وخصص من بين ما يوحي أمر التوحيد لاهتمامه ولمناسبة المقام لأن التوحيد والنبوة أصلان عظيمان للإيمان ثم نبه على ما لا بد من رعايته في الاعتداد للآخرة من العمل الصالح وشرط قبوله من ترك الشرك الجلي والخفي الذي هو الرياء فقال: من كان يرجو لقاء ربه الخ.

---

[١] – التفسير الكبير ٢١/١٧٥.

[٢] – الكهف: ١٠٩.

[٣] – التفسير الكبير ٢١/١٧٦.

[٤] – الكهف: ١١٠.

سورة مريم عليها السلام

لما ختم السورة المتقدمة بإثبات نبوته عليه الصلاة والسلام بقوله: قل إنما أنا بشر مثلكم وبين في هذه السورة نبوة بعض الأنبياء السابقين حصل المناسبة بينهما[١].

اعلم أن الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر والمنكرون للتوحيدهم الذين أثبتوا معبوداً سوى الله تعالى وهؤلاء فريقان منهم من أثبت معبوداً غير الله حياً عاقلاً وهم النصارى، ومنهم من أثبت معبوداً غير الله جماداً ليس بحي ولا عاقل ولا فاهم وهم عبدة الأوثان[٢].

قال المسكين: في قصص هذه السورة إثبات للتوحيد كما ذكر من قصة عيسى عليه السلام وفيه رد للفريق الأول، ومن وعظ إبراهيم عليه السلام وفيه رد للفريق الثاني وإثبات النبوة بوجهين أحدهما ببيان نبوة الأنبياء للدلالة على أن النبوة ليست بأمر بدع فأي بعد في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وثانيهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخالط العلماء ثم قص القصص على ما وقعت فهذه دلالة بينة على كونه مؤيداً بالوحي ثم بعد ذكر القصص ذكر المعاد مختلطاً بالتوحيد كما يظهر من تلاوة تلك الآيات.

قوله تعالى: "أولئك الذين أنعم الله عليهم" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى أثنى على كل واحد ممن تقدم ذكره من الأنبياء بما يخصه من الثناء ثم جمعهم آخراً فقال: أولئك الذين الخ[٤].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – لم أجده أيضاً في الكبير ولا في أبي السعود والأسلوب أسلوب الكبير.

[٣] – مريم: ٥٨.

[٤] – التفسير الكبير ٢٣٣/٢١.

قوله تعالى: "فخلف من بعدهم خلف" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما وصف هؤلاء الأنبياء بصفات المدح ترغيباً لنا في التأسى بطريقتهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم[٢].

قوله تعالى: "إلا من تاب" الخ[٣].

قال المسكين: هذا استثناء من المذكورين.

قوله تعالى: "جنات عدن" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما ذكر في التائب أنه يدخل الجنة وصف الجنة بأمور[٥].

قوله تعالى: "وما نتنزل إلا بأمر ربك" الخ[٦].

قال المسكين: هذا حكاية لقول جبريل عليه السلام ولعل وضعه ههنا لتقرير أمر التوحيد والنبوة ببيان أن الملائكة مأمورون تحت أمر الله تعالى فدل ذلك على كمال عظمة الله تعالى وانفراده بالأمر كله ودل على أن الرسالة شأنها محض المأمورية فلا يحتمل أن يقولوا ما لم يؤمروا فانتفت شكوك الشاكين فيها.

قوله تعالى: "ويقول الإنسان" الخ[٧].

قال المسكين: شرع من ههنا في إثبات المعاد وأحواله.

قوله تعالى: "وإذا تتلى عليهم آياتنا" الخ[٨].

قال المسكين آخذاً من أبي السعود: حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية عليهم فظاعة حالهم ووخامة مآلهم ثم رد عليهم اغترائهم بزخارف الدنيا بقوله: وكم

---

[١] – مريم: ٥٩.

[٢] – التفسير الكبير ٢٣٥/٢١.

[٣] – مريم: ٦٠.

[٤] – مريم: ٦١.

[٥] – التفسير الكبير ٢٣٦/٢١.

[٦] – مريم: ٦٤.

[٧] – مريم: ٦٦.

[٨] – مريم: ٧٣.

أهلكنا قبلهم من قرن الخ ثم بين حكمة إمهالهم بقوله: قل من كان في الضلالة الخ ثم ذكر غاية للمد وهذا هو المقصود وما سبق كان للتمهيد له في قوله: حتى إذا رأوا ما يوعدون الخ[١].

ويمكن أن يكون كما – في الكبير – جواباً عن شبهتهم في البعث بأنا في سعة ههنا فكذا ثمه لو كان فرضاً[٢].

قوله تعالى: "ويزيد الله الذين" الخ[٣].

قال أبو السعود: كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين[٤].

قوله تعالى: "أفرأيت الذي كفر" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الدلائل أولاً على صحة البعث ثم أورد شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعناً في القول بالحشر (من كونهم في أطيب عيش في الدنيا وأجاب عنها بقوله: "وكم أهلكنا" وبقوله: "قل من كان في الضلالة")[٦].

قوله تعالى: "واتخذوا من دون الله" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في مسألة الحشر والنشر تكلم الآن في الرد على عباد الأصنام (لتقرير أمر التوحيد وإبطال الشرك وبيان وخامة حالهم يوم المعاد بأنهم يبقون منفردين لا شفيع لهم)[٨].

---

[١] – أبو السعود ٥/٢٧٦.

[٢] – التفسير الكبير ٢١/٢٤٥.

[٣] – مريم: ٧٦.

[٤] – أبو سعود ٥/٢٧٨.

[٥] – مريم: ٧٧.

[٦] – التفسير الكبير ٢١/٢٤٩ وما بين القوسين في الهامش زيادة من المؤلف.

[٧] – مريم: ٨١.

[٨] – التفسير الكبير ٢١/٢٥٠ وما بين القوسين في الهامش زيادة من المؤلف.

قوله تعالى: "وقالوا اتخذوا الرحمن ولداً" الخ[١].

قال أبو السعود: حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً إثر حكاية عبدة الأصنام بطريق عطف القصة على القصة[٢].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما رد على أصناف الكفرة وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والآخرة ختم السورة بذكر أحوال المؤمنين[٤].

قوله تعالى: "فإنما يسرناه بلسانك" الخ[٥].

كلام مستأنف بين به عظيم موقع هذه السورة لما فيها من التوحيد والنبوة والحشر والنشر والرد على فرق المضلين المبطلين[٦].

قوله تعالى: "وكم أهلكنا" الخ[٧].

قال أبو السعود: وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له عليه الصلاة والسلام على الإنذار[٨].

---

[١] – مريم: ٨٨.

[٢] – أبو سعود ٢٨٢/٥.

[٣] – مريم: ٩٦.

[٤] – التفسير الكبير ٢٥٥/٢١.

[٥] – مريم: ٩٧.

[٦] – التفسير الكبير ٢٥٦/٢١.

[٧] – مريم: ٩٨.

[٨] – أبو سعود ٢٨٤/٥.

سورة طه

ختم السورة المتقدمة بذكر نزول القرآن وتيسيره بلسان محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك افتتح هذه السورة ببيان تنزيل القرآن ونفي العسر والمشقة عنه صلى الله عليه وسلم وهذا هو وجه التناسب بينهما[١].

قوله تعالى: "ما أنزلنا عليك" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتسليته عليه الصلاة والسلام عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب[٣].

قوله تعالى: "إلا تذكرة" الخ[٤].

قال أبو السعود: كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة لمن يخشى[٥].

قوله تعالى: "تنزيلاً ممن خلق" الخ[٦].

قال أبو السعود: مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله أي نزل تنزيلاً[٧].

(وفي الكبير: أنه تعالى عظم حال القرآن بأن نسبه إلى أنه تنزيل لمن خلق الأرض وخلق السموات على علوها وإنما قال ذلك لأن تعظيم الله تعالى يظهر بتعظيم خلقه ونعمه)[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – طه: ٢.

[٣] – أبو سعود ٣/٦.

[٤] – طه: ٣.

[٥] – أبو سعود ٣/٦.

[٦] – طه: ٤.

[٧] – أبو سعود ٤/٦.

[٨] – التفسير الكبير ٥/٢٢ وقول الكبير هذا ذكره المؤلف في هامش الكتاب.

قوله تعالى: "الرحمن على العرش استوى" الخ[١].

قال أبو السعود: فيه إشارة إلى أن تنزيل القرآن أيضاً من أحكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى: الرحمن علم القرآن[٢].

قوله تعالى: "له ما في السموات" الخ[٣].

قال أبو السعود: بيان لسعة سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات[٤].

قوله تعالى: "وإن تجهر بالقول" الخ[٥].

قال أبو السعود: بيان لإحاطة علمه تعالى بجميع الأشياء إثر بيان سعة سلطتنه وشمول قدرته لجميع الكائنات[٦].

قوله تعالى: "الله لا إله هو" الخ[٧].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان أن ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق[٨].

قوله تعالى: "له الأسماء الحسنى" الخ[٩].

قال أبو السعود: بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية أسماءه وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى[١٠].

قوله تعالى: "وهل أتاك حديث موسى" الخ[١١].

---

[١] – طه: ٥.

[٢] – أبو سعود ٥/٦.

[٣] – طه: ٦.

[٤] – أبو سعود ٥/٦.

[٥] – طه: ٧.

[٦] – أبو سعود ٥/٦.

[٧] – طه: ٨.

[٨] – أبو سعود ٥/٦.

[٩] – طه: ٨.

[١٠] – أبو سعود ٦/٦.

[١١] – طه: ٩.

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتقرير أمر التوحيد الذي إليه انتهى مساق الحديث وبيان أنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابراً عن كابر وقد خوطب به موسى عليه السلام حيث قيل له: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا} وبه ختم عليه الصلاة والسلام مقاله حيث قال: "إنما إلهكم الذي لا إله إلا هو" وأما ما قيل من أن ذلك لترغيب النبي صلى الله عليه وسلم في الائتساء بموسى عليه السلام في تحمل أعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب في تبليغ أحكام الرسالة فيأباه أن مساق النظم الكريم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن اقتحام المشاق[١].

قوله تعالى: "كذلك نقّص" الخ[٢].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما شرح قصة موسى عليه السلام اتبعه بقوله: "كذلك نقص عليك" من سائر أخبار الأمم وأحوالهم تكثيراً لشأنك وزيادة في معجزاتك وليكثر الاعتبار والاستبصار للمكلفين بها في الدين[٣].

قال المسكين: ثم ذكر الكتاب المنطوي على هذه القصص ثم عظم أمره ببيان وعيد المعرض عنه وذكر يوم الوعيد وأهواله من نفخ الصور والحشر ونسف الجبال وغيرها ثم بين حال قسيم المعرض المؤمن بالقرآن والعامل به في قوله: "وقد آتيناك من لدنا ذكراً (إلى قوله) فلا يخاف ظلماً ولا هضماً".

قوله تعالى: "وكذلك أنزلناه قرآنا عربياً" الخ[٤].

اعلم أن قوله: وكذلك عطف على قوله: كذلك نقص أي ومثل ذلك الإنزال وعلى نهجه أنزلنا القرآن كله[٥].

قوله تعالى: "فتعالى الله الملك الحق" الخ[٦].

---

[١] – أبو سعود ٦/٦.

[٢] – طه: ٩٩.

[٣] – التفسير الكبير ١١٣/٢٢.

[٤] – طه: ١١٣.

[٥] – التفسير الكبير ١٢١/٢٢.

[٦] – طه: ١١٤.

قال أبو السعود: استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك[١].

قوله تعالى: "ولا تجعل بالقرآن" الخ[٢].

قال أبو السعود: نهى عن ذلك إثر ذكر الإنزال بطريق الاستطراد وأمر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل: وقل أي في نفسك رب زدني علماً أي سل الله عزوجل زيادة العلم فإنه الموصل إلى طلبتك دون الاستعجال[٣].

قوله تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان أن أساس بني آدم على العصيان وعرقه أرسخ في النسيان مع ما فيه من إنجاز الموعود في قوله تعالى: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق"[٥].

قوله تعالى: "أفلم يهد لهم" الخ[٦].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى: وكذلك نجزي[٧].

قوله تعالى: "ولو لا كلمة سبقت" الخ[٨].

قال أبو السعود: كلام مستأنف سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى: أفلم يهد لهم الآية من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون المهلكة[٩].

---

[١] – أبو سعود ٤٤/٦.
[٢] – طه: ١١٤.
[٣] – أبو سعود ٤٤/٦.
[٤] – طه: ١١٥.
[٥] – أبو سعود٤٤/٦.
[٦] – طه: ١٢٨.
[٧] – أبو سعود ٤٨/٦.
[٨] – طه: ١٢٩.
[٩] – أبو سعود ٤٩/٦.

قوله تعالى: "فاصبر على ما يقولون" الخ[١].

لما أخبر نبيه بأنه لا يهلك أحداً قبل استيفاء أجله أمره بالصبر ثم قال: فسبح وهو نظير قوله: واستعينوا بالصبر والصلاة[٢].

قوله تعالى: "ولا تمدن عينيك" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما صبر رسوله عليه السلام على ما يقولون وأمره بأن يعدل إلى التسبيح اتبع ذلك نهيه عن مد عينيه إلى ما متع به القوم[٤].

قوله تعالى: "وأمر أهلك" الخ[٥].

قال أبو السعود: أمر عليه السلام بأن يأمر أهل بيته أوالتابعين له من امته بعد ما أمر هو بها (أي الصلاة) ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة[٦].

قوله تعالى: "وقالوا لو لا يأتينا" الخ[٧].

إنه سبحانه بعد هذه الوصية حكى عنهم شبهتهم فكأنه من تمام قوله: فاصبر على ما يقولون ثم بين أنه تعالى أزاح لهم كل عذر وعلة في التكليف فقال: ولو أنا أهلكنا الخ ثم إنه سبحانه ختم السورة بضرب من الوعيد فقال: قل كل متربص الخ[٨].

---

[١] – طه: ١٣٠.

[٢] – التفسير الكبير ١٣٣/٢٢.

[٣] – طه: ١٣١.

[٤] – التفسير الكبير ١٣٥/٢٢.

[٥] – طه: ١٣٢.

[٦] – أبو سعود ٥١/٦.

[٧] – طه: ١٣٣.

[٨] – التفسير الكبير ١٣٧/٢٢.

سورة الأنبياء عليهم السلام

ختم التي تقدمت وافتتح هذه بذكر الوعيد بالتربص والحساب فالمناسبة جلية غير خفية[١].

قوله تعالى: "اقترب للناس" الخ[٢].

قال أبو السعود: مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان[٣].

قوله تعالى: "ما يأتيهم من ذكر" الخ[٤].

قال المسكين: هذا بيان لإعراضهم وغفلتهم بذكر جناياتهم المعتادة من لعبهم ولهوهم وجنايتهم الخاصة من أسرار النجوي.

قوله تعالى: "قال ربي يعلم" الخ[٥].

لما أورد هذا الكلام عقيب ما حكى عنهم وجب أن يكون كالجواب لما قالوه فكأنه قال: إنكم وإن أخفيتم قولكم وطعنكم فإن ربي عالم بذلك وإنه من وراء عقوبته فتوعدوا بذلك لكيلا يعودوا إلى مثله[٦].

قوله تعالى: "بل قالوا أضغاث أحلام" الخ[٧].

إنه تعالى عاد إلى حكاية قولهم المتصل بقوله: هل هذا إلا بشر الخ ثم إن الله تعالى بدأ بالجواب عن السؤال الأخير بقوله: ما آمنت والمعنى أنهم في العتو أشد من

---

[١] – في الاصل بهامش الكتاب.

[٢] – الأنبياء: ١.

[٣] – أبو سعود ٥٣/٦.

[٤] – الأنبياء: ٢.

[٥] – الأنبياء: ٤.

[٦] – التفسير الكبير ١٤٢/٢٢.

[٧] – الأنبياء: ٥.

الذين اقترحوا على أنبيائهم الآيات وعهدوا أنهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فأهلكهم الله فلو أعطيناهم ما يقترحون لكانوا أشد نكثاً[١].

قوله تعالى: "وما أرسلنا قبلك" الخ[٢].

قال أبو السعود: جواب لقولهم "هل هذا إلا بشر" الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم: كما أرسل الأولون من التعريض بعدم كونه عليه السلام مثل أولئك الرسل صلوات الله عليهم أجمعين[٣].

قوله تعالى: "ثم صدقناهم الوعد" الخ[٤].

قال المسكين: متمم لحكاية الرسل لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد المنكرين.

قوله تعالى: "لقد أنزلنا إليكم" الخ[٥].

قال أبو السعود: مستأنف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي ذكر في صدر السورة الكريمة وإعراض الناس عما يأتيهم من آياته واستهزائهم به وتسميتهم تارة سحراً وتارة أضغاث أحلام وأخرى مفتري وشعراً، وبيان علو رتبته إثر تحقيق رسالته صلى الله عليه وسلم ببيان أنه كسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام[٦].

قوله تعالى: "وكم قصمنا من" الخ[٧].

قال أبو السعود: نوع تفصيل لإجمال قوله تعالى: وأهلكنا المسرفين وبيان

---

[١] – التفسير الكبير ١٤٣/٢٢.

[٢] – الأنبياء: ٧.

[٣] – أبو سعود ٥٦/٦.

[٤] – الأنبياء: ٩.

[٥] – الأنبياء: ١٠.

[٦] – أبو سعود ٥٨/٦.

[٧] – الأنبياء: ١١.

لكيفية إهلاكهم وسببه، وتنبيه على كثرتهم[١].

قوله تعالى: "وما خلقنا السماء والأرض" الخ[٢].

قال المسكين: لما نعى الله تعالى على الكفار الموجودين والماضين شناعة حالهم في الإعراض واللهو والظلم بين أن الإنسان لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى ببيان القول الكلي في ذلك لأنه يلزم منه اللهو واللعب في جنابه تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل مقتضى حكمته أن يميز بين الحق والباطل وأن ذلك مما يقتضي إرسال الرسل الذين منهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي ينكرون نبوته ويصفونه بما لا يليق به عليه السلام ويستحقون به الويل ثم أكد كون العباد مكلفين بقوله: وله من في السموات والأرض الخ فحاصل هذا الكلام تقرير لأمر النبوة.

قوله تعالى: "أم اتخذوا آلهة من الأرض" الخ[٣].

اعلم أن الكلام من أول السورة إلى ههنا كان في النبوات وما يتصل بها من الأحكام سؤالاً وجواباً وأما هذه الآيات فإنها في بيان التوحيد ونفي الأضداد والأنداد[٤].

قوله تعالى: "وما جعلنا لبشر من قبلك" الخ[٥].

قال المسكين: جواب عن شماتتهم بموته عليه السلام وتمهيد لبيان المعاد المذكور في قوله: "وإلينا ترجعون" المقصود، فشرع من ههنا في إثباته بعد النبوة والتوحيد إلى قوله: "وكفى بنا حاسبين" وذكر في تضاعيفه استهزائهم بالرسول المخبر عن المعاد واستعجالهم بالعذاب ومآل المستهزئين وكلاءة الله تعالى لهم في الدنيا عن العذاب، وضعف آلهتهم عنها وعدم اغترارهم بالتمتع الدنيوي ووقوع ما يدفع نزول العذاب بهم من نقص الأطراف وتيقن وقوع العذاب لإتيان الوحي به وإن لم يسمعه الصم وغير ذلك مما يناسب المعاد.

---

[١] – أبو سعود ٥٨/٦.

[٢] – الأنبياء: ١٦.

[٣] – الأنبياء:٢١.

[٤] – التفسير الكبير ١٤٩/٢٢.

[٥] – الأنبياء:٣٤.

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى وهارون" الخ[١].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الأنبياء عليهم السلام[٢].

وفيه كما قال أبو السعود: نوع تفصيل لما أجمل في قوله تعالى: "وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم" إلى قوله تعالى: وأهلكنا المسرفين، وإشارة إلى كيفية إنجائهم وإهلاك أعدائهم[٣].

قوله تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة" الخ[٤].

قال المسكين: كأنها نتيجة القصص أي ملة التوحيد الذي أجمع عليه الأنبياء عليهم السلام ملة واحدة ثم أفسده هؤلاء بالتفريق المذكور في قوله: "وتقطعوا أمرهم" الخ ثم ذكر أمر المعاد بقوله: "كل إلينا راجعون" إلى قوله: "وعدا علينا إنا كنا فاعلين" أو إلى قوله الصالحون إن فسر الأرض بأرض الجنة وإن فسرت بأرض الدنيا كان مناسبة هذه الآية الأخيرة بما قبلها أن الأعمال الصالحة موجبة للإعزاز في الدارين أما في الآخرة فذكر أولا وأما في دار الدنيا فذكر في هذه الآية ثم أثنى على السورة الكريمة المشتملة على التوحيد والنبوة والمعاد بقوله: "إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين" ثم على الرسول الآتي بهذا الكتاب بقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين".

قوله تعالى: "قل إنما يوحي إليّ" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما أورد على الكفار الحجج في أن لا إله سواه من الوجوه التي تقدم ذكرها وبين أنه أرسل رسوله رحمة للعالمين اتبع ذلك بما يكون إعذاراً وإنذاراً في مجاهدتهم والإقدام عليهم[٦].

---

[١] – الأنبياء: ٤٨.

[٢] – التفسير الكبير ١٧٨/٢٢.

[٣] – أبو سعود ٧١/٦.

[٤] – الأنبياء: ٩٢.

[٥] – الأنبياء: ١٠٨.

[٦] – التفسير الكبير ٢٣٢/٢٢.

سورة الحج

كانت السورة المتقدمة مختتمة وهذه مفتتحة بالإنذار فالارتباط ظاهر[١].

قوله تعالى: "يا أيها الناس اتقوا" الخ[٢].

أمر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها بأهول صفة[٣].

قوله تعالى: "ومن الناس من يجادل" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مبتدأ جيئ به إثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها[٥].

قوله تعالى: "يا أيها الناس إن كنتم" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكى عنهم الجدال بغير العلم في إثبات الحشر والنشر وذمهم عليه فهو سبحانه وتعالى أورد الدلالة على صحة ذلك من وجهين أحدهما الاستدلال بخلقة الحيوان أولاً والوجه الثاني الاستدلال بحال خلقة النبات ذلك[٧].

قوله تعالى: "ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى" الخ[٨].

قال أبو مسلم: الآية الأولى واردة في اتباع المقلدين وهذه الآية واردة في

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الحج: ١.

[٣] – التفسير الكبير ٣/٢٣.

[٤] – الحج: ٣.

[٥] – أبو سعود ٩٢/٦.

[٦] – الحج: ٥.

[٧] – التفسير الكبير ٧/٢٣.

[٢] – الحج: ٨.

المتبوعين المقلدين[١].

قال المسكين: والقرينة عليه قوله تعالى ههنا: ليضل عن سبيل الله فإن الإضلال من شأن المتبوع.

قوله تعالى: "ومن الناس من يعبد الله" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر المنافقين[٣].

قوله تعالى: "إن الله يدخل" الخ[٤].

اعلم أنه سبحانه لما بين في الآية السابقة حال عبادة المنافقين وحال معبودهم بين في هذه الآية صفة عباده المؤمنين وصفة معبودهم[٥].

قوله تعالى: "من كان يظن أن لن ينصره الله" الخ[٦].

قال المسكين: بيان لنصرة المعبود الحق لأوليائه مقابلة لقوله في الآلهة الباطلة ما لا يضره وما لا ينفعه.

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا والذين هادوا" الخ[٧].

قال المسكين: بيان لمآل كل فريق إثر تقسيم الناس إلى طرائق.

قوله تعالى: "ألم تر أن الله يسجد له" الخ[٨].

قال أبو السعود: بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة

---

[١] – التفسير الكبير ١١/٢٣.

[٢] – الحج: ١١.

[٣] – التفسير الكبير ١٣/٢٣.

[٤] – الحج: ١٤.

[٥] – التفسير الكبير ١٥/٢٣.

[٦] – الحج: ١٥.

[٧] – الحج: ١٧.

[٨] – الحج: ١٨.

مع الإشارة إلى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والإثابة والإكرام والإهانة[١].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا ويصدون" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى بعد أن فصل بين الكفار والمؤمنين ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء[٣].

قوله تعالى: "إن الله يدافع" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين ما يلزم في الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة وقد ذكر أن الكفار صدوهم اتبع ذلك ببيان ما يزيل الصد ويؤمن معه التمكن من الحج[٥].

قوله تعالى: "وإن يكذبوك" الخ[٦].

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم بإهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى: "ولينصرن الله من ينصره" الخ[٧].

قوله تعالى: "ويستعجلونك بالعذاب" الخ[٨].

قال المسكين: لما تضمنت الآية الأولى وعيد العذاب لهم استعجلوا به فأجابهم الله تعالى.

قوله تعالى: "قل يا أيها الناس" الخ[٩].

---

[١] – أبو سعود ١٠٠/٦.

[٢] – الحج: ٢٥.

[٣] – التفسير الكبير ٢٣/٢٣.

[٤] – الحج: ٣٨.

[٥] – التفسير الكبير ٣٨/٢٣.

[٦] – الحج: ٤٣.

[٧] – أبو سعود ١١٠/٦.

[٨] – الحج: ٤٨.

[٩] – الحج: ٤٩.

قال المسكين: هذا بيان لعدم مدخليته عليه السلام في العذاب وإنما شأنه الإنذار فقط ثم بين حال الفريقين في قوله: "فالذين آمنوا وعملوا الصالحات" الخ.

قوله تعالى: "وما أرسلنا من قبلك" الخ[١].

قال المسكين: لما بين الله تعالى سعى الكفار في إبطال الآيات وكيدهم فيما قبل ذكر في هذه الآية كيد الشياطين فيه وما نسخه الله تعالى.

قوله تعالى: "والذين هاجروا" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر أن الملك له يوم القيامة وأنه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات اتبعه بذكر وعده الكريم للمهاجرين[٣].

قوله تعالى: "ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به" الخ[٤].

قال المسكين: ذكر فيما قبل كون المهاجر مقتولاً والآن ذكر حكم كونه قاتلاً وجارحاً ووعده بالنصر ثم ذكر قدرته على النصر بقوله: ذلك بأن الله يولج الليل الخ ثم ذكر اختصاصه بالقدرة بقوله: ذلك بأن الله هو الحق الخ.

قوله تعالى: "ألم تر أن الله أنزل" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما دل على قدرته من قبل بما ذكره من ولوج الليل في النهار ونبه به على نعمه اتبعه بأنواع آخر من الدلائل على قدرته ونعمته[٦].

قوله تعالى: "لكل أمة جعلنا" الخ[٧].

قال أبو السعود: كلام مستأنف جيئ به لزجر معاصريه عليه السلام من أهل الأديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع

---

[١] – الحج: ٥٢.

[٢] – الحج: ٥٨.

[٣] – التفسير الكبير ٢٣/٥٧.

[٤] – الحج: ٦٠.

[٥] – الحج: ٦٣.

[٦] – التفسير الكبير ٢٣/٦١.

[٧] – الحج: ٦٧.

وإظهار خطأهم في النظر[١].

قال المسكين: فكأنه قسيم لقوله في صدر السورة: ومن الناس من يجادل في الله بغير علم فكانت تلك المجادلة بغير علم وهذه بعلم لكن مع الخطأ.

قوله تعالى: "ويعبدونه من دون الله" الخ[٢].

قال أبو السعود: حكاية لبعض أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبني من دليل سمعي أو عقلي وإعراضهم عما ألقي عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد إعراض[٣].

قوله تعالى: "الله يصطفى من الملائكة" الخ[٤].

اعلم أنه سبحانه لما قدم ما يتعلق بالآلهيات ذكر ههنا ما يتعلق بالنبوات[٥].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اركعوا" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه لما تكلم في الآلهيات ثم في النبوات اتبعه بالكلام في الشرائع[٧].

---

[١] – أبو سعود ١١٨/٦.

[٢] – الحج: ٧١.

[٣] – أبو سعود ١١٩/٦.

[٤] – الحج: ٧٥.

[٥] – التفسير الكبير ٦٩/٢٣.

[٦] – الحج: ٧٧.

[٧] – التفسير الكبير ٧٣/٢٣.

سورة المؤمنين

كان في خاتمة السورة الأولى ذكر الشرائع من الأمر بالركوع والسجود والمجاهدة في الله وكذا في أول هذه السورة فارتبطتا[١].

قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان" الخ[٢].

اعلم أنه سبحانه لما أمر بالعبادات في الآية المتقدمة، والاشتغال بعبادة الله تعالى لا يصح إلا بعد معرفة الإله الخالق لا جرم عقبها بذكر ما يدل على وجوده، واتصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلائل أنواعاً. النوع الأول الاستدلال بتقلب الإنسان في أدوار الخلقة وأكوان الفطرة وهو قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان".

النوع الثاني من الدلائل الاستدلال بخلقه السموات وهو قوله تعالى: "ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات".

النوع الثالث بنزول الأمطار وكيفية تأثيراتها في النبات، وهو قوله تعالى: "وأنزلنا من السماء ماء" الخ.

النوع الرابع الاستدلال بأحوال الحيوانات وهو قوله تعالى: "وإن لكم في الأنعام" الخ.

واعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين دلائل التوحيد أردفها بالقصص كما هو العادة في سائر السور.

القصة الأولى قصة نوح عليه السلام[٣].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا نوحاً" الخ[٤].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – المؤمنون: ٢

[٣] – التفسير الكبير ٢٣/٨٣–٩٠.

[٤] – المؤمنون: ٢٣.

قال أبو السعود: شروع في بيان إهمال الأمم السالفة وتركهم النظر والاستدلال فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيراً للمخاطبين[١].

قال صاحب الكبير: القصة الثانية قصة هود أو صالح عليهما السلام قوله تعالى: "ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين"[٢].

القصة الثالثة قوله تعالى: "ثم أنشأنا من بعدهم قروناً آخرين" الخ[٣].

اعلم أنه سبحانه وتعالى يقص القصص في القرآن تارة على سبيل التفصيل كما تقدم وأخرى على سبيل الإجمال كههنا وقيل المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام[٤].

القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام قوله تعالى: "ثم أرسلنا موسى" الخ[٥].

القصة الخامسة قصة عيسى ومريم عليهما السلام قوله تعالى: "وجعلنا ابن مريم" الخ[٦].

قوله تعالى: "يا أيها الرسل" الخ[٧].

قال المسكين: لما أمر الله تعالى بالعبادة في صدر السورة ثم ذكر الآيات الدالة على القدرة والنعم وأيدها ببيان القصص بين ههنا أن الأمر بالعبادة وإفاضة النعم وترتب العبادة عليهما شرع قديم أمر به جميع الرسل.

قوله تعالى: "وإن هذه أمتكم أمة واحدة" الخ[٨].

---

[١] – أبو سعود ١٢٩/٦.

[٢] – التفسير الكبير ٩٦/٢٣.

[٣] – المؤمنون: ٤٢.

[٤] – التفسير الكبير ١٠٠/٢٣.

[٥] – التفسير الكبير ١٠١/٢٣، والمؤمنون:٤٥.

[٦] – التفسير الكبير ١٠٢/٢٣، والمؤمنون: ٥٠.

[٧] – المؤمنون: ٥١.

[٨] – المؤمنون: ٥٢.

المعنى أنه كما يجب اتفاقهم على أكل الحلال والأعمال الصالحة فكذلك هم متفقون على التوحيد وعلى الاتقاء من معصية الله تعالى[١].

قوله تعالى: "فتقطعوا أمرهم" الخ[٢].

قال أبو السعود: حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الأمر وشق العصا[٣].

قوله تعالى: "إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات إثر إقناط الكفار عنها وإبطال حسبانهم الكاذب[٥].

قوله تعالى: "لا نكلف نفساً إلا وسعها" الخ[٦].

قال أبو السعود: جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المودي إلى نيل الخيرات ببيان سهولته وقوله تعالى: ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب[٧].

قوله تعالى: "بل قلوبهم في غمرة" الخ[٨].

قال المسكين: تمهيد لبيان مؤاخذة الكفار المذكور في قوله تعالى: "حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب" إثر ذكر أعمالهم مع بيان عدم النصرة لهم.

قوله تعالى: "قد كانت آياتي تتلى عليكم" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٠٤/٢٣.

[٢] – المؤمنون: ٥٣.

[٣] – أبو سعود ١٣٩/٦.

[٤] – المؤمنون: ٥٧.

[٥] – أبو سعود ١٣٩/٦.

[٦] – المؤمنون: ٦٢.

[٧] – أبو سعود ١٤١/٦.

[٨] – المؤمنون: ٦٣.

[٩] – المؤمنون: ٦٦.

اعلم أنه سبحانه لما بين فيما قبل أنه لا ينصر أولئك الكفار اتبعه بعلة ذلك ثم إنه سبحانه لما وصف حالهم رد عليهم بأن بين أن إقدامهم على هذه الأمور لا بد وأن يكون لأحد أمور أربعة: أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى: أفلم يدبروا القول، وثانيها أن يعتقدوا أن مجيئ الرسل أمر على خلاف العادة وهو المراد من قوله: أم جاءهم مالم يأت، وثالثها أن لا يكونوا عالمين بديانته وحسن خصاله قبل ادعائه للنبوة وهو المراد من قوله: أم لم يعرفوا رسولهم، ورابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وهو المراد من قوله: أم يقولون به جنة ثم إنه سبحانه بعد أن عد هذه الوجوه ونبه على فسادها قال: بل جاءهم الخ[١].

قوله تعالى: "ولو اتبع الحق" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق إلا لعدم موافقته إياها مقتضية للطامة[٣].

قوله تعالى: "بل أتيناهم بذكرهم" الخ[٤].

قال أبو السعود انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم إلى تشنيعهم بالإعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها[٥].

في الكبير: ثم بين سبحانه أنه عليه السلام لا يطمع فيهم حتى يكون ذلك سبباً للنفرة فقال: أم تسألهم خرجاً[٦].

قوله تعالى: "وإنك لتدعوهم" الخ[٧].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه ببيان صحة ما جاء به

---

[١] – التفسير الكبير ٢٣/١١٠، ١١١.

[٢] – المؤمنون: ٧١.

[٣] – أبو سعود ٦/١٤٤.

[٤] – المؤمنون: ٧١.

[٥] – أبو السعود ٦/١٤٤.

[٦] – التفسير الكبير ٢٣/١١٢.

[٧] – المؤمنون: ٧٣.

الرسول صلى الله عليه وسلم[١].

قال المسكين: ثم بين عدولهم عن الصراط المستقيم وعلة عدولهم عنه بقوله تعالى: "وإن الذين لا يؤمنون" الخ ثم بين شدة عنادهم ولجاجهم بقوله: "ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم" الخ.

قوله تعالى: "ولقد أخذناهم بالعذاب" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية[٣].

قال المسكين: ثم بين استكانتهم إذا عاينوا عذاب الآخرة بقوله: "حتى إذا فتحنا عليهم" الخ.

قوله تعالى: "وهو الذي أنشأ لكم السمع" الخ[٤].

قال المسكين: عود إلى باب التوحيد والإنعام إثر بيان ما يتعلق بالنبوة.

قوله تعالى: "بل قالوا مثل ما قال الأولون" الخ[٥].

اعلم أنه سبحانه لما أوضح القول في دلائل التوحيد عقبه بذكر المعاد[٦].

قوله تعالى: "قل لمن الأرض" الخ[٧].

اعلم أنه يمكن أن يكون المقصود من هذه الآيات الرد على منكري الإعادة وأن يكون المقصود الرد على عبدة الأوثان[٨].

قوله تعالى: "ما اتخذ الله من ولد" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١١٣/٢٣.

[٢] – المؤمنون: ٧٦.

[٣] – أبو سعود ١٤٦/٦.

[٤] – المؤمنون: ٧٨.

[٥] – المؤمنون: ٨١.

[٦] – التفسير الكبير ١١٥/٢٣.

[٧] – المؤمنون: ٨٤.

[٨] – التفسير الكبير ١١٥/٢٣ و١١٦.

[٩] – المؤمنون: ٩١.

قال المسكين: ظاهره إثبات التوحيد وفيه إشارة إلى اختصاصه بالقدرة على البعث وعدم قدرة أحد على معارضته تعالى فيه.

قوله تعالى: "قل رب إما تريني" الخ[١].

قال أبو السعود: إيذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به ورد لإنكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به[٢].

قال المسكين: ثم أمره عليه السلام بما يعامل به الكفار في إنكارهم واستهزائهم بقوله: "ادفع بالتي هي أحسن".

قوله تعالى: "وقل رب أعوذ بك" الخ[٣].

اعلم أنه سبحانه لما أدب رسوله عليه السلام بقوله: ادفع بالتي هي أحسن اتبعه بما يقوي على ذلك[٤].

قوله تعالى: "حتى إذا جاء أحدهم الموت" الخ[٥].

قال المسكين: تتميم لذكر المعاد ووقته وأحواله وما يقع فيه إلى آخر السورة.

قوله تعالى: "ومن يدع مع الله" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه لما بين أنه هو الملك الحق لا إله إلا هو اتبعه بأن من ادعى إلهاً آخر فقد ادعى باطلاً من حيث لا برهان لهم فيه[٧].

قوله تعالى: "قل رب اغفر" الخ[٨].

---

[١] – المؤمنون: ٩٣.

[٢] – أبو سعود ١٤٩/٦.

[٣] – المؤمنون: ٩٧.

[٤] – التفسير الكبير ١١٨/٢٣.

[٥] – المؤمنون: ٩٩.

[٦] – المؤمنون: ١١٧.

[٧] – التفسير الكبير ١٣٨/٢٣.

[٨] – المؤمنون: ١١٨.

قال أبو السعود: بدأت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل: "وقل رب اغفر" الخ إيذاناً بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه[١].

[٦] – أبو السعود ١٥٤/٦.

سورة النور

انكر تعالى في خاتمة السورة المتقدمة على خلق الإنسان عبثاً مهملاً وبين في هذه السورة كون الإنسان مكلفا ببعض الأحكام، واستلزام التكليف عدم كون خلقه عبثاً بديهي[١].

قوله تعالى: "سورة أنزلناها" الخ[٢].

اعلم أنه سبحانه ذكر في هذه السورة أحكاماً كثيرة.

الحكم الأول قوله تعالى: "الزانية والزاني فاجلدوا" الخ.

الحكم الثاني قوله تعالى: "الزاني لا ينكح إلا زانية" الخ.

الحكم الثالث القذف قوله تعالى: "والذين يرمون المحصنات" الخ.

الحكم الرابع حكم اللعان قوله تعالى: "والذين يرمون أزواجهم" الخ.

الحكم الخامس قصة الإفك قوله تعالى: "إن الذين جاؤوا بالإفك" الخ.

الحكم السادس في الاستيذان قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا" الخ.

الحكم السابع حكم النظر قوله تعالى: قل للمؤمنين" الخ.

الحكم الثامن ما يتعلق بالنكاح قوله تعالى: "وأنكحوا الأيامى منكم" الخ.

الحكم التاسع في الكتابة قوله تعالى: "والذين يبتغون الكتاب" الخ.

الحكم العاشر الإكراه على الزنا قوله تعالى: "ولا تكرهوا فتياتكم" الخ[٣].

قوله تعالى: "ولقد أنزلنا إليكم" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مستأنف جيئ به في تضاعيف ما ورد من الآيات

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – النور: ١.

[٣] – التفسير الكبير ٢٣/١٣٠-٢٢٠.

[٤] – النور: ٣٤.

السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للإقبال على العمل بمضمونها[١].

قوله تعالى: "الله نور السموات" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الإشعار بكونه في غاية الكمال[٣].

قوله تعالى: "في بيوت أذن الله أن ترفع" الخ[٤].

قال أبو السعود: لما ذكر شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والأحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها واشيرالي كونه في غاية ما يكون من التوضيح والإظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشيرالي أن ذلك النور مع كونه في أقصى مراتب الظهور إنما يهتدي بهداه من تعلقت مشية الله تعالى بهدايته دون من عداه، عقب ذلك بذكر الفريقين وتصور بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه[٥].

قوله تعالى: "ألم تر أن الله يسبح له" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه لما وصف أنوار قلوب المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين اتبع ذلك بدلائل التوحيد[٧].

قال المسكين: وامتد هذا إلى قوله تعالى: "إن الله على كل شيء قدير" ثم عاد إلى وصف الآيات بقوله تعالى: "لقد أنزلنا آيات مبينات" الخ.

قوله تعالى: "ويقولون آمنا بالله" الخ[٨].

---

[١] – أبو سعود ١٧٤/٦.

[٢] – النور: ٣٥.

[٣] – أبو سعود ١٧٥/٦.

[٤] – النور: ٣٦.

[٥] – أبو سعود ١٧٨/٦.

[٦] – النور: ٤١.

[٧] – التفسير الكبير ٩/٢٤.

[٨] – النور: ٤٧.

قال أبو السعود: شروع في بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته إلى الصراط المستقيم قال الحسن: نزلت في المنافقين[١].

قوله تعالى: "إنما كان قول المؤمنين" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما حكي قول المنافقين وما قالوه اتبعه بذكر ما كان يجب أن يفعلوه وما يجب أن يسلكه المؤمنون[٣].

قوله تعالى: "وعد الله الذين آمنوا" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما في قوله تعالى: "وإن تطيعوه تهتدوا" من الوعد الكريم، معرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء، ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء (وهي التي ذكرت في قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة")[٥].

قوله تعالى: "لا تحسبن الذين كفروا" الخ[٦].

قال أبو السعود: لما بين حال من أطاعه عليه الصلاة والسلام وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه الصلاة والسلام ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلاً لأمر الترغيب والترهيب[٧].

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم" الخ[٨].

قال أبو السعود: رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب

---

[١] – أبو سعود ١٨٦/٦.

[٢] – النور: ٥١.

[٣] – التفسير الكبير ٢٢/٢٤.

[٤] – النور: ٥٥.

[٥] – أبو سعود ١٩٠/٦ وما بين القوسين في الهامش.

[٦] – النور: ٥٧.

[٧] – أبو سعود ١٩٢/٦.

[٨] – النور: ٥٨.

الامتثال بالأوامر والنواهي الواردة فيها وفي الأحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعيد[١].

قوله تعالى: "إنما المؤمنون الذين آمنوا" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف جيء به في أواخر الأحكام السابقة تقريراً لها وتاكيداً لوجوب مراعاتها وتكميلاً لها ببيان بعض آخر من جنسها[٣].

قوله تعالى: "لا تجعلوا دعاء الرسول" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لمضمون ما قبلها[٥].

---

[١] – أبو سعود ١٩٣/٦.

[٢] – النور: ٦٢.

[٣] – أبو سعود ٢٩٧/٦.

[٤] – النور: ٦٣.

[٥] – أبو سعود ١٩٨/٦.

سورة الفرقان

ختم السورة المتقدمة بذكر حقوق الرسول عليه الصلاة والسلام ووجوب إطاعته، كذلك أثبت رسالته بالدلائل وإزاحةِ الشبهات في مفتح هذه السورة فتناسبتا[١].

قوله تعالى: "تبارك الذي نزل الفرقان" الخ[٢].

اعلم أن الله سبحانه وتعالى تكلم في هذه السورة في التوحيد والنبوة وأحوال القيامة ثم ختمها بذكر صفات العباد المخلصين الموقنين ولما كان إثبات الصانع وإثبات صفات جلاله يجب أن يكون مقدماً على الكل لا جرم افتتح الله هذه السورة بذلك[٣].

قوله تعالى: "واتخذوا من دون الله آلهة" الخ[٤].

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما وصف نفسه بصفات الجلال والعزة والعلو أردف بتزئيف مذهب عبدة الأوثان[٥].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا" الخ[٦].

اعلم أنه سبحانه تكلم (أوّلاً) في التوحيد وثانيا في الرد على عبدة الأوثان وثالثا في هذه الآية: تكلم في مسألة النبوة وحكي سبحانه شبهتهم في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

الشبهة الأولى قولهم: "إن هذا إلا إفك" وإن الله تعالى: أجاب عن هذه الشبهة بقوله: "فقد جاءوا ظلماً وزوراً". الشبهة الثانية لهم قوله تعالى: "وقالوا أساطير الأولين" الخ. الشبهة الثالثة وهي في نهاية الركاكة ذكروا له صفات خمسة فزعموا أنها تخل

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الفرقان: ١.

[٣] – التفسير الكبير ٢٤/٤٤.

[٤] – الفرقان: ٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤/٤٨.

[٦] – الفرقان: ٤.

بالرسالة فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بوجوه أحدها قوله "انظر كيف ضربوا" الخ[١].

قوله تعالى: "تبارك الذي إن شاء جعل" الخ[٢].

اعلم أن هذا هو الجواب الثاني عن تلك الشبهة[٣].

قوله تعالى: "بل كذبوا بالساعة" الخ[٤].

هذا جواب ثالث عن تلك الشبهة كأنه سبحانه وتعالى قال ليس ما تعلقوا به شبهة علمية في نفس المسألة بل الذي حملهم على تكذيبك تكذيبهم بالساعة استثقالاً للاستعداد لها. ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يكذبون بالساعة فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً ولا يتحملون كلفة النظر والفكر فلهذا لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلائل[٥].

قوله تعالى: "قل أذلك خير" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما وصف حال العقاب المعد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يوكد الحسرة والندامة فقال لرسوله: "قل" الخ[٧].

قوله تعالى: "ويوم نحشرهم" الخ[٨].

اعلم أن قوله: "ويوم نحشرهم" راجع إلى قوله: "واتخذوا من دونه آلهة"[٩].

قوله تعالى: "وما أرسلنا قبلك" الخ[١٠].

هذا جواب عن قولهم: "ما لهذا الرسول يأكل الطعام" الخ[١١].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٤/٥٠-٥٤.

[٢] – الفرقان: ١٠.

[٣] – التفسير الكبير ٢٤/٥٣.

[٤] – الفرقان: ١١.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤/٥٤.

[٦] – الفرقان: ١٥.

[٧] – التفسير الكبير ٢٤/٥٧.

[٨] – الفرقان: ١٧.

[٩] – التفسير الكبير ٢٤/٦١.

[١٠] – الفرقان: ٢٠.

[١١] – التفسير الكبير ٢٤/٦٥.

قوله تعالى: "وجعلنا بعضكم لبعض" الخ[١].

صبره الله تعالى على كل تلك الأذية وبين أنه جعل الخلق بعضهم فتنة لبعض[٢].

قوله تعالى: "وقال الذين لا يرجون" الخ[٣].

اعلم أن قوله تعالى: وقال الذين الخ هو الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وحاصله لم لم ينزل الله الملائكة حتى يشهدوا أن محمداً محق في دعواه أو نرى ربنا حتى يخبرنا بأنه أرسله إلينا[٤].

قوله تعالى: "لقد استكبروا" الخ[٥].

اعلم أن هذا هو الجواب عن تلك الشبهة[٦].

قوله تعالى: "يوم يرون الملائكة" الخ[٧].

هو جواب لقولهم: لو لا أنزل علينا الملائكة فبين تعالى أن الذين سألوه سيوجد ولكنهم يلقون منه ما يكرهون[٨].

قوله تعالى: "وقدمنا إلى ما عملوا" الخ[٩].

قال المسكين: بيان لارتفاع أسباب النفع إثر بيان اجتماع أسباب الضرر.

قوله تعالى: "أصحاب الجنة يومئذ خير" الخ[١٠].

---

[١] – الفرقان: ٢٠.

[٢] – التفسير الكبير ٦٦/٢٤.

[٣] – الفرقان: ٢١.

[٤] – التفسير الكبير ٦٧/٢٤.

[٥]– الفرقان: ٢١.

[٦] – التفسير الكبير ٦٨/٢٤.

[٧] – الفرقان: ٢٢.

[٨] – التفسير الكبير ٧٠/٢٤.

[٩] – الفرقان: ٢٣.

[١٠] – الفرقان: ٢٤.

اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة التامة شرع وصف أهل الجنة تنبيهاً على أن الحظ كل الحظ في طاعة الله تعالى[١].

قوله تعالى: "يوم تشقق السماء" الخ[٢].

اعلم أن هذا الكلام مبني على ما استدعوه من إنزال الملائكة فبين سبحانه أنه يحصل ذلك في يوم له صفات[٣].

قوله تعالى: "وقال الرسول يا رب" الخ[٤].

اعلم أن الكفار لما أكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت ضاق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم وشكاهم إلى الله عزوجل وقال: يا رب الخ ثم إنه تعالى قال مسلياً لرسوله عليه الصلاة والسلام ومعزيا له: وكذلك جعلنا الخ[٥].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لو لا أنزل" الخ[٦].

اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[٧].

قوله تعالى: "ولا يأتونك" الخ[٨].

لما بين فساد قولهم بالجواب الواضح قال: ولا يأتونك بمثل من الجنس الذي تقدم ذكره من الشبهات إلا جئناك بالحق الذي يدفع قولهم[٩].

قوله تعالى: "الذين يحشرون" الخ[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٤/٧٢.

[٢] – الفرقان: ٢٥.

[٣] – التفسير الكبير ٢٤/٧٣.

[٤]– الفرقان: ٣٠.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤/٧٧.

[٦] – الفرقان: ٣٢.

[٧] – التفسير الكبير ٢٤/٧٨.

[٨] – الفرقان: ٣٣.

[٩] – التفسير الكبير ٢٤/٧٩.

[١٠] – الفرقان: ٣٤.

الأقرب أنه صفة للقوم الذين أوردوا هذه الأسئلة على سبيل التعنت وإن كان غيرهم من أهل النار يدخل معهم.

واعلم أنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد ونفي الأنداد وإثبات النبوة والجواب عن شبهات المنكرين لها وفي أحوال القيامة شرع في ذكر قصص على السنة المعلومة، القصة الأولى قوله تعالى: ولقد آتينا موسى[١].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما قال: "وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين" اتبعه بذكر جماعة من الأنبياء وعرفه بما نزل بمن كذب من أممهم[٣].

القصة الثانية قصة نوح عليه السلام قوله تعالى: "وقوم نوح" الخ[٤].

القصة الثالثة قوله تعالى: "وعادا وثمودا"[٥].

القصة الرابعة قوله تعالى: "ولقد أتوا على القرية" الخ[٦].

قوله تعالى: "وإذا رأوك" الخ[٧].

اعلم أنه سبحانه لما بين مبالغة المشركين في إنكار نبوته وفي إيراد الشبهات في ذلك بين بعد ذلك أنهم إذا رأوا الرسول اتخذوه هزواً فلم يقتصروا على ترك الإيمان به بل زادوا عليه بالاستهزاء والاستحقار[٨].

قوله تعالى: "وسوف يعلمون" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٤/٨٠.

[٢] – الفرقان: ٣٥.

[٣] – التفسير الكبير ٢٤/٨٠.

[٤] – التفسير الكبير ٢٤/٨٠، والفرقان: ٣٧.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤/٨١-٨٢، والفرقان: ٣٨.

[٦] – التفسير الكبير ٢٤/٨٣، والفرقان: ٤٠.

[٧] – الفرقان: ٤١.

[٨] – التفسير الكبير ٢٤/٨٤.

[٩] – الفرقان: ٤٢.

لما حكى عنهم هذا الكلام زيف طريقتهم في ذلك[١].

قوله تعالى: "ألم تر إلى ربك" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين جهل المعرضين عن دلائل الله تعالى وفساد طريقتهم في ذلك ذكر بعده أنواعاً من الدلائل الدالة على وجود الصانع[٣].

قال المسكين: وامتد هذا الاستدلال إلى قوله تعالى: وكان ربك قديراً وأشار في تضاعيفه إلى عموم بعثته عليه السلام بقوله: ولو شئنا لبعثنا ونهاه عليه السلام عن المداراة مع الكفار والتلطف في الدعوة في قوله: فلا تطع الكافرين مناسبة لقوله: فأبى أكثر الناس إلا كفوراً.

قوله تعالى: "ويعبدون من دون الله" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد إلى تهجين سيرتهم في عبادة الأوثان[٥].

قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا مبشرا" الخ[٦].

قال المسكين: لما زيف طريق الكفار أمر الرسول عليه السلام بدعوتهم إلى الحق وعدم الحزن إن لم يؤمنوا وبإعلامهم بإخلاص الدعوة وبالتوكل على الله تعالى فيما يعرض في الدعوة ثم لما أمره بأن يتوكل عليه وصف نفسه بأمور الحياة والعلم والقدرة والرحمة.

قوله تعالى: "وإذا قيل لهم اسجدوا" الخ[٧].

قال المسكين: لما ذكر أوصاف الكمال له تعالى ذكر جهالة الكفار في نفورهم

---

[١] – التفسير الكبير ٨٦/٢٤.

[٢] – الفرقان: ٤٥.

[٣] – التفسير الكبير ٨٨/٢٤.

[٤] – الفرقان: ٥٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٠١/٢٤.

[٦] – الفرقان: ٥٦.

[٧] – الفرقان: ٦٠.

عن عبادة من هو موصوف بتلك الأوصاف والكمالات.

قوله تعالى: "تبارك الذي جعل" الخ[١].

اعلم أنه سبحانه لما حكى عن الكفار مزيد النفرة عن السجود ذكر ما لو تفكروا فيه (لعرفوا)[٢] وجوب السجود والعبادة للرحمان فقال: "تبارك الذي جعل في السماء بروجاً" (عن ابن عباس رضي الله عنهما أن البروج هي الكواكب العظام)[٣].

قوله تعالى: "وعباد الرحمن" الخ[٤].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له[٥].

قوله تعالى: "قل ما يعبأ بكم" الخ[٦].

قال أبو السعود: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعم الجليلة التي يتنافس فيها المتنافسون إنما نالوها بما عدد من محاسنهم ولو لا ها لم يعتد بهم أصلاً (فالدعاء بمعنى العبادة)[٧].

قوله تعالى: فقد كذبتم" الخ[٨].

قال أبو السعود: بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم[٩].

---

[١] – الفرقان: ٦١.

[٢] – قال المؤلف في الهامش لعله: سقط ههنا لفظ من الناسخ وكان العبارة: لعلموا وجوب الخ ولم يذكر المؤلف اللفظ الساقط. أقول قول المؤلف بسقوط اللفظ من نسخته صواب واللفظ موجود في النسخة التي أحلنا إليها ولكنه لفظ: لعرفوا – كما حررنا وجعلناه بين القوسين.

[٣] – التفسير الكبير ١٠٦/٢٤ وما بين القوسين من هامش الكتاب.

[٤] – الفرقان: ٦٣.

[٥] – أبو سعود ٢٢٨/٦.

[٦] – الفرقان: ٧٧.

[٧] – أبو سعود ٢٣٢/٦ وما بين القوسين زيادة من المؤلف.

[٨] – الفرقان: ٧٧.

[٩] – أبو سعود ٢٣٢/٦.

سورة الشعراء

ذكر في خاتمة السورة المتقدمة الوعيد على التكذيب وذكر في هذه السورة تفصيل جزاء المكذبين السابقين[١].

قوله تعالى: "طسم تلك آيات الكتاب" الخ[٢].

لما ذكر الله تعالى أنه بين الأمور قال بعده: "لعلك باخع" منبها بذلك على أن الكتاب وإن بلغ في البيان كل غاية فغير مدخل لهم في الإيمان لما أنه سبق حكم الله بخلافه فلا تبالغ في الحزن والأسف على ذلك، ثم بين تعالى أنه قادر على أن ينزل آية يذلون عندها ويخضعون وقوله: "ما يأتيهم" الخ من تمام قوله: "إن نشأ ننزل عليهم" الخ فنبه تعالى على أنه مع قدرته على أن يجعلهم مؤمنين بالإلجاء رحيم بهم من حيث يأتيهم حالاً بعد حال بالقرآن وهو الذكر وهم مع ذلك على حد واحد في الإعراض والاستهزاء ثم عند ذلك زجر وتوعد فقال: "فقد كذبوا" ثم أنه تعالى بين أنه مع إنزاله القرآن حالاً بعد حال قد أظهر أدلة تحدث حالاً بعد حال فقال: أو لم يروا إلى الأرض الخ[٣].

قوله تعالى: "إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين" الخ[٤].

المعنى أن في ذلك دلالة لمن يتفكر ويتدبر ومع كل ذلك يستمر أكثرهم على كفرهم[٥].

قوله تعالى: "وإن ربك لهو العزيز الرحيم"[٦].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الشعراء: ١-٢.

[٣] – التفسير الكبير ٢٤/١١٩-١٢٠.

[٤] – الشعراء: ٨.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤/١٢٠.

[٦] – الشعراء: ٩.

والمراد أنهم مع كفرهم وقدرة الله تعالى على أن يجعل عقابهم لا يترك رحمتهم بما تقدم ذكره من خلق كل زوج كريم من النبات ثم من إعطاء الصحة والعقل والهداية[١].

قوله تعالى: "وإذ نادى ربك" ألخ[٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من إعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها إثر بيان إعراضهم عما يشاهدون من الآيات التكوينية.

وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه السلام أي واذكر لأولئك المعرضين المكذبين زجراً لهم عما هم عليه من التكذيب، وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم المكذبين الظالمين[٣].

في الكبير: القصة الثانية قصة إبراهيم عليه السلام[٤]:

قوله تعالى: "واتل عليهم" الخ[٥].

القصة الثالثة قصة نوح عليه السلام قوله تعالى: "كذبت قوم نوح" الخ[٦].

القصة الرابعة قصة هود عليه السلام قوله تعالى: "كذبت عاد" الخ[٧].

القصة الخامسة قصة صالح عليه السلام قوله تعالى: "كذبت ثمود" الخ[٨].

القصة السادسة قصة لوط عليه السلام قوله تعالى: "كذبت قوم لوط" الخ[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٢٠/٢٤.

[٢] – الشعراء: ١٠.

[٣] – أبو سعود ٢٣٥/٦.

[٤] – التفسير الكبير ١٤١/٢٤.

[٥] – الشعراء: ٦٩، التفسير الكبير ١٤١/٢٤.

[٦] – الشعراء: ٨٥، التفسير الكبير ١٥٣/٢٤.

[٧] – الشعراء: ١٢٣، التفسير الكبير ١٥٦/٢٤.

[٨] – الشعراء: ١٤١، التفسير الكبير ١٥٨/٢٤.

[٩] – الشعراء: ١٦٠، التفسير الكبير ١٦٠/٢٤.

القصة السابعة قصة شعيب عليه السلام قوله تعالى: "كذب أصحاب الأيكة" الخ[١].

القول فيما ذكره الله تعالى من أحوال محمد عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: "وإنه لتنزيل" الخ[٢].

قال المسكين: هذا عود إلى ما ذكر في صدر السورة من حقية الكتاب المبين ونبوته عليه السلام وتمهد هذا إلى آخر السورة وذكر في تضاعيفها جهلهم وعنادهم وأمره عليه السلام بالتبليغ وعدم الاهتمام بكيدهم وشرهم وأجاب عن شبهاتهم الواهية وختم السورة بالتهديد العظيم لمن أنكر بعد وضوح الحجة.

---

[١] – الشعراء: ١٧٦، التفسير الكبير ١٦٢/٢٤.

[٢] – الشعراء: ١٩٢، التفسير الكبير ١٦٥/٢٤.

سورة النمل

بين حقية القرآن في فاتحة وخاتمة ما قبلها فحصلت المناسبة[١].

قال المسكين: افتتح الله هذه السورة بحقية القرآن وإيمان السعداء به وإنكار الأشقياء له ومآل كل من الفريقين.

قوله تعالى: "وإنك لتلقى" الخ[٢].

هذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص[٣].

واعلم أن الله تعالى ذكر في هذه السورة أنواعاً من القصص.

القصة الأولى قصة موسى عليه السلام قوله: "إذ قال موسى" الخ.

القصة الثانية قصة داؤد وسليمان عليهما السلام قوله تعالى: "ولقد آتينا داؤد" الخ.

القصة الثالثة قصة صالح عليه السلام قوله تعالى: "ولقد أرسلنا إلى ثمود" الخ.

القصة الرابعة قصة لوط عليه السلام قوله تعالى: "ولوطاً إذ قال لقومه" الخ[٤].

القول في خطاب الله تعالى مع محمد صلى الله عليه وسلم[٥].

قوله تعالى: قل الحمد لله" الخ[٦].

قال المسكين: لما فرغ من ذكر القصص بدأ في التوحيد وإثباته بالدلائل وإبطال الشرك فالمقصود هو قوله تعالى: "آلله خير أما يشركون" الخ.

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – النمل: ٦.

[٣] – التفسير الكبير ١٨٠/٢٤.

[٤] – التفسير الكبير ١٨١/٢٤–٢٠٤.

[٥] – التفسير الكبير ٢٠٥/٢٤.

[٦] – النمل: ٥٩.

وأما قوله: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى" فهو كالخطبة المقدمة على المقصود توطئة وتبركاً.

قوله تعالى: "قل لا يعلم من في السموات" الخ[١].

قال أبو السعود: بعد ما حقق تفرده تعالى بالألوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلاً لما قبله وتمهيداً لما بعده من أمر البعث[٢].

قوله تعالى: "بل إدراك علمهم" الخ[٣].

قال أبو السعود: لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تاكيده وتقريره[٤].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا" الخ[٥].

قال أبو السعود: بيان لجهلهم بالآخرة وعملهم منها بحكاية إنكارهم للبعث[٦].

قوله تعالى: "قل سيروا في الأرض" الخ[٧].

قال المسكين: أمر صلى الله عليه وسلم بتهديدهم على التكذيب.

قوله تعالى: "ولا تحزن عليهم" الخ[٨].

قال المسكين: هذا تسلية له عليه الصلاة والسلام.

قوله تعالى: "ويقولون متى هذا الوعد" الخ[٩].

---

[١] – النمل: ٦٥.

[٢] – أبو سعود ٢٩٦/٦.

[٣] – النمل: ٦٦.

[٤] – أبو سعود ٢٩٦/٦.

[٥] – النمل: ٦٧.

[٦] – أبو سعود ٢٩٧/٦.

[٧] – النمل: ٦٩.

[٨] – النمل: ٧٠.

[٩] – النمل: ٧١.

قال المسكين: عود إلى إنكارهم للبعث بنهج آخر ثم أجاب عنه بوعدهم ببعض ما استعجلوه في قوله: قل عسى أن يكون الخ.

ثم بين سبب تأخر العذاب الأكبر بقوله: وإن ربك لذو فضل الخ.

ثم أشار إلى أن لهم قبائح غير ما يظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل في قوله: وإن ربك ليعلم ما تكن الخ.

ثم أشار إلى أن قبائحهم كما هي معلومة له تعالى كذا هي مثبتة مع الأشياء الآخر في اللوح المحفوظ في قوله: وما من غائبة في السماء الخ.

ثم بين فضائل القرآن العظيم المشتمل على هذه الأمور المهمة النافعة في قوله: إن هذا القرآن الخ.

ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن قضائهم موكول إلى الله تعالى فلا تهتم بهم إن كذبوك ولا تخفهم إن عاندوك بل توكل على الله ولا تحزن إن لم يؤمنوا لأنهم كالموتى والصم والعمى في قوله تعالى: "إن ربك يقضي – إلى قوله – فهم مسلمون فكل هذا متعلق بالنبوة ثم عاد إلى المعاد فقال:

"وإذا وقع القول عليهم" الخ[١].

قال أبو السعود: بيان لما أشير إليه بقوله تعالى: "بعض الذي تستعجلون – من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها[٢].

قوله تعالى: "ويوم نحشر من كل أمة" الخ[٣].

قال أبو السعود: بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها[٤].

قوله تعالى: "ألم يروا أنا جعلنا الليل" الخ[٥].

---

[١] – النمل: ٨٢.

[٢] – أبو سعود ٣٠٠/٦.

[٣] – النمل: ٨٣.

[٤] – أبو سعود ٣٠٢/٦.

[٥] – النمل: ٨٦.

قال المسكين آخذا من أبي السعود: هذا دليل لصحة البعث والنموذج له، يستدل به عليها فإن من تأمل في تعاقب الليل والنهار وشاهد من الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهي للحيوة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو أخو الموت بالانتباه الذي هو مثل الحيوة قضى بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور[١].

قوله تعالى: "ويوم ينفخ" الخ[٢].

اعلم أن هذا هو العلامة الثانية لقيام القيامة (وكانت الأولى خروج الدابة من الأرض)[٣].

قوله تعالى: "وترى الجبال" الخ[٤].

اعلم أن هذا هو العلامة الثالثة لقيام القيامة[٥].

قوله تعالى: "من جاء بالحسنة" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في علامات القيامة شرح بعد ذلك أحوال المكلفين بعد قيام القيامة[٧].

قوله تعالى: "إنما أمرت أن أعبد" الخ[٨].

قال أبو السعود: أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم أحوال المبدء والمعاد وشرح أحوال القيامة تنبيهاً على أنه قد أتم أمر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة الله

---

[١] – أبو سعود ٣٠٣/٦.

[٢] – النمل: ٨٧.

[٣] – التفسير الكبير ٢١٩/٢٤ وما بين القوسين في الهامش.

[٤] – النمل: ٨٨.

[٥] – التفسير الكبير ٢٢٠/٢٤.

[٦] – النمل: ٨٩.

[٧] – التفسير الكبير ٢٢١/٢٤.

[٨] – النمل: ٩١.

عزوجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا، أصلحوا أو أفسدوا[١].

قوله تعالى: "وقل الحمد لله سيريكم" الخ[٢].

إنه سبحانه ختم هذه الخاتمة في نهاية الحسن وهي قوله: وقل الحمد لله على ما أعطاني من نعمة العلم والحكمة والنبوة أو على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة وبالإنذار سيريكم آياته القاهرة فتعرفونها لكن حين لا ينفعكم الإيمان وما ربك بغافل عما تعملون لأنه من وراء جزاء العاملين[٣].

---

[١] – أبو سعود ٣٠٦/٦.

[٢] – النمل: ٩٣.

[٣] – التفسير الكبير ٢٢٣/٢٤.

سورة القصص

في خاتمة السورة السابقة لما تمم الحجة على الكفار بقوله "ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين" بين في هذه حال من ضل كفرعون ومن أنذر كموسى عليه السلام[١].

قوله تعالى: "إن فرعون علا" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود[٣].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى الكتاب" الخ[٤].

قال أبو السعود: والتعرض لبيان كون إيتائها بعد إهلاكهم للإشعار بمساس الحاجة المراعية إليه تمهيداً لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية إلى إنزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات إندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المودين إلى اختلال نظام العالم وفساد أحوال الأمم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الأصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الأمم الخالية الموجبة للاعتبار[٥].

قوله تعالى: "وما كنت بجانب الغربي" الخ[٦].

قال أبو السعود: شروع في بيان أن إنزال القرآن الكريم أيضاً واقع في زمان شدة مساس الحاجة إليه واقتضاء الحكمة له البتة[٧].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – القصص: ٤.

[٣] – أبو سعود ٢/٧.

[٤] – القصص: ٤٣.

[٥] – أبو سعود ١٥/٧.

[٦] – القصص: ٤٤.

[٧] – أبو سعود ١٥/٧.

قوله تعالى: "ولو لا أن تصيبهم" الخ[١].

قال المسكين: هذا تعليل للإرسال أي أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية[٢].

قوله تعالى: "فلما جاءهم الحق" الخ[٣].

قال المسكين: من ههنا إلى قوله تعالى: ضل عنهم ما كانوا يفترون تهجين طريقة المشركين في أقوالهم وعقائدهم وبيان شبهاتهم والجواب عنها وتهديد بتذكير حال من قبلهم وبما يرون يوم القيامة وإثبات توحيده تعالى وعدم إغناء آلهتهم عنهم شيئاً فهذا كله كلام واحد متداخل بعضه في بعض ثم ذكر تعالى قصة قارون كالتفسير لإجمال قوله تعالى: "كم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها" الخ تنبيها على أن متاع الحياة الدنيا وزينتها لا ينبغي الاغترار به فإن ما عند الله خير وأبقى ثم ختم القصة ببيان من يصلح للدار الآخرة بقوله: تلك الدار الآخرة نجعلها الخ ثم ذكر القول الكلي لبيان جزاء طالب الدنيا وطالب الآخرة بقوله: من جاء بالحسنة الخ.

ثم لما ختم تفصيل أحوال الكفار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهتمام واغتمام من أمرهم كما يدل عليه قوله تعالى: إنك لا تهدي من أحببت خاطب عليه السلام ليقوى قلبه ببعض البشارات وذكر بعض الامتنانات وأمره بالاستقامة على الحق وعدم المبالاة بالكفار والثبات على الدعوة وتفويض الحكم إليه تعالى إذا رجع الكل إليه كل هذا مذكور في قوله تعالى: إن الذي فرض عليك القرآن إلى آخر السورة ولله الحمد.

---

[١] – القصص: ٤٧.

[٢] – ذكره المؤلف من عند نفسه وقوله: أي أرسلناك الخ موجود في ابي سعود ١٧/٧.

[٣] – القصص: ٤٨.

سورة العنكبوت

وجه تعلق السورتين مذكور في المتن[١].

قوله تعالى: "الم أحسب الناس" الخ[٢].

الوجه في تعلق أول هذه السورة بما قبلها هو أنه تعالى لما قال في آخر السورة المتقدمة: وادع إلى ربك وكان في الدعاء إليه الطعان والحراب والضراب لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا مأمورين بالجهاد إن لم يؤمن الكفار بمجرد الدعاء فشق على البعض ذلك فقال: احسب الناس أن يتركوا الخ[٣].

قوله تعالى: "ولقد فتنا الذين من قبلهم" الخ[٤].

ذكر الله ما يوجب تسليتهم فقال كذلك فعل الله بمن قبلهم ولم يتركهم بمجرد قولهم آمناً بل فرض عليهم الطاعات وأوجب عليهم العبادات[٥].

قوله تعالى: "أم حسب الذين" الخ[٦].

لما بين حسن التكليف بقوله: "أحسب الناس" بين أن من كلف بشيء ولم يأت به يعذب وإن لم يعذب في الحال فيعذب في الاستقبال ولا يفوت الله شيء في الحال ولا في المال[٧].

قوله تعالى: "من كان يرجو" الخ[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – العنكبوت: ٢.

[٣] – التفسير الكبير ٢٥/٢٥.

[٤] – العنكبوت: ٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢٩/٢٥.

[٦] – العنكبوت: ٧.

[٧] – التفسير الكبير ٣٠/٢٥.

[٨] – العنكبوت: ٥.

لما بين بقوله: "أحسب الناس" أن العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله: أم حسب الذين يعملون السيئات أن من ترك ما كلف به يعذب كذا بين أن من يعترف بالآخرة ويعمل لا يضيع عمله ولا يخيب أمله[١].

قوله تعالى: "ومن جاهد" الخ[٢].

لما بين أن التكليف حسن واقع وإن عليه وعداً وإيعاداً ليس لهما دافع، بين أن طلب الله ذلك من المكلف ليس لنفع يعود إليه فإنه غني مطلقاً[٣].

قوله تعالى: "والذين آمنوا" الخ[٤].

لما بين إجمالاً أن من يعمل صالحاً فلنفسه بين مفصلاً بعض التفصيل جزاء المطيع الصالح عمله[٥].

قوله تعالى: "ووصينا الإنسان" الخ[٦].

لما بين الله حسن التكاليف ووقوعها وبين ثواب من حقق التكاليف وأصولها وفروعها تحريضاً للمكلف على الطاعة ذكر المانع ومنعه من أن يختار اتباعه فقال: الإنسان إن إنقاد لأحد ينبغي أن ينقاد لأبويه، ومع هذا لو أمراه بالمعصية لا يجوز اتباعهما فضلاً عن غيرهما فلا يمنعن أحدكم شيئ من طاعة الله ولا يتبعن أحد من يأمر بمعصية الله[٧].

قوله تعالى: "والذين آمنوا وعملوا" الخ[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٥/٣٠.

[٢] – العنكبوت: ٧.

[٣] – التفسير الكبير ٢٥/٣١.

[٤] – العنكبوت: ٧.

[٥] – التفسير الكبير ٢٥/٣٣.

[٦] – العنكبوت: ٤.

[٧] – التفسير الكبير ٢٥/٣٥.

[٨] – العنكبوت: ٩.

قال المسكين: أعاده لأن ما قبله كان بياناً لحالتهم الحقيقية وهذا بيان لحالتهم الإضافية.

قوله تعالى: "ومن الناس من يقول" الخ[١].

نقول: أقسام المكلفين ثلاثة مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده، وكافر مجاهر بكفره وعناده، مذبذب بينهما يظهر الإيمان بلسانه ويضمر الكفر في فؤاده.

والله تعالى لما بين القسمين بقوله تعالى: "فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين" وبين أحوالهما بقوله: "ام حسب الذين يعملون السيئات – إلى قوله – والذين آمنوا وعملوا الصالحات" بين القسم الثالث وقال: ومن الناس من يقول آمنا بالله[٢].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا للذين آمنوا" الخ[٣].

قال أبو السعود: بيان لحملهم المؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم بالأذية والوعيد[٤].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا نوحاً" الخ[٥].

إن الله تعالى لما بين التكليف وذكر أقسام المكلفين ووعد المؤمن الصادق بالثواب العظيم ووعد الكافر والمنافق بالعذاب الأليم وكان قد ذكر أن هذا التكليف ليس مختصاً بالنبي وأصحابه وأمته حتى صعب عليهم ذلك بل قبله كان كذلك كما قال تعالى: ولقد فتنا الذين من قبلهم، ذكر من جملة من كلف جماعة منهم نوح النبي عليه السلام وقومه ومنهم إبراهيم عليه السلام وغيرهما[٦].

قوله تعالى: "مثل الذين اتخذوا" الخ[٧].

---

[١] – العنكبوت: ١٠.

[٢] – التفسير الكبير ٣٧/٢٥.

[٣] – العنكبوت: ١٢.

[٤] – أبو سعود ٣٢/٧.

[٥] – العنكبوت: ١٤.

[٦] – التفسير الكبير ٤١/٢٥.

[٧] – العنكبوت: ٤١.

لما بين الله تعالى أنه أهلك من أشرك عاجلاً وعذب من كذب آجلاً ولم ينفعه في الدارين معبوده ولم يدفع ذلك عنه ركوعه وسجوده مثَّل اتخاذه ذلك معبوداً باتخاذ العنكبوت بيتا لا يجير آوياً ولا يريح ثاوياً[١].

قال المسكين: ثم قرر أمر التوحيد ببيان ضعف ما يدعون من دونه وبلاغة المثل المذكور وأضرابه وكونه تعالى خالقاً ثم قال: إن في ذلك لآية للمؤمنين أي دليلاً على التوحيد.

قوله تعالى: اتل ما أوحي إليك" الخ[٢].

يعني إن كنت (تأسف) على كفرهم فاتل ما أوحي إليك لتعلم أن نوحاً ولوطاً وغيرهما كانوا على ما أنت عليه، بلغوا الرسالة وبالغوا في إقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة والجهالة[٣].

قوله تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب" الخ[٤].

لما بين الله طريقة إرشاد المشركين ونفع من انتفع وحصل اليأس ممن امتنع بين طريقة إرشاد أهل الكتاب ثم بعد ذلك ذكر دليلاً قياسياً فقال: وكذلك أنزلنا إليك الكتاب يعني كما أنزلنا على من تقدمك أنزلنا إليك وهذا قياس[٥].

قوله تعالى: "وما كنت تتلو من قبله" الخ[٦].

هذا المبحث في الأجوبة عن الشبهات في النبوة من اقتراحهم الآيات

---

[١] – التفسير الكبير ٦٧/٢٥.

[٢] – العنكبوت: ٤٥.

[٣] – التفسير الكبير ٧١/٢٥ وما بين القوسين من لفظ "تأسف" زيد من الكبير وقد جاء في الهامش من قول المصحح: لعله ساقط ههنا لفظ: حزينا أو نحوه لكن في النسخة التي بين أيدينا ما يوجد سقط بل اللفظ المناسب موجود وهو الذي ذكرناه.

[٤] – العنكبوت: ٤٦.

[٥] – التفسير الكبير ٧٥/٢٥.

[٦] – العنكبوت: ٤٨.

واستعجال العذاب إن كان نبياً ونحوهما وامتد هذا إلى قوله: ذوقوا ما كنتم تعملون[١].

قوله تعالى: يا عبادي الذين آمنوا" الخ[٢].

قال المسكين: بيان لأمر الهجرة إثر بيان عناد الكفار المفضي إليها غالباً.

قوله تعالى: "كل نفس ذائقة الموت" الخ[٣].

لما أمر الله تعالى المؤمنين بالمهاجرة صعب عليهم ترك الأوطان ومفارقة الإخوان فقال لهم إن ما تكرهون لا بد من وقوعه فإن كل نفس ذائقة الموت والموت مفرق الأحباب فالأولى أن يكون ذلك في سبيل الله فيجازيكم عليه فإن إلى الله مرجعكم[٤].

قوله تعالى: "والذين آمنوا وعملوا الصالحات" الخ[٥].

بين ما يكون للمؤمنين وقت الرجوع إليه[٦].

قوله تعالى: "وكأين من دابة" الخ[٧].

قال أبو السعود: روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة[٨].

قوله تعالى: "ولئن سألتهم" الخ[٩].

قال المسكين: عود إلى تقرير التوحيد الذي كان مذكوراً في قوله تعالى: "مثل

---

[١] – لم أجده في التفسير الكبير ولا في أبي السعود ولم ينسبه إلى نفسه المؤلف والمتقدم ليس من قوله.

[٢] – العنكبوت: ٥٦.

[٣] – العنكبوت: ٥٧.

[٤] – التفسير الكبير ٨٤/٢٥.

[٥] – العنكبوت: ٥٨.

[٦] – التفسير الكبير ٨٥/٢٥.

[٧] – العنكبوت: ٦٠.

[٨] – أبو سعود ٤٦/٧.

[٩] – العنكبوت: ٦١.

الذين اتخذوا" الخ بإثبات الخالقية والرازقية وغيرهما له تعالى ثم حقر شأن الدنيا المانعة لهم عن الإقبال على الآخرة بالإيمان بالله ورسوله مع اعترافهم بالتوحيد وقت السؤال في قوله: "وما هذه الحياة الدنيا" الخ ثم أشار إلى عودهم إلى الفطرة الأصلية التي تقتضي التوحيد إذا زال المانع من الركون إلى الزخارف والشهوات وقت ركوبهم في الفلك بقوله: "فإذا ركبوا في الفلك" الخ ثم ذكر لهم نعمة عظيمة من أمنهم في الحرم تحملهم على الإيمان في قوله: "أولم يروا أنا جعلنا حرما" الخ.

قوله تعالى: "ومن أظلم ممن افترى" الخ[١].

لما بين الله الأمور على الوجه المذكور ولم يؤمن به أحد بين أنهم أظلم من يكون[٢].

قوله تعالى: "والذين جاهدوا فينا" الخ[٣].

قال المسكين: كأنه قسيم لقوله تعالى: "من أظلم ممن افترى" أي حال العاصي ذلك وحال المطيع هذا والله أعلم.

---

[١] – العنكبوت: ٦٨.

[٢] – التفسير الكبير ٩٣/٢٥.

[٣] – العنكبوت: ٦٩.

سورة الروم

لما كان المذكور في خاتمة ما قبلها حال العاصي والمطيع من حيث إن أحدهما ظالم مستحق لجهنم والآخر مهتد مستحق لمعيته تعالى بين في فاتحة هذه السورة حالهما بوجه آخر من حيث كون أحدهما غالبا والآخر مغلوباً كما أفصح عنه قوله تعالى: "ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله"[١].

قوله تعالى: "أو لم يتفكروا" الخ[٢].

قال أبو السعود: إنكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة الخ[٣].

قوله تعالى: "أولم يسيروا في الأرض" الخ[٤].

قال أبو السعود: توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم[٥].

قوله تعالى: "الله يبدأ الخلق" الخ[٦].

قال المسكين: كان ما ذكر من قوله: "أولم يسيروا" الخ دليلاً ونموذجاً بوقوع الآخرة وهذا دعوى وقوعها وما يكون فيها من أحوال المؤمنين والكفار.

قوله تعالى: "فسبحان الله" الخ[٧].

قال أبو السعود: إثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الروم: ٨.

[٣] – أبو سعود ٥١/٧.

[٤] – الروم: ٩.

[٥] – أبو سعود ٥٢/٧.

[٦] – الروم: ١١.

[٧] – الروم: ١٧.

والكافرين المكذبين بالآيات ومالهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي من الثاني ويفضي إلى الأول من تنزيه الله عزوجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام[١].

قوله تعالى: "يخرج الحي من الميت" الخ[٢].

قال المسكين: بيان لبعض أعاجيب قدرته تعالى ليدل على استحقاقه للحمد وليدل على صحة البعث التي فيها الكلام ههنا ثم ذكر الآيات الدالة على البعث إلى قوله "وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم".

قوله تعالى: "ضرب لكم مثلاً" الخ[٣].

لما بين الإعادة والقدرة عليها بالمثل بعد الدليل بين الوحدانية أيضاً بالمثل بعد الدليل[٤].

قوله تعالى: "وإذا مس" الخ[٥].

لما بين التوحيد بالدليل وبالمثل بين أن لهم حالة يعرفون بها وإن كانوا ينكرونها في وقت وهي حالة الشدة[٦].

قوله تعالى: "أم أنزلنا عليهم سلطاناً" الخ[٧].

لما سبق قوله تعالى: "بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم" حقق ذلك بالاستفهام بمعنى الإنكار[٨].

---

[١] – أبو سعود ٥٤/٧.

[٢] – الروم: ١٩.

[٣] – الروم: ٢٨.

[٤] – التفسير الكبير ١١٨/٢٥.

[٥] – الروم: ٣٣.

[٦] – التفسير الكبير ١٢١/٢٥.

[٧] – الروم: ٣٥.

[٨] – التفسير الكبير ١٢٢/٢٥.

قوله تعالى: "وإذا أذقنا الناس رحمة" الخ[١].

قال المسكين: بيان لآثار التوحيد المتزلزل الذي كان في المشركين ثم بين قصور نظرهم في قوله: "أو لم يروا" الخ ببيان كون كل من الأحوال من الله تعالى فيجب أن يرجع إليه في كل حال ثم ذكر علامات اعتقاد كون الرزق من الله تعالى الذي يجب أن يتصف به المؤمنون من إيتاء أهل الحقوق حقوقهم الدال على كمال التوكل وعدم الخشية من الإقلال ونهاهم عن الحرص والطمع وطلب الزيادة في قوله: "فآت ذا القربى حقه" إلى قوله: "أولئك هم المضعفون".

قوله تعالى: "الله الذي خلقكم" الخ[٢].

قال المسكين: عود إلى مسألة التوحيد والحشر.

قوله تعالى: "ظهر الفساد" الخ[٣].

وجه تعلق هذه الآية بما قبلها هو أن الشرك سبب الفساد[٤].

قوله تعالى: "قل سيروا في الأرض" الخ[٥].

لما بين حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب فساد أقوالهم بين لهم هلاك أمثالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأفعالهم[٦].

قوله تعالى: "فأقم وجهك" الخ[٧].

قال المسكين: أمر بالتوحيد مع الوعيد من إتيان القيامة وفصل الأمور فيها.

قوله تعالى: "ومن آياته أن يرسل" الخ[٨].

---

[١] – الروم: ٣٦.

[٢] – الروم: ٤٠.

[٣] – الروم: ٤١.

[٤] – التفسير الكبير ١٢٧/٢٥.

[٥] – الروم: ٤٢.

[٦] – التفسير الكبير ١٢٨/٢٥.

[٧] – الروم: ٤٣.

[٨] – الروم: ٤٦.

قال المسكين: إقامة لدلائل التوحيد والبعث.

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا من قبلك" الخ[١].

قال أبو السعود: لعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لإنذار الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال بواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى: "لعلكم تشكرون" بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بإرسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الأمم من الانتقام[٢].

قوله تعالى: "الله الذي يرسل" الخ[٣].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح[٤].

قوله تعالى: "ولئن أرسلنا" الخ[٥].

لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مبلسين آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريح مصفر لكفروا فهم منقلبون غير ثابتين لنظرهم إلى الحال لا إلى المآل[٦].

قوله تعالى: "فإنك لا تسمع الموتى" الخ[٧].

لما علم تعالى رسوله أنواع الأدلة وأصناف الأمثلة ووعد وأوعد ولم يزدهم دعائه إلا فرارا قال له: فإنك لا تسمع الخ[٨].

---

[١] – الروم: ٤٧.

٢– أبو سعود ٦٤/٧.

[٣] – الروم: ٤٨.

[٤] – أبو سعود ٦٤/٧.

[٥] – الروم: ٥١.

[٦] – التفسير الكبير ١٣٤/٢٥.

[٧] – الروم: ٥٢.

[٨] – التفسير الكبير ١٣٤/٢٥، ١٣٥.

قوله تعالى: "الله الذي خلقكم" الخ[١].

لما أعاد من الدلائل التي مضت دليلاً من الآفاق وهو قوله: "الله الذي يرسل الرياح" وذكر أحوال الريح من أوله إلى آخره أعاد دليلاً من دلائل الأنفس وهو خلق الآدمي وذكر أحواله فقال: "خلقكم من ضعف" الخ[٢].

قوله تعالى: "ويوم تقوم الساعة" الخ[٣].

قال المسكين: تصريح بالمطلوب من إثبات الحشر بعد المقدمة من بيان الدليل.

قوله تعالى: "ولقد ضربنا للناس" الخ[٤].

إشارة إلى إزالة الأعذار والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار وإلى أنه لم يبق من جانب الرسول تقصير فإن طلبوا شيئاً آخر فذلك عناد ثم بين تعالى أن ذلك بطبع الله على قلوبهم بقوله: كذلك يطبع الله ثم أنه تعالى سلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "فاصبر" الخ[٥].

---

[٩] – الروم: ٥٤.

[١] – التفسير الكبير ١٣٦/٢٥.

[٢] – الروم: ٥٥.

[٣] – الروم: ٥٨.

[٤] – التفسير الكبير ١٣٧/٢٥ و١٣٨.

سورة لقمان عليه السلام

وجه الارتباط بين السورتين مذكور في المتن[١].

قوله تعالى: الم تلك آيات الكتاب الحكيم" الخ[٢].

وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر ما قبلها هو أن الله تعالى لما قال: "ولقد ضربنا للناس" الخ إشارة إلى كونه معجزة وقال: "ولئن جئتهم بآية" إشارة إلى أنهم يكفرون بالآيات، بين ذلك "الم تلك آيات الكتاب الحكيم" أي هذه آيات ولم يؤمنوا بها وإلى هذا أشار بعد هذا بقوله: "وإذا تتلى" الخ[٣].

قوله تعالى: "ومن الناس من يشتري" الخ[٤].

لما بين أن القرآن كتاب حكيم يشتمل على آيات حكيمة بين من حال الكفار أنهم يتركون ذلك ويشتغلون بغيره[٥].

قوله تعالى: "إن الذين آمنوا" الخ[٦].

لما بين حال من إذا تتلى عليه الآيات ولي، بين حال من يقبل على تلك الآيات ويقبلها[٧].

قوله تعالى: "خلق السموات بغير عمد" الخ[٨].

قال أبو السعود: استيناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – لقمان: ٢.

[٣] – التفسير الكبير ١٣٩/٢٥.

[٤] – لقمان: ٦.

[٥] – التفسير الكبير ١٤٠/٢٥.

[٦] – لقمان: ٨.

[٧] – التفسير الكبير ١٤٢/٢٥.

[٨] – لقمان: ١٠.

التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله[١].

قوله تعالى: "ولقد آتينا لقمان" الخ[٢].

قال أبو السعود: كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك[٣].

قوله تعالى: "يا بني إنها إن تك" الخ[٤].

قال أبو السعود: شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض[٥].

قوله تعالى: "ألم تروا أن الله سخر" الخ[٦].

قال أبو السعود: رجوع إلى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على إصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد[٧].

قوله تعالى: "ومن يسلم وجهه" الخ[٨].

لما بين حال المشرك والمجادل في الله بين حال المسلم المستسلم لأمر الله[٩].

قوله تعالى: "ومن كفر فلا يحزنك" الخ[١٠].

قال المسكين: هذا تسلية للنبي عليه السلام.

---

[١] – أبو سعود ٧٠/٧.

[٢] – لقمان: ١٢.

[٣] – أبو سعود ٧١/٧.

[٤] – لقمان: ١٦.

[٥] – أبو سعود ٧٢/٧.

[٦] – لقمان: ٢٠.

[٧] – أبو سعود ٧٣/٧.

[٨] – لقمان: ٢٢.

[٩] – التفسير الكبير ١٥٣/٢٥.

[١٠] – لقمان: ٢٣.

قوله تعالى: "ولئن سألتهم" الخ[١].

لما استدل بخلق السموات بغير عمد وبنعمه الظاهرة والباطنة بين أنهم معترفون بذلك غير منكرين له[٢].

قوله تعالى: "ولو أن ما في الأرض" الخ[٣].

قال المسكين: بيان لكمال عظمته تعالى ببيان عظمة كلماته.

قوله تعالى: "ما خلقكم ولا بعثكم" الخ[٤].

لما بين كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر الخ[٥].

قوله تعالى: "ألم تر أن الله يولج" الخ[٦].

قال المسكين: عود إلى إثبات التوحيد بالدلائل وكذا قوله تعالى: "الم تر أن الفلك تجري" الخ.

قوله تعالى: "وإذا غشيهم موج" الخ[٧].

لما ذكر الله أن في ذلك لآيات ذكر أن الكل معترفون به غير أن البصير يدركه أولاً ومن في بصيرته ضعف لا يدركه أولاً فإذا غشيه موج ووقع في شدة اعترف[٨].

قوله تعالى: "يا أيها الناس" الخ[٩].

لما ذكر الدلائل من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى لأنه تعالى لما كان

---

[١] – لقمان: ٢٥.

[٢] – التفسير الكبير ١٥٥/٢٥.

[٣] – لقمان: ٢٧.

[٤] – لقمان: ٢٨.

[٥] – التفسير الكبير ١٥٨/٢٥.

[٦] – لقمان: ٢٩.

[٧] – لقمان: ٣٢.

[٨] – التفسير الكبير ١٦٢/٢٥.

[٩] – لقمان: ٣٣.

واحداً أوجب التقوى البالغة فإن من يعلم أن الأمر بيد اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر بيد أحدهما لا غير[١].

قال المسكين: وأيضاً فيه بيان لكيفية الحشر وما ههنا.

قوله تعالى: "إن الله عنده علم الساعة" الخ[٢].

قال المسكين: لما بين الساعة فيما قبل سألوا متى الساعة فذكر الله تعالى اختصاصه بعلمها مع أخواتها من علوم الغيب، والله أعلم.

---

[١] – التفسير الكبير ١٦٣/٢٥.

[٢] – لقمان: ٣٤.

سورة الم السجدة

وجه المناسبة بينها وبين ما قبلها مذكور في المتن[١].

قوله تعالى: "الم تنزيل الكتاب" الخ[٢].

لما ذكر الله تعالى في السورة المتقدمة دليل الوحدانية وذكر الأصل الآخر وهو الحشر وختم السورة بهما بدأ ببيان الرسالة في هذه السورة[٣].

قوله تعالى: "الله الذي خلق السموات" الخ[٤].

لما ذكر الرسالة بين ما على الرسول من الدعاء إلى التوحيد وإقامة الدليل[٥].

قوله تعالى: "وقالوا أ إذا ضللنا" الخ[٦].

لما قال: "قليلاً ما تشكرون" بين عدم شكرهم بإتيانهم بضده وهو الكفر وإنكار قدرته على إحياء الموتى وقد ذكرنا أن الله تعالى في كلامه القديم كلما ذكر أصلين من الأصول الثلاثة لم يترك الأصل الثالث وههنا كذلك لما ذكر الرسالة بقوله: تنزيل الكتاب إلى قوله: لتنذر وذكر الوحدانية بقوله: "الله الذي خلق" – إلى قوله – جعل لكم السمع والأبصار ذكر الأصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى: وقالوا أإذا ضللنا الخ[٧].

قوله تعالى: "ولو ترى إذ المجرمون" الخ[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الم السجدة: ٢

[٣] – التفسير الكبير ١٦٦/٢٥.

[٤] – الم السجدة: ٤.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٧/٢٥.

[٦] – الم السجدة: ١٠.

[٧] – التفسير الكبير ١٧٥/٢٥.

[٨] – الم السجدة: ١٢.

لما ذكر أنهم يرجعون إلى ربهم بين ما يكون عند الرجوع على سبيل الإجمال[١].

قوله تعالى: "إنما يؤمن بآياتنا" الخ[٢].

قال المسكين: بيان لحال المؤمنين إثر حال الكافرين.

قوله تعالى: "أفمن كان مؤمناً" الخ[٣].

لما بين حال المجرم والمؤمن قال للعاقل: هل يستوي الفريقان ثم بين أنهما لا يستويان ثم بين عدم الاستواء على سبيل التفصيل[٤].

قوله تعالى: "ومن أظلم ممن" الخ[٥].

يعني لنذيقنهم ولا يرجعون فيكونون قد ذكروا بآيات الله من النعم أولاً والنقم ثانياً ولم يؤمنوا فلا أظلم منهم أحد[٦].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى" الخ[٧].

لما قرر الأصول الثلاثة على ما بيناه عاد إلى الأصل الذي بدأ به وهو الرسالة في قوله: "لتنذر قوماً" وقال: "قل ما كنت بدعاً من الرسل" الخ[٨].

قوله تعالى: "إن ربك هو يفصل" الخ[٩].

قال المسكين: بيان للفصل بين من آمن بالرسل ومن لم يؤمن بهم إثر إثبات الرسالة.

---

[١] – التفسير الكبير ١٧٧/٢٥.

[٢] – الم السجدة: ١٥.

[٣] – الم السجدة: ١٨.

[٤] – التفسير الكبير ١٨٢/٢٥.

[٥] – الم السجدة: ٢٢.

[٦] – التفسير الكبير ١٨٥/٢٥.

[٧] – الم السجدة: ٢٣.

[٨] – التفسير الكبير ١٨٥/٢٥.

[٩] – الم السجدة: ٢٥.

قوله تعالى: "أو لم يهد لهم" الخ[١].

قال المسكين: وعيد للمكذبين الرسول وهذا تذكير للنقم التي ربما تحمل على الإيمان.

قوله: "أولم يروا أنا نسوق الماء" الخ[٢].

قال المسكين هذا تذكير للنعم التي ربما تحمل على الإيمان.

قوله تعالى: "ويقولون متى هذا الفتح" الخ[٣].

قال المسكين: لما أوعدوا بوقوع الفصل في قوله: إن ربك هو يفصل بينهم استبعدوه فحكى الله تعالى استبعادهم وأجابهم عنه.

---

[١] – الم السجدة: ٢٦.

[٢] – الم السجدة: ٢٨.

[٣] – الم السجدة: ٢٨.

سورة الأحزاب

ختم السورة ببيان الوعد للمكذبين للرسل وبين في هذه حقوقه عليه السلام من تصديقه وتعظيمه مفصلاً وبينهما من التقابل ما لا يخفى[١].

قال المسكين في جميع هذه السورة ذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أوذي به من أنواع الإيذاء قتال الأحزاب معه ومعاونة المنافقين لهم وطعن المنافقين في نكاحه عليه الصلاة والسلام بزينب رضي الله عنها وطلب الأزواج الزيادة في الإنفاق واشتغال بعض المسلمين بالأحاديث في بيته عليه السلام ونحو ذلك مما تأذى به النبي صلى الله عليه وسلم فهذا القدر هو المقصود الأصلي من السورة وما سوى ذلك فهو إما توطئة لبعض ما هو المقصود وإما مكمل له كما يظهر كل ذلك من التأمل في النظم الكريم ولما كان اشد الإيذاء من الكفرين والمنافقين بدأ الله تعالى بالأمر بتقوى الله تعالى وعدم خشيته لهم التي تفضي أحياناً إلى الإطاعة وبالتوكل على الله تعالى فقال: "يا أيها النبي اتق الله" الخ.

ثم صرح ببعض مقاصد السورة بقوله: "وما جعل أدعيائكم أبنائكم" الخ جواباً عن قصة زينب وذكر قبله مثلاً لتأيده بقوله: "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم".

ثم أشار إلى أن نفي الأبوة الصورية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستلزم نفي الأبوة المعنوية بل هو أقرب من الآباء في هذه المرتبة فقال: النبي أولى بالمؤمنين الخ.

ثم لما كان للنبي صلى الله عليه وسلم ولاية مع جميع المؤمنين صار المؤمنون كلهم أولياء بعضهم ببعض فأورثت شبهة التوارث بين كلهم فدفعها الله تعالى بقوله: "وأولو الأرحام" الخ. أي مدار التوارث الرحم لا هذه الولاية المعنوية.

---

[١] – من الهامش.

ثم أكد الله تعالى ما أمره به من اتباع ما يوحي بقوله: "وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم" الخ. ببيان وقوع السوال عن التبليغ فوجب الاتباع وعدم الخوف من الطاعنين.

ثم شرع الله تعالى في حكاية غزوة الأحزاب بقوله: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا" الخ.

ثم ذكر بني قريظة الذين أعانوا الأحزاب في قوله: "وأنزل الذين ظاهروهم" الخ.

ثم ذكر طلب الأزواج الزيادة في الإنفاق والجواب عنه بقوله: "يا أيها النبي قل لأزواجك" الخ.

ثم شرع في قصة زينب بقوله: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة" الخ.

ثم ذكر الله تعالى حقوقه وحقوق نبيه على المؤمنين ليزدادوا تعظيماً له وإجلالاً ولا يؤذوه فقال: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله – إلى قوله – سراجاً منيراً" ثم أمر نبيه ببشارة المؤمنين المعظمين له وإنذار المنكرين المؤذين له بقوله: وبشر المؤمنين الخ.

ثم أراد الله أن يذكر بعض أحكام النكاح لنبيه عليه السلام التي لها شأن خاص تشعر بإجلاله ومحبوبيته لله تعالى في قوله: يا أيها النبي إنا أحللنا لك الخ.

وذكر قبلها بعض الأحكام النكاحية المتعلقة بالمؤمنين ليظهر التفاوت بين النبي والأمة ليكون الأحكام المتعلقة بالأمة عامة وبالنبي خاصة فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم" الخ.

ثم ذكر مسألة دخول بيوت النبي والحجاب بقوله: "يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا" الخ.

ثم بين متمم مسألة الحجاب بقوله: "لا جناح عليهن" الخ.

ثم أمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لإكمال احترامه فقال: إن الله وملائكته" الخ.

ثم ذكر الوعيد على إيذاء الرسول ونبه على أن إيذائه كإيذائه تعالى فقال: "إن الذين يؤذون الله" الخ.

ثم ذكر بعض أفعال المنافقين من التعرض للجواري الذي يتأذى به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وأرشد إلى سد بابه فقال: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك" الخ.

ثم ذكر سؤالهم عن الساعة الذي قصدوا به تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم وإيذائه فقال: "يسئلك الناس عن الساعة" الخ.

ثم ختم السورة بالتصريح بالنهي عن إيذائه عليه السلام بقوله: "يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى" الخ.

ثم لما نهى الله تعالى عما يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بما ينبغي أن يصدر عنهم فقال: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله" الخ.

ثم بين أن ما نكلفكم به إنما تحملتموه من أنفسكم لا إنا حملناكم فقال: "إنا عرضنا الأمانة".

ثم ذكر حال الذين أدوا حق الأمانة والذين لم يؤدوه فقال: "ليعذب الله المنافقين الخ.

والحمد لله تعالى على ما ألقي في روعي من تقرير الارتباط فيما بين آيات هذه السورة.

سورة سبا

لما ذكر في خاتمة ما قبلها جزاء الحافظين للأمانة والمضيعين لها ذكر في أول هذه السورة وقت الجزاء وهو الساعة وأعظم الأمانات وهو التوحيد[١].

الحمد لله الذي له ما في السموات" الخ[٢].

قال المسكين: صدر السورة بتقرير التوحيد الذي من الأصول العظيمة للدين.

قوله: "وقال الذين كفروا" الخ[٣].

قال المسكين: ذكر أمر الساعة إثر التوحيد كما هو العادة الشائعة في القرآن ولذكر الساعة ههنا مناسبة خاصة لأمر التوحيد لأنه حكم في الآية الأولى بإثبات الحمد له تعالى في الآخرة وقد أنكر الآخرة قوم فتصدى لإثباتها.

قوله تعالى: "ليجزي الذين آمنوا" الخ[٤].

قال أبو السعود: علة لقوله تعالى: لتأتينكم وبيان لما يقتضي إثباتها[٥].

قوله تعالى: "والذين سعوا في آياتنا" الخ[٦].

لما بين حال المؤمنين يوم القيامة بين حال الكافرين[٧].

قوله تعالى: "ويرى الذين أوتوا العلم" الخ[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – سبا: ١.

[٣] – سبا: ٣.

[٤] – سبا: ٤.

[٥] – أبو سعود ١٢١/٧.

[٦] – سبا: ٥.

[٧] – التفسير الكبير ٢٤٢/٢٥.

[٨] – سبا: ٦.

قال أبو السعود: مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين في الآيات[١].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا" الخ[٢].

قال المسكين: حكاية لقول منكري الساعة.

قوله تعالى: "بل الذين لا يؤمنون" الخ[٣].

قال أبو السعود: جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم[٤].

قوله تعالى: "أفلم يروا إلى ما بين أيديهم" الخ[٥].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتهويل ما اجترأوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه عليه الصلاة والسلام وإنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير[٦].

قوله تعالى: "إن نشأ نخسف" الخ[٧].

قال أبو السعود: بيان لما ينبئ عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما[٨].

قوله تعالى: "ولقد آتينا داؤد" الخ[٩].

---

[١] – أبو سعود ١٢٢/٧.

[٢] – سبا: ٧.

[٣] – سبا: ٨.

[٤] – أبو سعود ١٢٣/٧.

[٥] – سبا: ٩.

[٦] – أبو سعود ١٢٣/٧.

[٧] – سبا: ٩.

[٨] – أبو سعود ١٢٣/٧.

[٩] – سبا: ١٠.

لما ذكر الله تعالى من ينيب من عباده ذكر منهم من أناب وأصاب ومن جملتهم داؤد كما قال تعالى عنه: "فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب" وبين ما آتاه الله على إنابته ثم لما ذكر المنيب الواحد ذكر نبياً آخر وهو سليمان كما قال تعالى: "وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب" وذكر ما استفاد بالإنابة فقال: "ولسليمان الريح الخ[١].

قوله تعالى: "لقد كان لسبا" الخ[٢].

لما بين الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داؤد وسليمان بين حال الكافرين بأنعمه بحكاية أهل سبا[٣].

قوله تعالى: "ولقد صدق عليهم" الخ[٤].

قال المسكين: بيان لكونهم متبعين لإبليس في كفرهم وكون المؤمنين بمعزل عن ذلك والحكم في تسليطه عليه.

قوله تعالى: "قل ادعوا الذين" الخ[٥].

قال المسكين: عود إلى التوحيد في هيئة المناظرة لا اعتساف فيها كما قال تعالى: "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين" الخ.

قوله تعالى: "وما أرسلناك إلا كافة" الخ[٦].

لما بين مسألة التوحيد شرع في الرسالة[٧].

قوله تعالى: "ويقولون متى هذا الوعد" الخ[٨].

لما ذكر الرسالة بين الحشر[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٥/٢٤٥.

[٢] – سبا: ١٥.

[٣] – التفسير الكبير ٢٥/٢٥٠.

[٤] – سبا: ٢٠.

[٥] – سبا: ٢٢.

[٦] – سبا: ٢٨.

[٧] – التفسير الكبير ٢٥/٢٥٨.

[٨] – سبا: ٢٩.

[٩] – التفسير الكبير ٢٥/٢٥٨.

قوله تعالى: "وما أرسلنا في قرية" الخ[١].

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك عن المؤمنين والاستهانة بهم من أجله[٢].

قوله تعالى: "قل إن ربي" الخ[٣].

قال أبو السعود: رد عليهم وحسم لمادة طمعهم الفارغ وتحقيق للحق الذي عليه يدور أمر التكوين[٤].

قوله تعالى: "وما أموالكم" الخ[٥].

قال أبو السعود: كلام مستأنف من جهته عزوجل وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق وتقرير ما سبق[٦].

قوله تعالى: "والذين يسعون" الخ[٧].

قال المسكين: بيان لأن الأموال لا تجدي نفعاً للكفار المحضرين.

قوله تعالى: "وما أنفقتم من شيء" الخ[٨].

قال المسكين: بيان لنفع الأموال للمؤمنين خلاف ما عليه الكفار.

قوله تعالى: "ويوم يحشرهم جميعاً" الخ[٩].

قال المسكين: تتمة لمسألة الحشر.

---

[١] – سبا: ٣٤.

[٢] – أبو سعود ١٣٥/٧.

[٣] – سبا: ٣٦.

[٤] – أبو سعود ١٣٥/٧.

[٥] – سبا: ٣٧.

[٦] – أبو سعود ١٣٦/٧.

[٧] – سبا: ٣٨.

[٨] – سبا: ٣٩.

[٩] – سبا: ٤٠.

قوله تعالى: "وإذا تتلى عليهم" الخ[١].

قال المسكين: عود إلى مسألة الرسالة وتقرير دليل الرسالة من الآيات القرآنية وإثبات حقيقتها.

قوله تعالى: "ولو ترى إذ فزعوا" الخ[٢].

قال المسكين: بيان لوضوح خطأهم إذا كشف الغطاء وتحسرهم حيئذ حيث لا ينفع الندم.

---

[١] – سبا: ٤٣.

[٢] – سبا: ٥١.

سورة فاطر

كانت السورة المتقدمة قد ختمت بتقرير الرسالة والوعيد لمن أنكرها وهذه السورة بدأت بالتوحيد وتلاصقهما غنى عن البيان[١].

قوله تعالى: "الحمد لله فاطر السموات" الخ[٢].

قال المسكين: بدأ بالتوحيد ببيان الخالقية والقدرة ونفوذ المشية ونفاذ الأمر والرزاقية.

قوله تعالى: "وإن يكذبوك" الخ[٣].

لما بين الأصل الأول وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة فقال تعالى: "وإن يكذبوك الخ، ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر فقال تعالى: يا أيها الناس إن وعد الله حق الخ[٤].

قوله تعالى: "إن الشيطان لكم عدو" الخ[٥].

لما قال تعالى: ولا يغرنكم ذكر ما يمنع العاقل من الاغترار ثم بين الله تعالى حال حزبه وحال حزب الله فقال: الذين كفروا[٦].

قوله تعالى: "أفمن زين له سوء عمله" الخ[٧].

قال أبو السعود: تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتي الفريقين ببيان

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الفاطر: ١.

[٣] – الفاطر: ٤.

[٤] – التفسير الكبير ٤/٢٦.

[٥] – الفاطر: ٦.

[٦] – التفسير الكبير ٥/٢٦.

[٧] – الفاطر: ٨.

تبائن حاليهما المؤديين إلى تينك العاقبتين[١].

قوله تعالى: "والله الذي أرسل" الخ[٢].

قال المسكين: دليل على صحة البعث كما يدل عليه قوله تعالى: "كذلك النشور".

قوله تعالى: "من كان يريد العزة" الخ[٣].

قال المسكين: بيان لما يتعزز به العبد عند الله تعالى من التوحيد والعمل الصالح وما يتذلل به من المكر السيئ والكفر ولما كان ظهور هذه العزة والذلة يوم الحشر ناسب ذكره بعده.

قوله تعالى: "والله خلقكم من تراب" الخ[٤].

قال المسكين: عود إلى التوحيد بحيث يتضمن الاستدلال على صحة البعث من كيفية بدء خلق الإنسان وإيلاج الليل في النهار وبالعكس وجريان كل من الشمس والقمر لأجل مسمى وبين في أثنائه مثلاً لعدم استواء المؤمن والكافر في قوله: وما يستوي البحران.

قوله تعالى: "يا أيها الناس أنتم الفقراء" الخ[٥].

قال المسكين: بيان لما يحمل العبد على التوحيد من فقره إليه تعالى وقدرته تعالى عليه بالتبديل إن شاء وانحصار الفقر إلى الله تعالى ببيان أن أحداً لا يجدي أحداً يوم القيامة ولو كان ذا قربى ثم لما كان إصرار الكفرة مع هذه الدلائل يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم أشد الإيذاء بين الله تعالى لتسليته عليه الصلاة والسلام اختلاف أحوال الناس في استعدادهم لقبول الحق وأوضحه بقوله: "وما يستوى الأعمى والبصير، وأرشده عليه السلام بأن لا يهتم بهم فإن عليه الرسالة فقط وما هو باول

---

[١] – أبو سعود ١٤٤/٧.

[٢] – الفاطر: ٩.

[٣] – الفاطر: ١٠.

[٤] – الفاطر: ١١.

[٥] – الفاطر: ١٥.

من كذب من الرسل.

قوله تعالى: "ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء" الخ[١].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان[٢].

قوله تعالى: "إنما يخشى الله" الخ[٣].

قال أبو السعود: تكملة لقوله تعالى: إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب" الخ[٤].

قوله تعالى: "إن الذين يتلون" الخ[٥].

قال المسكين: بيان لثمرات الخشية من الإيمان والأعمال الصالحة مع بيان جزائها من التجارة التي لن تبور ثم لتقرير قوله: يتلون كتاب الله".

قال تعالى: "والذي أوحينا إليك من الكتاب" الخ[٦].

ولتفصيل قوله: "تجارة لن تبور".

قال: "جنات عدن يدخلونها" الخ[٧].

ثم قال تعالى: "والذين كفروا لهم نار جهنم" الخ[٨].

عطف على قوله: إن الذين يتلون كتاب الله وما بينهما كلام متعلق بالذين يتلون الكتاب[٩].

---

[١] – الفاطر: ٢٧.

[٢] – أبو سعود ١٥٠/٧.

[٣] – الفاطر: ٢٨.

[٤] – أبو سعود ١٥١/٧.

[٥] – الفاطر: ٢٩.

[٦] – الفاطر: ٣١.

[٧] – الفاطر: ٣٣.

[٨] – الفاطر: ٣٦.

[٩] – التفسير الكبير ٢٨/٢٦.

قوله تعالى: "إن الله عالم غيب" الخ[١].

قال المسكين: عود إلى التوحيد ببيان كمالاته العلمية كما في هذه الآية وكمالاته العملية كما في قوله الآتي هو الذي جعلكم.

قوله تعالى: "قل أرأيتم شركاءكم" الخ[٢].

تقرير للتوحيد وإبطال للإشراك[٣].

قوله تعالى: "إن الله يمسك السموات" الخ[٤].

لما بين أنه لا خلق للأصنام ولا قدرة لها على جزء من الأجزاء بين الله قدرته بقوله: إن الله يمسك الخ ويحتمل أن يقال لما بين شركهم قال مقتضى شركهم زوال السموات والأرض كما قال تعالى: "تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض" الخ ويدل على هذا قوله في آخر الآية: إنه كان حليماً غفوراً[٥].

قوله تعالى: "وأقسموا بالله" الخ[٦].

قال المسكين: بيان لقبح كفرهم إن كفروا بعد أن أقسموا الخ.

ثم أوعدهم بسنة الأولين على الكفر في قوله فهل ينظرون الخ.

ثم بين في قوله: "ولو يواخذ الله" الخ[٧].

أن لا يغتروا بالإمهال بل ينتظروا الأجل المسمى.

---

[١] – الفاطر: ٣٨.

[٢] – الفاطر: ٤٠.

[٣] – التفسير الكبير ٣٢/٢٦.

[٤] – الفاطر: ٤١.

[٥] – التفسير الكبير ٣٢/٢٦.

[٦] – الفاطر: ٤٢.

[٧] – الفاطر: ٤٥.

سورة يس

كان الله تعالى في خاتمة فاطر قد أخبر عن قولهم: "لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم" وقد قرر في أول "يس" كونه عليه الصلاة والسلام نذيراً[١].

قوله تعالى: "يس والقرآن الحكيم" الخ[٢].

قال المسكين: مدار الكلام على إثبات الرسالة بالقسم، والغرض من الرسالة من الإنذار، والإشارة إلى الدليل عليها من القرآن وبيان ما على الرسول من الإنذار فقط لا الجبر على الهداية وإنما أمرها إلى الله تعالى وقد حق القول على أكثرهم أنهم لا يؤمنون، وبيان ما منعهم عن الإيمان، وبيان أن المنتفعون بالإنذار من هم وهذا كله مذكور إلى قوله: أجر كريم كما يظهر بالتأمل.

قوله تعالى: "إنا نحن نحي الموتى" الخ[٣].

قال أبو السعود: بيان لشأن عظيم ينطوي على الإنذار والتبشير انطواءاً إجمالياً[٤].

قوله تعالى: واضرب لهم مثلاً الخ[٥].

لما قال الله تعالى: "إنك لمن المرسلين" وقال: لتنذر قال: قل لهم ما كنت بدعاً من الرسل بل قبلي بقليل جاء أصحاب القرية مرسلون[٦].

قوله تعالى: "ياحسرة على العباد" الخ[٧].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – يس: ١-٢.

[٣] – يس: ١٢.

[٤] – أبو سعود ١٦١/٧.

[٥] – يس: ١٣.

[٦] – التفسير الكبير ٥٠/٢٦.

[٧] – يس: ٣٠.

قال المسكين: تلهف على التكذيب إثر اقتصاص حال المكذبين.

قوله تعالى: "ألم يرو كم أهلكنا" الخ[١].

لما بين الله تعالى حال الأولين قال للحاضرين ألم يروا الخ[٢].

قوله تعالى: "وإن كل لما جميع" الخ[٣].

قال أبو السعود: بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا[٤].

قوله تعالى: "وآية لهم الأرض" الخ[٥].

مناسب لما قبله من وجهين أحدهما أنه لما قال: "وإن كل لما جميع لدينا محضرون" كان ذلك إشارة إلى الحشر فذكر ما يدل على إمكانه وثانيهما أنه لما ذكر حال المرسلين وكان شغلهم التوحيد ذكر ما يدل عليه[٦].

قوله تعالى: "وإذا قيل لهم اتقوا" الخ[٧].

قال أبو السعود: بيان لإعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها[٨].

قوله تعالى: "وإذا قيل لم أنفقوا" الخ[٩].

قال المسكين: بيان لشناعتهم الأخرى أشد من الأولى فإن الإنكار لقدرة الله – الذي هو الغرض من كلامهم لا الامتناع من الإنفاق – أشد من الإعراض عن آيات الله فكأنه دليل لمضمون الآية السابقة أي إذا أتوا بالإنكار فأي استبعاد في الإعراض.

---

[١] – يس: ٣١.

[٢] – التفسير الكبير ٦٤/٢٦.

[٣] – يس: ٣٢.

[٤] – أبو سعود ١٦٦/٧.

[٥] – يس: ٣٣.

[٦] – التفسير الكبير ٦٥/٢٦.

[٧] – يس: ٤٥.

[٨] – أبو سعود ١٦٩/٧.

[٩] – يس: ٤٨.

قوله تعالى: "ويقولون متى هذا الوعد" الخ[١].

قال المسكين: عود إلى مسألة الحشر فهو مرتبط بقوله: وإن كل لما جميع لدينا محضرون وامتد هذا إلى قوله: اليوم نختم على أفواههم الآية.

قوله تعالى: "ولو نشاء لطمسنا" الخ[٢].

قال المسكين: هذا تقريب لوقوع الختم يوم القيامة أي لو نشاء لأوقعنا الطمس والمسخ في الدنيا جزاء على كفرهم لكنا لم نشأ ونشاء الختم يوم القيامة فيقع ثم استدل على تقريب الطمس والمسخ بقوله: ومن نعمره ننكسه فإن هذا التغيير قريب من تغيير المسخ والطمس فالقادر على واحد قادر على آخر.

قوله تعالى: "وما علمناه الشعر" الخ[٣].

لما ذكر الأصلين الوحدانية والحشر ذكر الأصل الثالث وهو الرسالة ثم إنه تعالى أعاد الوحدانية ودلائل دالة عليها فقال تعالى: أو لم يروا أنا خلقنا الخ.

وقوله تعالى: "فلا يحزنك قولهم" الخ[٤].

إشارة إلى الرسالة لأن الخطاب معه بما يوجب تسلية قلبه ودليل اجتبائه واختياره إياه[٥].

قوله تعالى: "أولم ير الإنسان" الخ[٦].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهده كما أن ما سبق لبيان بطلان إشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والإسلام[٧].

---

[١] – يس: ٤٨.

[٢] – يس: ٦٦.

[٣] – يس: ٦٩.

[٤] – يس: ٧٦.

[٥] – التفسير الكبير ٢٦/ ١٠٤-١٠٧.

[٦] – يس: ٧٧.

[٧] – أبو سعود ١٨٠/٧.

سورة الصافات

قد ذكر في خاتمة السورة المارة أمر البعث متضمناً لتقرير الوحدانية والرسالة وذكر في فاتحة هذه دليل الوحدانية ثم عقبها بالبعث فالمناسبة ظاهرة[١].

قال المسكين: افتتح الله تعالى هذه السورة بإثبات التوحيد بعد القسم كما يدل عليه قوله تعالى: إن إلهكم لواحد ثم استدل عليه بربوبيته تعالى للسموات والأرض وغيرهما ثم بتزيين السماء بالكواكب بحيث يتضمن إثبات الرسالة ببيان امتناع الشياطين من الاسترق ثم شرع في إثبات المعاد بقوله: فاستفتهم أهم أشد خلقاً الخ وامتد هذا إلى قوله: ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم.

قوله تعالى: "إنهم ألفوا آبائهم" الخ[٢].

قال أبو السعود: تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولآبائهم شيئ يتمسك به أصلاً[٣].

قوله تعالى: "ولقد ضل قبلهم" الخ[٤].

ذكر لرسوله ما يوجب التسلية له في كفرهم وتكذيبهم فبين تعالى أن إرساله المرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف[٥].

قوله تعالى: "ولقد نادانا نوح" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قال من قبل: "ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين" وقال: "فانظر كيف كان عاقبة المنذرين" اتبعه بشرح وقائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فالقصة

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الصافات: ٦٩.

[٣] – أبو سعود ١٩٤/٧.

[٤] – الصافات: ٧١.

[٥] – التفسير الكبير ١٤٣/٢٦.

[٦] – الصافات: ٧٥.

الأولى حكاية نوح عليه الصلاة والتسليم قوله: لقد نادانا[١].

القصة الثانية قصة إبراهيم عليه السلام قوله تعالى: "وإن من شيعته لإبراهيم" الخ[٢].

قوله تعالى: "ولقد مننا على موسى" الخ[٣].

اعلم أن هذا هو القصة الثالثة من القصص المذكورة في هذه السورة[٤].

قوله تعالى: "وإن إلياس" الخ[٥].

اعلم أنه هذه القصة الرابعة من القصص المذكورة في هذه السورة[٦].

قوله تعالى: "وإن لوطاً لمن المرسلين" الخ[٧].

هذا هو القصة الخامسة[٨].

قوله تعالى: "وإن يونس لمن المرسلين" الخ[٩].

اعلم أن هذا هو القصة السادسة وهو آخر القصص المذكورة في هذه السورة[١٠].

قوله تعالى: "فاستفتهم الربك البنات" الخ[١١].

قال أبو السعود: أمر الله عزوجل في صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق

---

[١] – التفسير الكبير ١٤٤/٢٦، والصافات: ٨٣.

[٢] – التفسير الكببير٢٦/ ١٤٥.

[٣] – الصافات: ١١٤.

[٤] – التفسير الكبير ١٥٩/٢٦.

[٥] – الصافات: ١٢٣.

[٦] – التفسير الكبير ١٦١/٢٦.

[٧] – الصافات: ١٣٣.

[٨] – التفسير الكبير ١٦٣/٢٦.

[٩] – الصافات: ١٣٩.

[١٠] – التفسير الكبير ١٦٣/٢٦.

[١١] – الصافات: ١٤٩.

البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل مالهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين وأنه تعالى أرسل إليهم منذرين على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل منبهاً في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفاً لهم تارة بالإخلاص والأخرى بالإيمان ثم أمره عليه الصلاة والسلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح: الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ما سبق من قوله أولئك الرسل – الذين هم أعلام الحق عليهم الصلاة والسلام – عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذاهبهم الفاسدة ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثاً ثم أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولم ينظمه في سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك[١].

قوله تعالى: "وجعلوا بينه وبين الجنة" الخ[٢].

قال أبو السعود: التفات إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكي جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة وإنما أعيد ذكره تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى: "ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون" الخ.

والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكماً مؤكداً[٣].

---

[١] – أبو سعود ٢٠٦/٧.

[٢] – الصافات: ١٥٨.

[٣] – أبو سعود ٢٠٨/٧.

قوله تعالى: "سبحان الله عما يصفون" الخ[١].

حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك[٢].

قوله تعالى: "إلا عباد الله المخلصين" الخ[٣].

شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك وقوله تعالى: فإنكم وما تعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم[٤].

قوله تعالى: "وما منا إلا له مقام" الخ[٥].

تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وبراءة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقمائتهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل. انتهى مقال أبي السعود[٦].

قوله تعالى: "وإن كانوا ليقولون" الخ[٧].

قال المسكين: تعيير للكفار في كفرياتهم المذكورة وغير المذكورة بأنهم في هذياناتهم كلها ناقضون للعهد ناكثون للوعد، فيالها من عار وشنار مع أهليتهم للنار.

قوله تعالى: "ولقد سبقت كلمتنا" الخ[٨].

قال أبو السعود: استيناف مقرر للوعيد[٩].

---

[١] – الصافات: ١٥٩.

[٢] – أبو سعود ٢٠٩/٧.

[٣] – الصافات: ١٦٠.

[٤] – أبو سعود ٢٠٩/٧.

[٥] – الصافات: ١٦٤.

[٦] – أبو سعود ٢٠٩/٧-٢١٠.

[٧] – الصافات: ١٦٨.

[٨] – الصافات: ١٧١.

[٩] – أبو سعود ٢١٠/٧.

قوله تعالى: "وتول عنهم حتى حين" الخ[١].

قال أبو السعود: تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم إثر تسلية وتاكيد لوقوع الميعاد غب تاكيد[٢].

قوله تعالى: "سبحان ربك" الخ[٣].

قال أبو السعود: تنزيه الله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر[٤].

وقوله تعالى: "وسلام على المرسلين" الخ[٥].

تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وإيذان بأنهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب[٦].

وقوله تعالى: "والحمد لله رب العالمين"[٧].

إشارة إلى وصفه عزوجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه بجميع صفاته السلبية[٨].

---

[١] – الصافات: ١٧٨.

[٢] – أبو سعود ٢١١/٧.

[٣] – الصافات: ١٨٠.

[٤] – أبو سعود ٢١٢/٧.

[٥] – الصافات: ١٨١.

[٦]– أبو سعود ٢١٢/٧.

[٧]– الصافات: ١٨٢.

[٨] – أبو سعود ٢١٢/٧.

سورة ص

كان المذكور في خاتمة ما سبق أمر التوحيد في قوله: سبحان ربك الخ والرسالة في قوله: "وسلام على المرسلين الخ وهذا هو المذكور في خاتمة هذه السورة فتأمل تستنبط[١].

قوله تعالى: "والقرآن ذي الذكر" الخ[٢].

قال المسكين: افتتح السورة بتنويه شان القرآن وجواب القسم محذوف أي إنه لحق أو نحوه.

قوله تعالى: "بل الذين كفروا" الخ[٣].

قال أبو السعود: إضراب كأنه قيل لا ريب فيه قطعاً وليس عدم إذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد الله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له[٤].

قوله تعالى: "كم أهلكنا من قبلهم" الخ[٥].

قال أبو السعود: وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين[٦].

قوله تعالى: "وعجبوا أن جاءهم" الخ[٧].

---

[١]– في الأصل بهامش الكتاب.

[٢]– ص: ١.

[٣]– ص: ٢.

[٤]– أبو سعود ٢١٣/٧.

[٥]– ص: ٣.

[٦]– أبو سعود ٢١٤/٧.

[٧]– ص: ٤.

قال أبو السعود: حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم[١].

قال المسكين: وملخص أباطيلهم هذه إنكار النبوة ثم ذكر الجواب عنها بقوله: "بل هم في شك من ذكري – إلى قوله – فليرتقوا في الأسباب".

قوله تعالى: "جند ما هنالك" الخ[٢].

قال المسكين: هو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنهم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهددون.

قوله تعالى: "كذبت قبلهم" الخ[٣].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من العقاب[٤].

قوله تعالى: "إن كل إلا كذب" الخ[٥].

قال أبو السعود: استيناف جيئ به تقريراً لتكذيبهم وبياناً لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه[٦].

قوله تعالى: "وما ينظر هؤلاء" الخ[٧].

قال أبو السعود: شروع في عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب[٨].

---

[١]– أبو سعود ٢١٤/٧.

[٢]– ص: ١١.

[٣]– ص: ١٢.

[٤]– أبو سعود ٢١٧/٧.

[٥]– ص: ١٤.

[٦]– أبو سعود ٢١٧/٧.

[٧]– ص: ١٥.

[٨]– أبو سعود ٢١٨/٧.

قوله تعالى: "وقالوا ربنا عجل لنا" الخ[١].

قال أبو السعود: حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة[٢].

قوله تعالى: "اصبر على ما يقولون" الخ[٣].

قال المسكين: هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم بتعليمه الصبر وتذكيره قصص الرسل الذين كانوا صابرين أوّابين أولى الأيدي والأبصار متحملين للشدائد في دين الله وانجر هذا إلى قوله: كل من الأخيار وأورد في مطاوي القصص لتقرير البعث والحساب والجزاء الذي ذكر في قوله: وما ينظر هؤلاء الخ كلاما مستانفا هو

قوله تعالى: "وما خلقنا السماء والأرض" الخ[٤].

أي خلقنا هما بالحكمة البالغة المقتضية لأن لا يهمل أمر الخلق سدى ثم أشار إلى مآل المؤمنين والفجار في

قوله تعالى: "أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات" الخ[٥].

ثم لما كان الهادي إلى هذه الأسرار والحكم هو القرآن أثنى عليه

بقوله: "كتاب أنزلناه إليك"[٦].

ثم بعد تمام القصص عاد إلى ذكر الحساب والجزاء بقوله: "وإن للمتقين لحسن مآب – إلى قوله – إن ذلك لحق تخاصم أهل النار".

ثم عاد إلى ما ذكر في أول السورة من أمر التوحيد والرسالة فقال: "قل إنما أنا منذر" فيه تصريح بالرسالة.

وقوله تعالى: "وما من إله إلا الله الواحد القهار" الخ[٧]. فيه تصريح بالتوحيد.

---

[١]– ص: ١٦.

[٢]– أبو سعود ٢١٨/٧.

[٣]– ص: ١٧.

[٤] – ص: ٢٧.

[٥] – ص: ٢٨.

[٦] – ص: ٢٩.

[٧] – ص: ٦٦.

قوله تعالى: "قل هو نبأ عظيم" الخ[١].

قال المسكين: عود إلى تنويه شأن القرآن الذي أشير إليه في صدر السورة وهو المراد بضمير هو كما يدل عليه آخر السورة من قوله: "قل ما أسئلكم عليه من أجر" الخ.

قوله تعالى: "ما كان لي من علم بالملأ الأعلى" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه كذلك[٣].

قوله تعالى: "إن يوحى إلي" الخ[٤].

قال أبو السعود: اعتراض وسط بين إجمال اختصامهم وتفصيله تقريراً لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعييناً لسببه[٥].

قوله تعالى: "إذ قال ربك للملائكة" الخ[٦].

قال أبو السعود: شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من التقاول[٧].

قال المسكين: وأيضاً المقصود من ذكر هذه القصة ههنا – كما في الكبير – المنع من الحسد والكبر وذلك لأن إبليس إنما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر، والكفار إنما نازعوا محمداً عليه الصلاة والسلام بسبب الحسد والكبر (كما قال تعالى:

---

[١] – ص: ٦٧.

[٢] – ص: ٦٩.

[٣] – أبو سعود ٢٣٤/٧.

[٤] – ص: ٧٠.

[٥] – أبو سعود ٢٣٥/٧.

[٦] – ص: ٧١.

[٧] – أبو سعود ٢٣٥/٧.

"بل الذين كفروا في عزة وشقاق)[١].

قوله تعالى: "قل ما أسئلكم عليه" الخ[٢].

قال المسكين: عود إلى كون القرآن من عند الله تعالى وكون ما فيه حقاً واقعاً ولو بعد حين كما ذكرنا في تفسير قوله تعالى: "قل هو نبأ عظيم فتذكر".

---

[١] – التفسير الكبير ٢٢٧/٢٦ وما بين القوسين من الهامش.

[٢] – ص: ٨٦.

سورة الزمر

المذكور في فاتحتها وخاتمة ما قبلها كون القرآن حقاً منزلاً من الله تعالى[١].

قوله تعالى: "إنا أنزلنا إليك الكتاب" الخ[٢].

قال أبو السعود: شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه (من العبادة الخالصة المأمور بها في قوله: "فاعبد الله) إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى (أما ترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتب لأن الكتاب يأمر به)[٣].

قوله تعالى: "ألا لله الدين الخالص" الخ[٤].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به[٥].

قوله تعالى: "والذين اتخذوا من دونه" الخ[٦].

قال أبو السعود: تحقيق لحقية ما ذكر من إخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك إخلاصه[٧].

قوله تعالى: "لو أراد الله" الخ[٨].

قال المسكين: إبطال لنوع آخر من الشرك من اتخاذ الولد له تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

---

[١]– في الأصل بهامش الكتاب.

[٢]– الزمر: ٢.

[٣]– أبو سعود ٢٤٠/٧ وما بين القوسين من الهامش.

[٤] – الزمر: ٣.

[٥] – أبو سعود ٢٤١/٧.

[٦] – الزمر: ٣.

[٧] – أبو سعود ٢٤١/٧.

[٨] – الزمر: ٤.

قوله تعالى: "خلق السموات والأرض" الخ[١].

اعلم أن الآية المتقدمة دلت على أنه تعالى بين كونه منزها عن الولد بكونه إلهاً واحداً وقهاراً غالباً أي كامل القدرة فلما بنى تلك المسألة على هذه الأصول ذكر عقيبها ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال الاستغناء وأيضاً فإنه تعالى طعن في إلهية الأصنام فذكر عقيبها الصفات التي باعتبارها تحصيل الإلهية[٢].

قوله تعالى: "إن تكفروا" الخ[٣].

قال المسكين: قطع للحجة وفصل للقول بعد ذكر فنون نعمائه وتعريف شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر.

قوله تعالى: "وإذا مس الإنسان" الخ[٤].

اعلم أن الله تعالى لما بين فساد القول بالشرك وبين أن الله تعالى هو الذي يجب أن يعبد بين في هذه الآية أن طريقة هؤلاء الكفار الذين يعبدون الأصنام متناقضة[٥].

قوله تعالى: "قل تمتع" الخ[٦].

قال أبو السعود: تهديد لذلك الضال والمضل وبيان لحاله ومآله[٧].

قوله تعالى: "أمن هو قانت" الخ[٨].

قال أبو السعود: من تمام الكلام المأمور به كأنه قيل له تاكيداً للتهديد وتهكما به أأنت أحسن حالا ومالا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف

---

[١] – الزمر: ٦.

[٢] – التفسير الكبير ٢٤٣/٢٦.

[٣] – الزمر: ٨.

[٤] – الزمر: ٧.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤٨/٢٦.

[٦] – الزمر: ٨.

[٧] – أبو سعود ٢٤٥/٧.

[٨] – الزمر: ٩.

العبادات حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك[١].

قوله تعالى: "قل هل يستوي" الخ[٢].

قال أبو السعود: بيان للحق وتنبيه على شرف العلم والعمل[٣].

قوله تعالى: "قل يا عباد" الخ[٤].

قال أبو السعود: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكير بأولى الألباب إيذاناً بأنهم هم كما سيصرح به[٥].

قوله تعالى: "قل إني أمرت" الخ[٦].

قال أبو السعود: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله الذي هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كلفوه وتمهيداً لما يعقبه مما خوطب به المشركون[٧].

قوله تعالى: "والذين اجتنبوا" الخ[٨].

اعلم أن الله تعالى لما ذكر وعيد عبدة الأصنام والأوثان ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز عن الشرك ليكون الوعد مقروناً بالوعيد أبداً فيحصل كمال الترغيب والترهيب[٩].

---

[١] – أبو سعود ٢٤٥/٧.

[٢] – الزمر: ٩.

[٣] – أبو سعود ٢٤٥/٧.

[٤] – الزمر: ١٠.

[٥] – أبو سعود ٢٤٦/٧.

[٦] – الزمر: ١٢.

[٧] – أبو سعود٢٤٦/٧.

[٨] – الزمر: ١٨.

[٩] – التفسير الكبير ٢٥٧/٢٦.

قوله تعالى: "الم تر أن الله أنزل" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة لأولى الألباب فيها، وصف الدنيا بصفة توجب اشتداد النفرة عنها[٢].

قوله تعالى: "أفمن شرح الله صدره" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في تقرير البيانات الدالة على وجوب الإقبال على طاعة الله ووجوب الإعراض عن الدنيا بين بعد ذلك أن الانتفاع بهذه البيانات لا يكمل إلا إذا شرح الله الصدر ونور القلب[٤].

قوله تعالى: "الله نزل أحسن الحديث" الخ[٥].

لما بين تعالى ذلك أردفه بما يدل على أن القرآن سبب لحصول النور والشفاء والهداية وزيادة الاطمئنان[٦].

قوله تعالى: "أفمن يتقي بوجهه" الخ[٧].

قال أبو السعود: استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالي المهتدي والضال[٨].

قوله تعالى: "كذب الذين من قبلهم" الخ[٩].

لما بين الله تعالى كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الآخرة بين أيضاً كيفية

---

[١] – الزمر: ٢١.

[٢] – التفسير الكبير ٢٦٤/٢٦.

[٣] – الزمر: ٢٢.

[٤] – التفسير الكبير ٢٦٥/٢٦.

[٥] – الزمر: ٢٣.

[٦] – التفسير الكبير ٢٦٧/٢٦.

[٧] – الزمر: ٢٤.

[٨] – أبو سعود ٢٥٢/٧.

[٩] – الزمر: ٢٥.

وقوعهم في العذاب في الدنيا[١].

قوله تعالى: "ولقد ضربنا للناس" الخ[٢].

لما ذكر الله تعالى هذه الفوائد المتكاثرة والنفائس المتوافرة في هذه المطالب بين تعالى أنه بلغت هذه البيانات إلى حد الكمال والتمام[٣].

قوله تعالى: "ضرب الله مثلاً" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بالغ في شرح وعيد الكفار أردفه بذكر مثل ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم[٥].

قوله تعالى: "إنك ميت" الخ[٦].

قال أبو السعود: تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة[٧].

قوله تعالى: "ثم إنكم يوم القيامة" الخ[٨].

قال المسكين: هذا هو المقصود وهو مرتبط بقوله: ضرب الله مثلاً الذي كان تقريراً للتوحيد وهذا اختصام فيه.

قوله تعالى: "فمن أظلم" الخ[٩].

قال أبو السعود: مسوق لبيان كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والإيمان[١٠].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٧٥/٢٦.

[٢] – الزمر: ٢٧.

[٣] – التفسير الكبير ٢٧٥/٢٦.

[٤] – الزمر: ٢٩.

[٥] – التفسير الكبير ٢٧٦/٢٦.

[٦] – الزمر: ٣٠.

[٧] – أبو سعود ٢٥٣/٧.

[٨] – الزمر: ٣١.

[٩] – الزمر: ٣٢.

[١٠] – أبو سعود ٢٥٤/٧.

قوله تعالى: "أليس الله بكاف" الخ[١].

قال المسكين: كان ما سبق بياناً لحال المحقين والمبطلين وهذا جواب عما كان المبطلون يخوفون المحقين به حيث قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون.

قوله تعالى: "ولئن سألتهم" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في وعيد المشركين وفي وعد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الأصنام[٣].

قوله تعالى: "قل يا قوم اعملوا" الخ[٤].

لما أورد الله تعالى عليهم هذه الحجة التي لا دافع لها قال بعده على وجه التهديد: قل الخ[٥].

قوله تعالى: "إنا أنزلنا عليك" الخ[٦].

قال المسكين: هذا تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم عن حزنه بإصرار المشركين على قبائحهم ثم عاد إلى إقامة الدليل على التوحيد.

فقال: "الله يتوفى الأنفس" الخ[٧].

ثم أبطل عقيدتهم الشركية، فقال: "أم اتخذوا من دون الله" الخ[٨].

ثم لزيادة قوة قلبه عليه السلام أمره بالدعاء بقوله: "قل اللهم فاطر السموات" الخ[٩].

---

[١] – الزمر: ٣٦.

[٢] – الزمر: ٣٨.

[٣] – التفسير الكبير ٢٨٢/٢٦.

[٤] – الزمر: ٣٩.

[٥] – التفسير الكبير ٢٨٣/٢٦.

[٦] – الزمر: ٤١.

[٧] – الزمر: ٤٢.

[٨] – الزمر: ٤٣.

[٩] – الزمر: ٤٩.

إذا تحير في أمر الدعوة وضجر من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد.

ثم بين آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته بقوله: "ولو أن للذين ظلموا" الخ[١].

ثم بين تناقضهم القبيح في إنكارهم للتوحيد بأنهم لا يدومون على حال بل ينسبون الكل في حال العجز والحاجة إلى الله تعالى ويقطعون عن الله في حال السلامة والصحة.

فقال تعالى: "فإذا مس الإنسان ضر" الخ[٢].

والتناقض دليل القطع عن الحجة فعلم أن حجتهم على دعواهم الشرك داحضة فثبت التوحيد[٣].

قوله تعالى: "قل يا عبادي الذين" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بشرح كمال رحمته وفضله وإحسانه في حق العبيد[٥].

قال المسكين: وهو أيضاً إزاحة لما عسى أن يختلج في صدر من أمر بالتوحيد أن الشرك الذي مضى منا كيف يغفر فذكر الله تعالى رحمته العامة ومغفرته التامة ثم ذكر شرطها من التوبة والإنابة وأشار في تضاعيفه إلى أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: "الله خالق كل شيء" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما أطال الكلام في شرح الوعد والوعيد عاد إلى دلائل الإلهية والتوحيد[٧].

---

[١] – الزمر: ٤٧.

[٢] – الزمر: ٤٩.

[٣] – التفسير الكبير ٢٨٧/٢٦، ٢٨٨.

[٤] – الزمر: ٥٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢/٢٧.

[٦] – الزمر: ٦٣.

[٧] – التفسير الكبير ١٠/٢٧.

قوله تعالى: "وما قدروا الله حق قدره" الخ[١].

قال المسكين: تتميم للتوحيد ببيان عظمة الله تعالى وتفصيل لأحوال القيامة الذي كان نبذ منها قد ذكر في آيات الإنابة ثم كيفية أحوال أهل العقاب ثم كيفية أحوال أهل الثواب وختم السورة.

---

[١] – الزمر: ٦٨.

سورة المؤمن

لما ختم السورة المتقدمة بذكر أحوال المؤمنين والكافرين في الآخرة بين في أول هذه أحوال الفريقين في الدنيا من كون الكفار على شرف الهلاك وكون المؤمنين محبوبين عند الملائكة حيث يدعون لهم[١].

قوله تعالى: "ما يجادل في آيات الله" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما قرر أن القرآن كتاب أنزله ليهتدي به في الدنيا ذكر أحوال من يجادل لغرض إبطاله وإخفاء أمره[٣].

قوله تعالى: "كذبت قبلهم" الخ[٤].

قال المسكين: كشف عن معنى قوله فلا يغررك الخ.

قوله تعالى: "الذين يحملون العرش" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الكفار يبالغون في إظهار العداوة مع المؤمنين بين أن أشرف طبقات المخلوقات هم الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حول العرش بالغون في إظهار المحبة والنصرة للمؤمنين كأنه تعالى يقول: إن كل هؤلاء الأرزال يبالغون في العداوة فلا تبال بهم ولا تلتفت إليهم ولا تقم لهم وزناً فإن حملة العرش معك والحافون من حول العرش معك وينصرونك[٦].

قوله تعالى: "إن الذين كفروا ينادون" الخ[٧].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – المؤمن: ٤.

[٣] – التفسير الكبير ٢٩/٢٧.

[٤] – المؤمن: ٥.

[٥] – المؤمن: ٧.

[٦] – التفسير الكبير ٣١/٢٧.

[٧] – المؤمن: ١٠.

اعلم أنه تعالى لما عاد إلى شرح أحوال الكافرين المجادلين في آيات الله وهم الذين ذكرهم الله في قوله: "ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا" بين أنهم في القيامة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب الذي ينزل بهم ويسئلون الرجوع إلى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم[١].

قوله تعالى: "ذلكم بأنه إذا دعي الله" الخ[٢].

قال أبو السعود: جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة[٣].

قوله تعالى: "هو الذي يريكم آياته" الخ[٤].

قال المسكين: لما علل في الآية السابقة عذابهم بإشراكهم أشار إلى دلائل التوحيد وبين في تضاعيفه أحوال القيامة تتميماً لما مر من بعض أحوالها وامتد هذا إلى قوله: "إن الله هو السميع العليم".

قوله تعالى: "أولم يسيروا في الأرض" الخ[٥].

لما بالغ في تخويف الكفار بعذاب الآخرة أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا[٦].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا موسى" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما سلى رسوله بذكر الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم سلاه أيضاً بذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام وأنه مع قوة معجزاته بعثه إلى فرعون وهامان وقارون فكذبوه وكابروه وقالوا: هو ساحر كذاب[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ٣٨/٢٧.

[٢] – المؤمن: ١٢.

[٣] – أبو سعود ٢٦٩/٧.

[٤] – المؤمن: ١٣.

[٥] – المؤمن: ٢١.

[٦] – التفسير الكبير ٥٢/٢٧.

[٧] – المؤمن: ٢٣.

[٨] – التفسير الكبير ٥٤/٢٧.

قوله تعالى: "وإذ يتحاجون" الخ[١].

اعلم أن الكلام في تلك القصة لما انجر إلى شرح أحوال النار لا جرم ذكر الله عقيبها قصة المناظرات التي تجري بين الرؤساء والاتباع من أهل النار[٢].

قوله تعالى: "إنا لننصر رسلنا" الخ[٣].

إن الكلام في أول السورة إنما وقع من قوله: ما يجادل في آيات الله الخ. وامتد الكلام في الرد على أولئك المجادلين وعلى أن المحقين كانوا مشغولين بدفع كيد المبطلين وكل ذلك إنما ذكره الله تعالى تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتصبيراً له على تحمل أذى قومه ولما بلغ الكلام في تقرير المطلوب إلى الغاية القصوى وعد تعالى رسوله بأن ينصر على أعدائه في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولما بين الله تعالى أنه ينصر الأنبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر نوعاً من أنواع تلك النصرة في الدنيا[٤].

فقال: "ولقد آتينا موسى الهدى" الخ[٥].

ولما بين أن الله تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب الأمثال في ذلك بحال موسى خاطب بعد ذلك محمداً صلى الله عليه وسلم[٦].

فقال: "فاصبر إن وعد الله حق" الخ[٧].

فالله ناصرك ثم أمره بأن يقبل على طاعة الله[٨].

قوله تعالى: "إن الذين يجادلون" الخ[١].

---

[١] – المؤمن: ٤٧.

[٢] – التفسير الكبير ٢٧/٧٤.

[٣] – المؤمن: ٥١.

[٤] – التفسير الكبير ٢٧/٧٥ و٧٦.

[٥] – المؤمن: ٥٣.

[٦] – التفسير الكبير ٢٧/٧٧.

[٧] – المؤمن: ٥٥.

[٨] – التفسير الكبير ٢٧/٧٧.

اعلم أنا بينا أن الكلام في أول هذه السورة إنما ابتدئ رداً على الذين يجادلون في آيات الله تعالى واتصل البعض بالبعض وامتد على الترتيب الذي لخصناه والنسق الذي كشفنا عنه إلى هذا الموضع ثم أنه تعالى نبه في هذه الآية على الداعية التي تحمل أولئك على تلك المجادلة[٢].

قوله تعالى: "لخلق السموات" ألخ[٣].

قال أبو السعود: تحقيق للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون منه من أمر البعث على منهاج[٤].

قوله تعالى: "أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم" الخ[٥].

قال المسكين: لما أقام الدليل على صحة البعث فقبل بعض وأنكر بعض بين الفرق بينهما بمثال.

قوله تعالى: "إن الساعة لآتية" الخ[٦].

لما قرر الدليل على إمكان وجود يوم القيامة أردفه بأن أخبر عن وقوعها ودخولها في الوجود[٧].

قوله تعالى: "وقال ربكم ادعوني" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بين أن القول بالقيامة حق وصدق وكان من المعلوم بالضرورة أن الإنسان لا ينتفع يوم القيامة إلا بطاعة الله وكان أشرف أنواع الطاعات

---

[٩] – المؤمن: ٥٦.

[١] – التفسير الكبير ٧٨/٢٧ و٧٩.

[٢] – المؤمن: ٥٧.

[٣] – أبو سعود ٢٨١/٧.

[٤] – المؤمن: ٥٨.

[٥] – المؤمن: ٥٩.

[٦] – التفسير الكبير ٨٠/٢٧.

[٧] – المؤمن: ٦٠.

الدعاء والتضرع لا جرم أمر الله تعالى به في هذه الآية[١].

قوله تعالى: "الله الذي جعل لكم الليل" الخ[٢].

قال المسكين: لما أمر الله تعالى في الآية السابقة بالعبادة وأصل العبادة التوحيد فأقام الدلائل على التوحيد إلى قوله: "فإنما يقول له كن فيكون".

قوله تعالى: "ألم تر إلى الذين يجادلون" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى عاد إلى ذم الذين يجادلون في آيات الله[٤].

قوله تعالى: "فاصبر إن وعد الله حق" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم بتلك المجادلات[٦].

قوله تعالى: "الله الذي جعل لكم الأنعام إلى آخر السورة" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى راعى ترتيباً لطيفاً في آخر هذه السورة وذلك أنه ذكر فصلاً في دلائل الإلهية (مناسبة لقوله تعالى: "الذي جعل لكم الليل" الخ) ثم أردفه بفصل في التهديد والوعيد (مناسبة لقوله: فإما نرينك)[٨].

---

[١] – التفسير الكبير ٨٠/٢٧.

[٢] – المؤمن: ٦١.

[٣] – المؤمن: ٦٩.

[٤] – التفسير الكبير ٨٧/٢٧.

[٥] – المؤمن: ٧٧.

[٦] – التفسير الكبير ٨٨/٢٧.

[٧] – المؤمن: ٨٠.

[٨] – التفسير الكبير ٩٠/٢٧ وما بين القوسين من الهامش.

سورة حم السجدة

ختم السورة المتقدمة على التوحيد والتهديد وكذا افتتح هذه بالتوحيد كما قال: قل أئنكم لتكفرون الخ وبالتهديد كما قال: فإن أعرضوا الخ[١].

قال المسكين: الأقرب أن المقصود ههنا إثبات التوحيد الذي صرح به في قوله: "قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض" الخ والذي قبله من كون القرآن منزلا من الرحمن الرحيم كالتمهيد له لاشتمال القرآن على التوحيد وذكر معه إعراض الكفار والجواب عنه والأمر بالاستقامة والاستغفار والوعيد على الشرك والوعد للمؤمنين استطراداً وذكر أيضاً في تضاعيفه ما هو المقصود من قوله: إنما إلهكم إله واحد.

قوله تعالى: "قل أئنكم لتكفرون" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما أمر محمداً صلى الله عليه وسلم في الآية الأولى أن يقول: "إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد" أردفه بما يدل على أنه لا يجوز إثبات الشركة بينه تعالى وبين هذه الأصنام في الإلهية والمعبودية[٣].

قوله تعالى: "فإن أعرضوا" الخ[٤].

اعلم أن الكلام إنما ابتدئ من قوله: "إنما إلهكم إله واحد" واحتج عليه بقوله: "قل أئنكم لتكفرون" وحاصله أن الإله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز الكفر به وكيف يجوز جعل هذه الأجسام الخسيسة شركاء له في الإلهية ولما تمم تلك الحجة[٥].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – حم السجدة: ٩.

[٣] – التفسير الكبير ١٠١/٢٧.

[٤] – حم السجدة: ١٣.

[٥] – التفسير الكبير ١١٠/٢٧.

قال: "فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود" الخ[١].

وبيان ذلك أن وظيفة الحجة قد تمت على أكمل الوجوه فإن بقوا مصرين على الجهل لم يبق علاج في حقهم إلا إنزال العذاب عليهم[٢].

قوله تعالى: "ويوم يحشر أعداء الله" الخ[٣].

اعلم أنه تعالى لما بين كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا أردفه بكيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير[٤].

قوله تعالى: "وقيضنا لهم قرناء" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفار أردفه بذكر السبب الذي لأجله وقعوا في ذلك الكفر[٦].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لا تسمعوا" الخ[٧].

قال المسكين: بيان لتزئين كفرهم بحيث لا يودون سماع الهداية ثم بين وعيدهم بالعذاب ثم عين ذلك العذاب أنه النار.

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا ربنا" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما بين أن الذي حملهم على الكفر الموجب للعقاب الشديد مجالسة قرناء السوء بين أن الكفار عند الوقوع في العذاب الشديد يقولون: ربنا أرنا[٩].

---

[١] – حم السجدة: ١٣.

[٢] – التفسير الكبير ١١٠/٢٧.

[٣] – حم السجدة: ١٩.

[٤] – التفسير الكبير ١١٥/٢٧.

[٥] – حم السجدة: ٢٥.

[٦] – التفسير الكبير ١١٨/٢٧.

[٧] – حم السجدة: ٢٦.

[٨] – حم السجدة: ٢٩.

[٩] – التفسير الكبير ١٢٠/٢٧.

قوله تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعيد أردفه بهذا الوعد الشريف وهذا ترتيب لطيف مدار كل القرآن عليه[٢].

قوله تعالى: "ومن أحسن قولاً" الخ[٣].

قال المسكين آخذاً من الكبير وأبي السعود: لما ذكر الله تعالى في أول السورة ما قالوه للنبي صلى الله عليه وسلم من أن قلوبنا في أكنة وفي وسطها من قولهم: لا تسمعوا لهذا القرآن الخ وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى بهذه الأقوال أمره تعالى في هذه الآيات بالصبر على الدعوة وعلى إيذائهم ومقابلة إسائتهم بالإحسان[٤].

قوله تعالى: "ومن آياته الليل والنهار" الخ[٥].

قال المسكين: عود إلى التوحيد وإقامة الدلائل عليه وأشار في آخر الدلائل إلى صحة البعث بقوله: إن الذي أحياها لمحي الموتى الخ.

قوله تعالى: "إن الذين يلحدون في آياتنا" الخ[٦].

قال المسكين: لما أقام الله تعالى الدلائل هدد من ينازع في هذه الدلائل ويلحد فيها.

قوله تعالى: "إن الذين كفروا بالذكر" الخ[٧].

قال المسكين: كان ما قبلها بياناً للآيات التكونية وهذا بيان للآيات التنزيلية وشرفها مع التسلية لرسوله عليه الصلاة والسلام في قوله: "ما يقال لك إلا ما قد قيل" الخ.

---

[١] – حم السجدة: ٣٠.

[٢] – التفسير الكبير ١٢٢/٢٧.

[٣] – حم السجدة: ٣٣.

[٤] – التفسير الكبير ١٢٤/٢٧ أبو سعود ١٤/٨.

[٥] – حم السجدة: ٣٧.

[٦] – حم السجدة: ٤٠.

[٧] – حم السجدة: ٤١.

قوله تعالى: "ولو جعلناه قرآنا أعجمياً" الخ[١].

هذا الكلام متعلق بقوله: "وقالوا قلوبنا في أكنة" (ولا يلزم منه قطعه عما اتصل به لأن الجامع بينهما البحث عن شأن القرآن) وجواب له والتقدير إنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم لكان لهم أن يقولوا كيف أرسلت الكلام العجمي إلى القوم العرب ويصح لهم أن يقولوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه أي من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لا نفهمه ولا نحيط بمعناه. أما لما أنزلنا هذا الكتاب بلغة العرب وبألفاظهم وأنتم من أهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء أن قلوبكم في أكنة منها وفي آذانكم وقر منها[٢].

قوله تعالى: "ولقد آتينا موسى" الخ[٣].

قال أبو السعود: كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتاب عادة قديمة غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى: ما يقال لك إلا ما قد قيل الخ[٤].

قوله تعالى: "إليه يرد علم الساعة" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما هدد الكفار بقوله: من عمل صالحا الخ ومعناه أن جزاء كل أحد يصل إليه في يوم القيامة وكأن سائلاً قال: ومتى يكون ذلك اليوم فقال تعالى: إنه لا سبيل للخلق إلى معرفة ذلك اليوم ولا يعلمه إلا الله ولما بين الله تعالى من حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بإثبات الشركاء والأضداد لله تعالى في الدنيا وتبرؤوا عن تلك الشركاء في الآخرة بين أن الإنسان في جميع الأوقات متبدل الأحوال متغير المنهج فإن أحس بخير وقدرة انتفخ وتعظم وإن أحسن ببلاء ومحنة ذبل[٦].

---

[١] – حم السجدة: ٤٤.

[٢] – التفسير الكبير ١٣٣/٢٧ وما بين القوسين من هامش الكتاب.

[٣] – حم السجدة: ٤٥.

[٤] – أبو سعود ١٧/٨.

[٥] – حم السجدة: ٤٧.

[٦] – التفسير الكبير ١٣٦/٢٧ و١٣٧.

فقال: "لا يسأم الإنسان" الخ[١].

واعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد العظيم على الشرك وبين أن المشركين يرجعون عن القول بالشرك في يوم القيامة ذكر عقيبه كلاماً آخر يوجب على هؤلاء الكفار أن لا يبالغوا في إظهار النفرة من قبول التوحيد وأن لا يفرطوا في إظهار العداوة مع الرسول صلى الله عليه وسلم[٢].

فقال: "قل أرأيتم إن كان من عند الله" الخ[٣].

ولما ذكر هذه الوجوه الكثيرة في تقرير التوحيد والنبوة وأجاب عن شبهات المشركين وتمويهات الضالين[٤].

قال: "سنريهم آياتنا" الخ ثم قال: "أو لم يكف بربك" الخ[٥].

والمعنى ألم تكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي أوضحها الله تعالى وقررها في هذه السورة وفي كل سور القرآن، الدالة على التوحيد والنبوة والمعاد.

ثم ختم السورة بقوله: "ألا إنهم في مرية" الخ[٦].

يعني أن القوم في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيامة[٧] (فهو مرتبط بقوله: إليه يرد علم الساعة)[٨].

---

[١] – حم السجدة: ٤٩.

[٢] – التفسير الكبير ١٣٨/٢٧.

[٣] – حم السجدة: ٥٢.

[٤] – التفسير الكبير ١٣٨/٢٧، ١٣٩.

[٥] – حم السجدة: ٥٣.

[٦] – حم السجدة: ٥٤.

[٧] – التفسير الكبير ١٤٠/٢٧: وما بين القوسين من الهامش.

[٨] – حم السجدة: ٤٧.

سورة الشورى

لما ختم السورة المتقدمة بذكر البعث في قوله: "ألا أنهم في مرية من لقاء ربهم" افتتح هذه السورة بذكر التوحيد وتلازمهما ظاهر[١].

قوله تعالى: "كذلك يوحي إليك" الخ[٢].

هذه المماثلة المراد منها المماثلة في الدعوة إلى التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب في التوجه إلى الآخرة ولما ذكر أن هذا الكتاب حصل بالوحي بين أن الموحي من هو فقال: "إنه هو العزيز الحكيم" والصفة الثالثة قوله: "له ما في السموات وما في الأرض" والصفة الرابعة والخامسة قوله تعالى: "وهو العلي العظيم" الخ[٣].

قوله تعالى: "تكاد السموات يتفطرن" الخ[٤].

لما بين أن الموحي لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم بين وصف جلاله وكبريائه فقال: "تكاد السموات يتفطرن من فوقهن" أي من هيبته وجلاله[٥].

ثم قال: "والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض" الخ[٦].

اعلم أن مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات وأعظمها السموات وعالم الروحانيات وأعظمها الملائكة والله تعالى يقرر كمال عظمته لأجل نفاذ قدرته وهيبته في الجسميات ثم يردفه بنفاذ قدرته واستيلاء هيبته على الروحانيات وقوله تعالى: "يسبحون بحمد ربهم" إشارة إلى الوجه الذي لهم إلى عالم الجلال والكبرياء وقوله:

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الشورى: ٣.

[٣] – التفسير الكبير ١٤٢/٢٧.

[٤] – الشورى: ٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٤٤/٢٧.

[٦] – الشورى: ٥.

"يستغفرون لمن في الأرض إشارة إلى الوجه الذي لهم إلى عالم الأجسام[١].

ثم قال تعالى: "والذين اتخذوا من دونه أولياء" الخ[٢].

أي جعلوا له شركاء وأنداداً وهو محاسبهم عليها إنما أنت منذر[٣].

قال المسكين: ثم بين الله تعالى كونه عليه السلام منذراً.

بقوله تعالى: "وكذلك أوحينا إليك" الخ[٤].

ثم بين شأن اليوم الذي أمر عليه الصلاة والسلام بالإنذار منه فقال: لا ريب فيه هذه صفته الأولى وقال: "فريق في الجنة وفريق في السعير" وهذه صفته الثانية أي هو يوم الفصل[٥].

قوله تعالى: "ولو شاء الله لجعلهم" الخ[٦].

المراد تقرير قوله تعالى: والذين اتخذوا – إلى قوله – وما أنت عليهم بوكيل[٧].

ثم قال تعالى: "أم اتخذوا من دونه أولياء" الخ[٨].

أعاد ذلك الكلام على سبيل الاستنكار[٩].

ثم قال: "وما اختلفتم فيه من شيء" الخ[١٠].

وجه النظم أنه تعالى كما منع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل الكفار

---

[١] – التفسير الكبير ١٤٤/٢٧.

[٢] – الشورى: ٦.

[٣] – التفسير الكبير ١٤٦/٢٧.

[٤] – الشورى: ٧.

[٥] – التفسير الكبير ١٤٨/٢٧.

[٦] – الشورى: ٨.

[٧] – التفسير الكبير ١٤٨/٢٧.

[٨] – الشورى: ٩.

[٩] – التفسير الكبير ١٤٨/٢٧.

[١٠] – الشورى: ١٠.

على الإيمان قهراً فكذلك منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخصومات والمنازعات[١].

قال المسكين: ثم وصف الحاكم نفسه بأنه هو الرب الذي يحق التوكل عليه والإنابة إليه: "فاطر السموات والأرض" (إلى قوله) "إنه بكل شيئ عليم".

قوله تعالى: "شرع لكم من الدين" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما عظم وحيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: كذلك يوحي إليك الخ ذكر في هذه الآية تفصيل ذلك[٣].

قوله تعالى: "كبر على المشركين" الخ[٤].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم[٥].

قوله تعالى: "الله يجتبي إليه" الخ[٦].

قال أبو السعود: استيناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة[٧].

قوله تعالى: "وما تفرقوا" الخ[٨].

قال أبو السعود: شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ١٤٩/٢٧.

[٢] – الشورى: ١٣.

[٣] – التفسير الكبير ١٥٥/٢٧.

[٤] – الشورى: ١٣.

[٥] – أبو سعود ٢٦/٨.

[٦] – الشورى: ١٣.

[٧] – أبو سعود ٢٦/٨.

[٨] – الشورى: ١٤.

[٩] – أبو سعود ٢٦/٨.

قوله تعالى: "وإن الذين أورثوا الكتاب" الخ[١].

قال أبو السعود: بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن إثر كيفية كفر أهل الكتاب[٢].

قوله تعالى: "فلذلك فادع" الخ[٣].

قال المسكين: تفريع على الاختلاف أي لما وقع الاختلاف وجب الدعوة إلى الإنفاق مع الاستقامة والإعراض عن أهوائهم والإيمان والعدل وإتمام الحجة.

قوله تعالى: "والذي يحاجون" الخ[٤].

قال المسكين: لما تمم الله الحجة هدد من يعاند فيها بغير حق.

قوله تعالى: "الله الذي أنزل الكتاب" الخ[٥].

لما قرر الله هذه الدلائل خوف المنكرين بعذاب القيامة والمعنى على ما قال أبو السعود: إنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الأعمال ويوفي جزائها[٦].

قوله تعالى: "يستعجل بها الذين" الخ[٧].

قال المسكين: لما قرر أمر الساعة ذكر أن لها منكرين ومصدقين.

قوله تعالى: "الله لطيف" الخ[٨].

قال المسكين: لعله جواب عن استعجالهم أي لا تغتروا بالإمهال الذي منشأه اللطف والربوبية وهذا الإمهال لا يدوم لأنه القوي العزيز.

---

[١] – الشورى: ١٤.

[٢] – أبو سعود ٢٧/٨.

[٣] – الشورى: ١٥.

[٤] – الشورى: ١٦.

[٥] – الشورى: ١٧.

[٦] – أبو سعود ٢٨/٨.

[٧] – الشورى: ١٨.

[٨] – الشورى: ١٩.

قوله تعالى: "من كان يريد" الخ[١].

قال المسكين: تقرير لعدم الاغترار بالعاجلة وترغيب في الآجلة.

قوله تعالى: "أم لهم شركاء" الخ[٢].

قال المسكين: ذم على ردهم الشرع الذي وصى به نوحاً الخ وإنكارهم للبعث ووعيد لهم بالعذاب إذا ارتفع المانع.

قوله تعالى: "ترى الظالمين" الخ[٣].

قال المسكين: بيان لوقوع العذاب بالظالمين وحصول الثواب لمقابليهم وانجر هذا إلى قوله: غفور شكور وأورد في أثناء الكلام في صورة الجملة المعترضة ما يبرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب الأجر على التبليغ ليدل على خلوصه وصدقه ووقوع ما أخبر به حتماً.

قوله تعالى: "أم يقولون افترى" الخ[٤].

اعلم أن الكلام في أول هذه السورة إنما ابتدأ في تقرير أن هذا الكتاب إنما حصل بوحي الله وهو قوله تعالى: كذلك يوحي إليك واتصل الكلام في تقرير هذا المعنى وتعلق البعض بالبعض حتى وصل إلى ههنا ثم حكى ههنا شبهة القوم وهي قولهم أن هذا ليس وحياً من الله تعالى[٥].

قوله تعالى: فإن يشأ الله" الخ[٦].

قال أبو السعود: استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله لمنعه من ذلك قطعاً. وقيل المعنى إن يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فإنه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤاده استبعاد الافتراء من

---

[١] – الشورى: ٢٠.

[٢] – الشورى: ٢١.

[٣] – الشورى: ٢٢.

[٤] – الشورى: ٢٤.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٧/٢٧.

[٦] – الشورى: ٢٤.

مثله عليه السلام[١].

قوله تعالى: "ويمحو الله" الخ[٢].

قال أبو السعود: استيناف مقرر لنفي الافتراء ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه بنصرته عليهم[٣].

قوله تعالى: "وهو الذي يقبل التوبة" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما قال: أم يقولون افترى الخ ثم برأ رسوله ما أضافوه إليه من هذا وكان من المعلوم أنهم قد استحقوا بهذه الفرية عقاباً عظيماً لا جرم ندبهم الله تعالى إلى التوبة وعرفهم أنه يقبلها من كل مسيئ وإن عظمت إساءته[٥].

قوله تعالى: "ولو بسط الله الرزق" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قال في الآية الأولى أنه يجيب دعاء المؤمنين ورد عليه سوال وهو أن المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر ثم يدعوا فلا يشاهد إثر الإجابة فكيف الحال فيه مع ما تقدم من قوله: ويستجيب الذين آمنوا فأجاب الله تعالى عنه بقوله: "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض" ولأقدموا على المعاصي ولما كان ذلك محذوراً وجب أن لا يعطيهم ما طلبوه ولما بين تعالى أنه لا يعطيهم ما زاد على قدر حاجتهم لأجل أنه علم أن تلك الزيادة تضرهم في دينهم بين أنهم إذا احتاجوا إلى الرزق فإنه لا يمنعهم منه[٧].

---

[١] – أبو سعود ٣٠/٨.

[٢] – الشورى: ٢٤.

[٣] – أبو سعود ٣١/٨.

[٤] – الشورى: ٣٥.

[٥] – التفسير الكبير ١٦٨/٢٧.

[٦] – الشورى: ٢٧.

[٧] – التفسير الكبير ١٧٠/٢٧.

فقال: وهو الذين ينزل الغيث" الخ[١].

ثم ذكر آية آخر تدل على إلهيته[٢].

فقال: "ومن آياته خلق السموات" الخ[٣].

قال المسكين: ثم أشار إلى صحة البعث إثر بيان الألوهية كما هو الشائع في القرآن فقال: وهو على جمعهم أي حشرهم بعد البعث للمحاسبة إذا يشاء قدير ثم أشار إلى أنموذج المحاسبة الواقع في الدنيا دفعاً لاستبعاد المحاسبة في الآخرة.

فقال: "وما أصابكم من مصيبة" الخ[٤].

ثم بين عدم قدرتهم على الهرب عن المحاسبة فقال: "وما أنتم بمعجزين" الخ[٥].

ثم عاد إلى ذكر دليل الألوهية.

فقال: "ومن آياته الجوار في البحر" الخ[٦].

في الكبير: اعلم أن المقصود من ذكره أمران أحدهما أن يستدل به على وجود القادر الحكيم والثاني أن يعرف ما فيه من النعم العظيمة لله تعالى على العباد الخ[٧].

ثم قال تعالى: "إن يشأ يسكن الريح" الخ[٨].

والمقصود التنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يكون غافلاً عن دلائل معرفة الله تعالى البتة.

---

[١] – الشورى: ٢٨.

[٢] – التفسير الكبير ١٧٠/٢٧.

[٣] – الشورى: ٢٩.

[٤] – الشورى: ٣٠.

[٥] – الشورى: ٣١.

[٦] – الشورى: ٣٢.

[٧] – التفسير الكبير ١٧٤/٢٧.

[٨] – الشورى: ٣٣.

واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها لأن الذي يمنع من قبول الدليل إنما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه فإذا صغرت الدنيا في عين الرجل لم يلتفت إليها فحينئذ ينتفع بذكر الدلائل فقال: "فما أوتيتم من شيئ" الخ[١]. ثم قال: "وما عند الله خير وأبقى" الخ[٢].

ثم بين أن هذه الخيرية إنما تحصل لمن كان موصوفاً بصفات أن يكون من المؤمنين[٣].

قوله تعالى: "ومن يضلل الله فما له من ولي" الخ[٤].

قال المسكين: لما ذكر في الآيات السابقة حال المهتدين واستحقاقهم لما عند الله من الثواب ذكر في هذه الآية حال الضالين واستحقاقهم للعذاب والحسرة.

قوله تعالى: "استجيبوا لربكم" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما أطنب في الوعد والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود[٦].

قوله تعالى: "فإن أعرضوا" الخ[٧].

وذلك تسلية من الله تعالى ثم أنه تعالى بين السبب في إصرارهم على مذاهبهم الباطلة[٨].

فقال: "وإنا إذا أذقنا الإنسان" الخ[٩].

ولما ذكر الله تعالى إذاقة الإنسان الرحمة وإصابته بضدها اتبع ذلك[١]

---

[١] – التفسير الكبير ١٧٦/٢٧.

[٢] – الشورى: ٣٦.

[٣] – التفسير الكبير ١٧٦/٢٧.

[٤] – الشورى: ٤٤.

[٥] – الشورى: ٤٧.

[٦] – التفسير الكبير ١٨٣/٢٧.

[٧] – الشورى: ٤٨.

[٨] – التفسير الكبير ١٨٣/٢٧.

[٩] – الشورى: ٤٨.

بقوله تعالى: "ولله ملك السموات" الخ[٢].

المقصود منه أن لا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك الله وملكه وإنما حصل ذلك القدر تحت يده لأن الله أنعم عليه به فحينئذ يصير ذلك حاملاً له على مزيد الطاعة والخدمة ثم ذكر من أقسام تصرف الله في العالم[٣].

قوله تعالى: "وما كان لبشر" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما بين كمال قدرته وعلمه وحكمته اتبعه ببيان أنه كيف يخص أنبيائه بوحيه وكلامه[٥].

قال المسكين: وفي هذا جواب عن قول اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً وكان مقصودهم القدح في النبوة فأزاح الله هذه الشبهة تقريراً للنبوة بعد تقرير التوحيد.

٠[١] – التفسير الكبير ١٨٣/٢٧.

[١] – الشورى: ٤٩.

[٢] – التفسير الكبير ١٨٤/٢٧.

[٣] – الشورى: ٥١.

[٤] – التفسير الكبير ١٨٦/٢٧.

سورة الزخرف

كان خاتمة السورة التي قبلها في إثبات التوحيد والنبوة فكذا فاتحة هذه السورة في إثبات الأمرين[١].

قال المسكين: افتتح الله هذه السورة بإثبات النبوة وبإثبات كون القرآن منزلاً من الله تعالى مع الوعيد للمنكرين.

قوله تعالى: "ولئن سألتهم" الخ[٢].

قال المسكين: إثبات للتوحيد مع الإشارة إلى البعث إثر إثبات النبوة.

قوله تعالى: "وجعلوا له من عباده" الخ[٣].

توبيخ على إشراكهم بإثبات الجزء له تعالى وإثبات البنات له تعالى لا سيما جعل الملائكة بنات له[٤].

قوله تعالى: "وقالوا لو شاء الرحمن" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى حكى نوعاً آخر من كفرهم وشبهاتهم[٦].

قوله تعالى: "وإذ قال إبراهيم" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما بين في الآية المتقدمة أنه ليس لأولئك الكفار داع يدعوهم إلى تلك الأقاويل الباطلة إلا تقليد الآباء والأسلاف ثم بين أنه طريق باطل ومنهج فاسد وأن الرجوع إلى الدليل أولى من الاعتماد على التقليد أردفه بهذه الآية والمقصود منها

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الزخرف: ٩.

[٣] – الزخرف: ١٥.

[٤] – هذا أيضاً لم أجده في الكبير ولا في أبي السعود والله أعلم به.

[٥] – الزخرف: ٢٠.

[٦] – التفسير الكبير ٢٠٤/٢٧.

[٧] – الزخرف: ٢٦.

ذكر وجه آخر يدل على فساد القول بالتقليد وتقريره أنه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه تبرأ عن دين آبائه بناء على الدليل[١].

ثم قال تعالى: "بل متعت هؤلاء" الخ[٢].

وجه النظم أنه لما عولوا على تقليد الآباء ولم يتفكروا في الحجة اغتروا بطول الإمهال وامتاع الله إياهم بنعيم الدنيا فأعرضوا عن الحق[٣].

قوله تعالى: "وقالوا لو لا نزل هذا القرآن" الخ[٤].

اعلم أن هذا من كفرياتهم التي حكاها الله تعالى عنهم في هذه السورة ثم أبطل الله تعالى هذه الشبهة[٥].

قوله تعالى: "ولو لا أن يكون" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى أجاب عن الشبهة التي ذكروها بناءً على تفضيل الغني على الفقير وهو أنه تعالى بين أن منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله[٧].

قوله تعالى: "ومن يعش عن ذكر الله" الخ[٨].

المراد منه التنبيه على آفات الدنيا وذلك أن من فاز بالمال والجاه صار كالأعشى عن ذكر الله ومن صار كذلك صار من جلساء الشياطين الضالين المضلين[٩].

١- التفسير الكبير ٢٠٧/٢٧.

٢ - الزخرف: ٢٩.

٣ - التفسير الكبير ٢٠٨/٢٧.

٤ - الزخرف: ٣١.

٥ - التفسير الكبير ٢٠٩/٢٧.

٦ - الزخرف: ٣٣.

٧ - التفسير الكبير ٢١١/٢٧.

٨ - الزخرف: ٣٦.

٩ - التفسير الكبير ٢١٢/٢٧.

قوله تعالى: "أفأنت تسمع الصم" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما وصفهم في الآية المتقدمة بالعشي وصفهم في هذه الآية بالصم والعمي[٢].

قوله تعالى: "فإما نذهبن بك" الخ[٣].

اعلم أن هذا الكلام يفيد كمال التسلية للرسول عليه السلام لأنه تعالى بين أنهم لا تؤثر فيهم دعوته واليأس إحدى الراحتين ثم بين أنه لا بد وأن ينتقم لأجله منهم إما حال حيوته أو بعد وفاته وذلك أيضاً يوجب التسلية فبعد هذا أمره أن يتمسك بما أمره الله تعالى[٤].

فقال: "فاستمسك بالذي أوحي إليك" الخ[٥].

ولما بين تأثير التمسك بهذا الدين في منافع الدين بين أيضاً تأثيره في منافع الدنيا[٦].

فقال: "وإنه لذكر لك" الخ[٧].

واعلم أن السبب الأقوى في إنكار الكفار لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولبغضهم له أنه كان ينكر عبادة الأصنام فبين تعالى أن إنكار عبادة الأصنام ليس من خواص دين محمد صلى الله عليه وسلم بل كل الأنبياء والرسل كانوا مطبقين على إنكاره[٨].

---

[١] – الزخرف: ٤٠.

[٢] – التفسير الكبير ٢١٤/٢٧ و٢١٥.

[٣] – الزخرف: ٤١.

[٤] – التفسير الكبير ٢١٥/٢٧.

[٥] – الزخرف: ٤٣.

[٦] – التفسير الكبير ٢١٥/٢٧.

[٧] – الزخرف: ٤٤.

[٨] – التفسير الكبير ٢١٥/٢٧.

فقال: "واسأل من أرسلنا" الخ[١].

قوله تعالى: "ولقد أرسلنا موسى" الخ[٢].

اعلم أن المقصود من إعادة قصة موسى عليه السلام وفرعون في هذا المقام تقرير الكلام الذي تقدم وذلك لأن كفار قريش طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب كونه فقيراً عديم المال والجاه فبين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات الباهرة التي لايشك على صحتها عاقل أورد فرعون عليه هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش[٣].

قوله تعالى: "ولما ضرب ابن مريم" الخ[٤].

قال المسكين: حكاية لقصة عيسى عليه السلام إثر قصة موسى عليه السلام والمقصود تقرير أمر التوحيد ببيان كونه عليه السلام عبدا والجواب عن الشبهة التي تمسك بها النصارى من كون خلقه أبدع ببيان كون الملائكة في خلقهم أبدع وكونهم مع ذلك عباداً له تعالى مقهورين مسخرين قابلين لتصرفه تعالى فيهم مع الإشارة في أثناء الكلام إلى صحة البعث بكونه عليه السلام علامة لها إما بنزوله شرطاً من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى والتصريح بمجيئه عليه السلام بالبينات والتوحيد ووعيد المنكرين لعذاب اليوم الأليم ووقوع الساعة بهم بغتة.

قوله تعالى: "الأخلاء يومئذ" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما قال: "هل ينظرون" الخ ذكر عقيبه بعض ما يتعلق بأحوال القيامة[٦].

---

[١] – الزخرف: ٤٥.

[٢] – الزخرف: ٤٦.

[٣] – التفسير الكبير ٢١٧/٢٧.

[٤] – الزخرف: ٥٧.

[٥] – الزخرف: ٦٧.

[٦] – التفسير الكبير ٢٢٤/٢٧.

قوله تعالى: "إن المجرمين في عذاب" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن[٢].

قوله تعالى: "قل إن كان للرحمن ولد" الخ[٣].

قال المسكين: عود إلى تقرير التوحيد مع الوعيد للمشركين وتسليته عليه السلام إلى آخر السورة.

---

[١] – الزخرف: ٥٧.

[٢] – التفسير الكبير ٢٢٦/٢٧.

[٣] – الزخرف: ٨١.

سورة الدخان

لما ختم السورة السابقة بتقرير التوحيد بدئ هذه بتعظيم القرآن الدال على النبوة ولا يخفى تعانق التوحيد والنبوة[١].

قوله تعالى: "حم والكتاب المبين" الخ[٢].

اعلم أن المقصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته، الثاني تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه، الثالث بيان تعظيمه بحسب شرف منزله[٣].

ثم إنه تعالى ردّ أن يكونوا موقنين، بقوله: "بل هم في شك يلعبون" الخ[٤].

وإن إقرارهم غير صادر عن يقين[٥].

قوله تعالى: "فارتقب يوم تأتي السماء" الخ[٦].

قال المسكين: بيان لوعيد المصرين على الكفر.

قوله تعالى: "ولقد فتنا قبلهم" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أن كفار مكة مصرون على كفرهم بين أن كثيراً من المتقدمين كانوا كذلك فبين حصول هذه الصفة في أكثر قوم فرعون[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الدخان: ١ و٢.

[٣] – التفسير الكبير ٢٣٩/٢٧.

[٤] – الدخان: ٤.

[٥] – التفسير الكبير ٢٤١/٢٧.

[٦] – الدخان: ١٠.

[٧] – الدخان: ١٧.

[٨] – التفسير الكبير ٢٤٥/٢٧.

قوله تعالى: "ولقد نجينا" الخ[١].

اعلم أنه تعالى لما بين كيفية إهلاك فرعون وقومه بين كيفية إحسانه إلى موسى وقومه[٢].

قوله تعالى: "إن هؤلاء ليقولون" الخ[٣].

رجع إلى الحديث الأول وهو كون كفار مكة منكرين للبعث ولما حكى الله عنهم ذلك[٤]

قال: "أهم خير أم قوم تبع" الخ[٥].

والمعنى أن كفار مكة لم يذكروا في نفي الحشر والنشر شبهة حتى يحتاج إلى الجواب عنها ولكنهم أصروا على الجهل فلهذا السبب اقتصر الله تعالى على الوعيد فقال: إن سائر الكفار كانوا أقوى من هؤلاء ثم إن الله تعالى أهلكهم فكذلك يهلك هؤلاء ثم إنه تعالى ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة[٦].

فقال: "وما خلقنا السموات" الخ[٧].

ولو لم يحصل البعث لكان هذا الخلق لعباً وعبثاً[٨].

قوله تعالى: "إن يوم الفصل" الخ[٩].

اعلم أن المقصود من قوله: "وما خلقنا السموات" الخ إثبات القول بالبعث

---

[١] – الدخان: ٣٠.

[٢] – التفسير الكبير ٢٤٨/٢٧.

[٣] – الدخان: ٣٤.

[٤] – التفسير الكبير ٢٤٩/٢٧.

[٥] – الدخان: ٣٧.

[٦] – التفسير الكبير ٢٤٩/٢٧.

[٧] – الدخان: ٣٨.

[٨] – التفسير الكبير ٢٥٠/٢٧.

[٩] – الدخان: ٤٠.

والقيامة لا جرم ذكر عقيبه قوله: "إن يوم الفصل"[١].

قوله تعالى: "إن المتقين في مقام" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة ذكر الوعد في هذه الآيات ولما بين الله تعالى الدلائل وشرح الوعد والوعيد[٣]

قال: "فإنما يسرناه بلسانك" الخ[٤].

والمعنى أنه وصف القرآن في أول هذه السورة بكونه كتاباً مبيناً أي كثير البيان والفائدة وذكر في خاتمتها ما يؤكد ذلك[٥].

قوله تعالى: "فارتقب" الخ[٦].

قال المسكين: هو تسلية له عليه السلام أي ليس عليك إلا البلاغ لما نزل عليك وأمر الانتقام إلينا فليس لك إلا الانتظار.

---

[١] – التفسير الكبير ٢٥٠/٢٧.

[٢] – الدخان: ٥١.

[٣] – التفسير الكبير ٢٥٢/٢٧.

[٤] – الدخان: ٥٨.

[٥] – التفسير الكبير ٢٥٥/٢٧.

[٦] – الدخان: ٥٩.

سورة الجاثية

كان المذكور في آخر الأولى أمر التبليغ فذكر في أول هذه الأخرى ما يبلغه من الآيات[١].

قال المسكين: افتتح الله السورة بسرد الآيات التكوينية وشرف الآيات التنزيلية إلى قوله: فبأي حديث بعد الله الخ.

قوله تعالى: "ويل لكل أفاك" الخ[٢].

اعلم أنه تعالى لما بين الآيات للكفار وبين أنهم بأي حديث بعده يؤمنون إذا لم يؤمنوا بها مع ظهورها اتبعه بوعيد عظيم لهم[٣].

قوله تعالى: "الله الذي سخر" الخ[٤].

قال المسكين: عود إلى ذكر بعض الآيات التكوينية.

قوله تعالى: "قل للذين آمنوا" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما علم دلائل التوحيد والقدرة والحكمة اتبع ذلك بتعليم الأخلاق الفاضلة والأفعال الحميدة[٦].

قال المسكين: لما أصر الكفار على الكفر بعد إقامة الدلائل القاطعة غاظ المؤمنون عليهم فأمر الله تعالى بالمغفرة وتوكيل أمورهم إلى الله تعالى.

قوله تعالى: "ولقد آتينا بني إسرائيل" الخ[٧].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الجاثية: ٧.

[٣] – التفسير الكبير ٢٦١/٢٧.

[٤] – الجاثية: ١٢.

[٥] – الجاثية: ١٤.

[٦] – التفسير الكبير ٢٦٣/٢٧.

[٧] – الجاثية: ١٦.

اعلم أنه تعالى بين أنه أنعم بنعم كثيرة على بني إسرائيل مع أنه حصل بينهم الاختلاف على سبيل البغي والحسد والمقصود أن يبين أن طريقة قومه كطريقة من تقدم ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغي والحسد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك بالحق وأن لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق[١].

فقال: "ثم جعلناك على شريعة" الخ[٢].

ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة[٣].

قال: "هذا بصائر للناس" الخ[٤].

ولما بين الله تعالى الفرق بين الظالمين وبين المتقين من الوجه الذي تقدم بين الفرق بينهما من وجه آخر[٥].

فقال: "أم حسب الذين" الخ[٦].

قوله تعالى: "وخلق الله السموات" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما أفتى بأن المؤمن لا يساوي الكافر في درجات السعادات اتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة هذه الفتوى فقال: وخلق الله السموات والأرض بالحق ولو لم يوجد البعث لما كان بالحق بل كان بالباطل لأنه تعالى لما خلق الظالم وسلطه على المظلوم الضعيف، ثم لا ينتقم للمظلوم من الظالم كان ظالماً ولو كان ظالماً لبطل أنه خلق السموات والأرض بالحق ثم عاد تعالى إلى شرح أحوال الكفار

---

[١] – التفسير الكبير ٢٦٥/٢٧، ٢٦٦.

[٢] – الجاثية: ١٧.

[٣] – التفسير الكبير ٢٦٦/٢٧.

[٤] – الجاثية: ٢٠.

[٥] – التفسير الكبير ٢٦٦/٢٧.

[٦] – الجاثية: ٢١.

[٧] – الجاثية: ٢٢.

وقبائح طرائقهم[١].

فقال: "أفرأيت من اتخذه" الخ[٢].

واعلم أنه تعالى حكى عنهم بعد ذلك شبهتهم في إنكار القيامة في قوله تعالى: "وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا" الخ[٣].

واعلم أنه تعالى لما احتج بكونه قادراً على الإحياء في المرة الأولى وعلى كونه قادراً على الإحياء في المرة الثانية في الآيات المتقدمة عمّم الدليل[٤].

فقال: "ولله ملك السموات" الخ[٥].

ولما بين تعالى إمكان القول بالحشر والنشر بهذين الطريقين ذكر تفاصيل أحوال القيامة ولما تم الكلام في هذه المباحث الشريفة الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال: "فلله الحمد رب السموات" الخ[٦].

---

[١] – التفسير الكبير ٢٦٨/٢٧.

[٢] – الجاثية: ٢٣.

[٣] – التفسير الكبير ٢٦٩/٢٧.

[٤] – التفسير الكبير ٢٧١/٢٧.

[٥] – الجاثية: ٢٧.

[٦] – التفسير الكبير ٢٨٢/٢٧.

سورة الأحقاف

كان خاتمة الجاثية في إثبات المعاد وفاتحة الأحقاف في إثبات التوحيد وهما متقارنان في القرآن[١].

قوله تعالى: "حم تنزيل الكتاب" الخ[٢].

اعلم أن نظم هذه السورة كنظم أول سورة الجاثية[٣].

قوله تعالى: "ما خلقنا السموات" الخ[٤].

هذا يدل على إثبات الإله لهذا العالم ويدل على أن القيامة حق[٥].

قوله تعالى: "قل أرأيتم ما تدعون" الخ[٦].

قال المسكين: إبطال لمذهب عبدة الأصنام إثر إثبات التوحيد.

قوله تعالى: "وإذا تتلى عليهم" الخ[٧].

اعلم أنه تعالى لما تكلم في تقرير التوحيد ونفي الأضداد والأنداد تكلم في النبوة[٨].

قوله تعالى: "قل ما كنت بدعا من الرسل" الخ[٩].

حكى عنهم نوعاً آخر من الشبهات وهم أنهم كانوا يقترحون منه معجزات

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – الأحقاف: ١-٢.

[٣] – التفسير الكبير ٢/٢٨.

[٤] – الأحقاف: ٣.

[٥] – التفسير الكبير ٢/٢٨.

[٦] – الأحقاف: ٤.

[٧] – الأحقاف: ٧.

[٨] – التفسير الكبير ٦/٢٨.

[٩] – الأحقاف: ٩.

عجيبة قاهرة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عنه[١].

قوله تعالى: "وقال الذين كفروا" الخ[٢].

هذه شبهة أخرى للقوم في إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[٣].

قوله تعالى: "ومن قبله كتاب موسى" الخ[٤].

قال أبو السعود: هو لرد قولهم: هذا إفك قديم وإبطاله بأن كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعاً[٥].

قوله تعالى: "إن الذين قالوا" الخ[٦].

اعلم أنه تعالى لما قرر دلائل التوحيد والنبوة وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك طريقة المحقين والمحققين، وأعظم أنواع هذا النوع الإحسان إلى الوالدين لا جرم أردفه بهذا المعنى فقال تعالى ووصينا الإنسان الخ[٧].

قوله تعالى: "والذي قال لوالديه" الخ[٨].

اعلم أنه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه في الآية المتقدمة وصف الولد العاق بوالديه في هذه الآية وذكر من صفات ذلك الولد أنه بلغ في العقوق إلى حيث لما دعاه أبواه إلى الدين الحق وهو الإقرار بالبعث والقيامة أصر على الإنكار وأبى واستكبر وعول في ذلك الإنكار على شبهات خسيسة وكلمات واهية[٩].

---

[١] – التفسير الكبير ٧/٢٨.

[٢] – الأحقاف: ١١.

[٣] – التفسير الكبير ١١/٢٨.

[٤] – الأحقاف: ١٢.

[٥] – أبو سعود ٨٢/٨.

[٦] – الأحقاف: ١٣.

[٧] – التفسير الكبير ١٣/٢٨ و١٤.

[٨] – الأحقاف: ١٧.

[٩] – التفسير الكبير ٢٣/٢٨.

قوله تعالى: "ولكل درجات" الخ[١].

عائد إلى الفريقين والمعنى ولكل واحد من الفريقين درجات في الإيمان والكفر والطاعة والمعصية[٢].

قوله تعالى: "ويوم يعرض الذين كفروا" الخ[٣].

لما بين الله تعالى أن يوصل حق كل أحد إليه بين أحوال أهل العقاب[٤].

قوله تعالى: "واذكر أخا عاد" الخ[٥].

اعلم أنه تعالى لما أورد أنواع الدلائل في إثبات التوحيد والنبوة وكان أهل مكة بسبب استغراقهم في لذات الدنيا واشتغالهم بطلبها أعرضوا عنها ولم يلتفتوا إليها ولهذا السبب قال تعالى في حقهم: اذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا فلما كان الأمر كذلك بين أن قوم عاد كانوا أكثر أموالا وقوة وجاها منهم ثم إن الله تعالى سلط العذاب عليهم بسبب شوم كفرهم فذكر هذه القصة ههنا ليعتبر بها أهل مكة[٦].

قوله تعالى: "ولقد أهلكنا ما حولكم" الخ[٧].

قال المسكين آخذا من الكبير: إشارة إلى قصة أخرى من قرى عاد وثمود باليمن والشام[٨].

قوله تعالى: "وإذ صرفنا إليك" الخ[٩].

اعلم أنه تعالى لما بين أن في الإنس من آمن وفيهم من كفر بين أيضاً أن

---

[١] – الأحقاف: ١٩.

[٢] – التفسير الكبير ٢٤/٢٨.

[٣] – الأحقاف: ٢٠.

[٤] – التفسير الكبير ٢٥/٢٨.

[٥] – الأحقاف: ٢١.

[٦] – التفسير الكبير ٢٦/٢٨، ٢٧.

[٧] – الأحقاف: ٢٨.

[٨] – التفسير الكبير ٣٠/٢٨.

[٩] – الأحقاف: ٢٩.

الجن فيهم من آمن وفيهم من كفر وأن مؤمنهم معرض للثواب وكافرهم معرض للعقاب[١].

قوله تعالى: "أولم يروا" الخ[٢].

إلى ههنا قد تم الكلام في التوحيد وفي النبوة ثم ذكر عقيبهما تقرير مسألة المعاد ومن تأمل في هذا البيان علم أن المقصود من كل القرآن تقرير التوحيد والنبوة والمعاد وأما القصص فالمراد من ذكرها ما يجري مجرى ضرب الأمثال في تقرير هذه الأصول[٣].

قوله تعالى: "فاصبر كما صبر" الخ[٤].

اعلم أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما يجري مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم[٥].

---

[١] – التفسير الكبير ٣١/٢٨.

[٢] – الأحقاف: ٣٣.

[٣] – التفسير الكبير ٣٤/٢٨.

[٤] – الأحقاف: ٣٥.

[٥] – التفسير الكبير ٣٥/٢٨.

سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)

تناسب السورتين مذكور في المتن[١].

قوله تعالى: "الذين كفروا" الخ[٢].

أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة فإن آخرها قوله تعالى: "فهل يهلك الخ فإن قال قائل كيف يهلك الفاسق وله أعمال صالحة كإطعام الطعام وصلة الأرحام وغير ذلك قال تعالى: "الذين كفروا الخ أي لم يبق لهم عمل ولم يوجد فلم يمتنع الإهلاك[٣].

قوله تعالى: "والذين آمنوا" الخ[٤].

لما بين الله تعالى حال الكفار بين حال المؤمنين[٥].

قوله تعالى: "ذلك بأن الذين كفروا" الخ[٦].

قال المسكين: تعليل للحكمين.

قوله تعالى: "فإذا لقيتم الذين كفروا" الخ[٧].

لما بين أن الذين كفروا أضل الله أعمالهم واعتبار الإنسان بالعمل ومن لم يكن له عمل فهو همج فإن صار مع ذلك يؤذي حسن إعدامه فإذا لقيتم بعد ظهور أن لا حرمة لهم وبعد إبطال عملهم فاضربوا أعناقهم[٨].

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – محمد: ١.

[٣] – التفسير الكبير ٣٦/٢٨.

[٤] – محمد: ٢.

[٥] – التفسير الكبير ٣٨/٢٨.

[٦] – محمد: ٣.

[٧] – محمد: ٤.

[٨] – التفسير الكبير ٤٣/٢٨.

قال المسكين: ثم رغب بقوله: "إن تنصروا الله ينصركم" في القتال[١].

ثم علل إباحة القتال بقوله تعالى: "ذلك بأنهم كرهوا" الخ[٢].

ثم ذكر للعبرة عقوبة الكفار السابقين بقوله: "افلم يسيروا في الأرض" الخ[٣].

(وذلك) لدفع استبعاد مشروعية عقوبتهم بالقتال.

ثم علل بقوله: "ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا" الخ[٤].

كون المؤمنين غالبين وكون الكفار مغلوبين.

قوله تعالى: "إن الله يدخل" الخ[٥].

لما بين الله تعالى حال المؤمنين والكافرين في الدنيا بين حالهم في الآخرة[٦].

قوله تعالى: "وكأين من قرية" الخ[٧].

لما ضرب الله تعالى لهم مثلاً بقوله: "أفلم يسيروا" ضرب للنبي صلى الله عليه وسلم مثلاً تسلية له[٨].

قوله تعالى: "أفمن كان على بينة" الخ[٩].

قال أبو السعود: تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الأولين في أعلى عليين والآخرين في أسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال[١٠].

قوله تعالى: "مثل الجنة التي" الخ[١١].

---

[١] – محمد: ٧.

[٢] – محمد: ٩.

[٣] – محمد: ١٠.

[٤] – محمد: ١١.

[٥] – محمد: ١٢.

[٦] – التفسير الكبير ٥١/٢٨.

[٧] – محمد: ١٣.

[٨] – التفسير الكبير ٥٢/٢٨.

[٩] – محمد: ١٤.

[١٠] – أبو سعود ٩٥/٨.

[١١] – محمد: ١٥.

لما بين الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بينهما في مرجعهما ومآلهما[١].

قوله تعالى: "ومنهم من يستمع" الخ[٢].

لما بين الله تعالى حال الكافر ذكر حال المنافق بأنه من الكفار[٣].

قوله تعالى: "والذين اهتدوا" الخ[٤].

لما بين الله تعالى ان المنافق يستمع ولا ينتفع ويستعيذ ولا يستفيد بين أن حال المؤمن المهتدي بخلافه[٥].

قوله تعالى: "فهل ينظرون" الخ[٦].

قال المسكين: وعيد للكفار والمنافقين.

قوله تعالى: "فاعلم أنه لا إله إلا هو" الخ[٧].

قال أبو السعود: أي إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة، ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فأثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه[٨].

قوله تعالى: "ويقول الذين آمنوا" الخ[٩].

لما بين حال المنافق والكافر والمهتدي المؤمن عن استماع الآيات العلمية من التوحيد والحشر وغيرهما بقوله: "ومنهم من يستمع إليك" وقوله: "والذين اهتدوا زادهم

---

[١] – التفسير الكبير ٥٣/٢٨.

[٢] – محمد: ١٦.

[٣] – التفسير الكبير ٥٧/٢٨.

[٤] – محمد: ١٧.

[٥] – التفسير الكبير ٥٨/٢٨.

[٦] – محمد: ١٨.

[٧] – محمد: ١٩.

[٨] – أبو سعود ٩٧/٨.

[٩] – محمد: ٢٠.

هدى" بين حالهم في الآيات العملية فإن المؤمن كان ينتظر ورودها ويطلب تنزيلها وإذا تأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمر بشيء من العبادة خوفاً من أن لا يؤهل بها والمنافق إذا أنزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق عليه[١].

قوله تعالى: "فهل عسيتم" الخ[٢].

قال المسكين آخذاً من أبي السعود: تفريع على إعراضهم وتقاعدهم عن الجهاد ضعفاً في الدين وحرصاً على الدنيا وتقريره أن الجهاد إحراز كل خير وإصلاح ودفع كل شر وفساد فلما أعرضتم عنه وأنتم مأمورون وشأنكم الطاعة والقول المعروف فالمتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين الإفساد وقطع الأرحام[٣].

قوله تعالى: "أولئك الذين لعنهم الله" الخ[٤].

قال المسكين: وعيد المتصفين بالأوصاف المذكورة ثم المنافقين إلى قوله تعالى: "نبلو أخباركم".

قوله تعالى: "إن الذين كفروا" الخ[٥].

قال المسكين: ذم الكفار أهل الكتاب إثر ذم المشركين والمنافقين أو عود إلى ذم المشركين هما قولان.

قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا" الخ[٦].

قال المسكين: نهى للمؤمنين عن أن يكونوا مثل هؤلاء المذكورين.

قوله تعالى: "إن الذين كفروا وصدوا" الخ[٧].

---

[١] – التفسير الكبير ٦٢/٢٨.

[٢] – محمد: ٢٢.

[٣] – أبو سعود ٩٨/٨.

[٤] – محمد: ٧٣.

[٥] – محمد: ٣٢.

[٦] – محمد: ٣٣.

[٧] – محمد: ٣٤.

قال المسكين: من تتمة حال الكفار.

قوله تعالى: "فلا تهنوا" الخ[١].

قال أبو السعود: الفاء لترتيب النهي على ما سبق من الأمر بالطاعة[٢].

قوله تعالى: "إنما الحياة الدنيا" الخ[٣].

قال المسكين: ترغيب في بذل الأموال إثر الترغيب في بذل النفوس فبين حقارة الدنيا وأنه تعالى لا يسألكم جميع أموالكم لتبخلوا وإنما يقتصر على نذر يسير منها وتدعون إلى إنفاقه فإن بخلتم فإنما تضرون أنفسكم ثم ختم السورة ببيان استغنائه تعالى عن الأموال والأنفس بقوله: "وإن تتولوا" الخ.

---

[١] – محمد: ٣٥.

[٢] – أبو سعود ١٠٢/٨.

[٣] – محمد: ٣٦.

سورة الفتح

لا يخفى التناسب بين الترغيب في بذل الأموال والنفوس الذي ختمت عليه السورة الأولى وبين قصة الحديبية التي هي من مواقع ذلك البذل[١].

قال المسكين: ذكر الله تعالى في هذه السورة قصة الحديبية وما روعي فيها من الحكم والمصالح مع البشارات للمؤمنين والتهديد للكافرين والمنافقين وهذه خلاصة السورة كلها متعانقة بعضها ببعض ولما كان وجه الارتباط جلياً غير خفي لم يحتج إلى التفصيل فما ذكرنا من الإجمال كاف لمن يتدبر أدنى تدبر إن شاء الله تعالى وكذا أكثر السور من ههنا إلى آخر القرآن فافهم وتفكر ولا تهتم ولا تتحير والعون من الله تعالى.

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

سورة الحجرات

لا يخفى وجه المناسبة بين إصلاح الآفاق بالجهاد وإصلاح الأنفس بالإرشاد فالسورة الأولى في الأول والأخرى في الآخر[١].

قال المسكين: هذه السورة فيها إرشاد للمؤمنين إلى مكارم الأخلاق وحسن الأدب والمعاشرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع إخوانهم المؤمنين فالنصف الأول في أدب الرسول والنصف في أدب الإخوان فتفكر.

سورة ق

كان خاتمة الحجرات قوله تعالى: "والله بصير بما تعملون" وفيه إشارة إلى وقوع الجزاء وفي هذه التفصيل لأحواله[٢].

قال المسكين: هذه السورة كلها فيها تقرير مسألة المعاد وإقامة الدليل عليها وبيان ما يتعلق بها فتدبر.

---

[١] – في الأصل بهامش الكتاب.

[٢] – من الهامش.

سورة الذاريات

لما كانت السورتان مشتملين على تقرير المعاد فالمناسبة ظاهرة[١].

قال المسكين: هذه السورة أيضاً فيها تقرير المعاد وما يعود إليه حال الكافرين والمؤمنين ولتهديد المكذبين ذكر بعض القصص وختم السورة بالتوحيد ووعيد المنكرين له وللحشر وغيره.

سورة الطور

وجه المناسبة بين السورتين مذكور في المتن[٢].

هذه السورة مناسبة للسورة المتقدمة من حيث الافتتاح بالقسم وبيان الحشر وأول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها لأن في آخرها قوله تعالى: "فويل للذين كفروا" وهذه السورة في أولها: "فويل يومئذ للمكذبين" وفي آخر تلك السورة قال: "فإن للذين ظلموا ذنوباً" إشارة إلى العذاب وقال ههنا: "إن عذاب ربك لواقع"[٣].

قال المسكين: إن نصف السورة في بيان الحشر ونصفها في رفع شبهات الكفار في صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة والمعاد لأن رفع الشبهات يؤيد وقوع الحشر ثم ختم السورة بالإخبار عن يوم الحشر حيث قال: "فذرهم حتى يلاقوا" الخ.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – من الهامش.

[٣] – التفسير الكبير ٢٣٩/٢٨.

سورة النجم

إن آخر الأول وأول الآخر كلاهما يشتمل على تحقيق النبوة[١].

قال المسكين: هذه السورة لها أجزاء، في الجزء الأول وهو من أولها إلى قوله: "ولقد رأى من آيات ربه الكبرى" إثبات النبوة وفي الجزء الثاني إلى قوله: "وهو أعلم بمن اهتدى" بيان التوحيد والإعراض عن أهل الشرك وتوكيل أمرهم إلى الله تعالى وفي الجزء الثالث إلى آخر السورة بيان جزاء الأعمال وقيام الساعة فاشتملت السورة الأصول الثلاثة التي هي أم مقاصد القرآن التوحيد والرسالة والحشر فتبصر.

سورة القمر

أول الآخر وآخر الأول يشترك في بيان مسألة المعاد[٢].

قال المسكين: مقصود السورة الإخبار عن وقوع الساعة وعلامتها وذم المكذبين بها وبعض قصص المكذبين للاعتبار فتدبر.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – من الهامش.

سورة الرحمن

وجه المناسبة بين السورتين مذكور في المتن بوجهين[١].

اعلم أولاً أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين أحدهما أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة وهو انشقاق القمر فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقد الرجال.

وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدل على الرحمة والرحموت وهو القرآن الكريم فإنه شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب.

ثانيهما أنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة: "فكيف كان عذابي ونذر" غير مرة وذكر في هذه السورة: "فبأي آلاء ربكما تكذبان" مرة بعد مرة لما بينا أن تلك السورة سورة إظهار الهيبة وهذه السورة سورة إظهار الرحمة ثم إن أول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها حيث قال في آخر تلك السورة: "عند مليك مقتدر" الاقتدار إشارة إلى الهيبة والعظمة وقال ههنا: الرحمن أي عزيز شديد منتقم بالنسبة إلى الكفار والفجار رحمن منعم غافر للأبرار[٢].

قال المسكين: جزء الله تعالى هذه السورة ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول في تعداد النعم الدنيوية إلى قوله: "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام".

الجزء الثاني في النقم الأخروية للكفار وهي نعم باعتبار التنبيه على ما سيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدي إلى سوء الحساب.

الجزء الثالث وهو من قوله: "ولمن خاف مقام ربه" إلى آخر السورة في بيان

---

[١] – من الهامش.

[٢] – التفسير الكبير ٨٢/٢٩.

النعم الأخروية للمؤمنين فطرفا السورة في ذكر النعم ووسطها في بيان النقم ولما كان للأكثر حكم الكل سيما إذا كان ذكر النقم فيه لطف ونعمة ببيان عاقبة ما هم عليه كانت السورة كلها مظهراً لحضرة الجمال ومن ثم سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم عروس القرآن فتأمل ولا تتعطل.

سورة الواقعة

وجه المناسبة بين السورتين مذكور في المتن بوجوه[١].

أما تعلق هذه السورة بما قبلها فذلك من وجوه أحدها أن تلك السورة مشتملة على تعديد النعم على الإنسان بالشكر ومنعه عن التكذيب كما مر، وهذه السورة مشتملة على ذكر الجزاء بالخير لمن شكر وبالشر لمن كذب وكفر.

ثانيها أن تلك السورة متضمنة للتنبيهات بذكر الآلاء في حق العباد وهذه السورة كذلك لذكر الجزاء في حقهم يوم التناد.

وثالثها أن تلك السورة سورة إظهار الرحمة وهذه السورة سورة إظهار الهيبة على عكس تلك السورة مع ما قبلها.

وأما تعلق الأول بالآخر ففي آخر تلك السورة إشارة إلى الصفات من باب النفي والإثبات وفي أول هذه السورة إلى القيامة وإلى ما فيها من المثوبات والعقوبات وكل واحد منهما يدل على علو اسمه وعظمة شأنه وكمال قدرته وعز شأنه[٢].

قال المسكين: هذه السورة أيضاً لها أجزاء أحدها في بيان أحوال أهل الجنة إلى قوله: "ثلة من الأولين وثلة من الآخرين" ثانيها في بيان أحوال النار إلى قوله: "هذا نزلهم يوم الدين".

ثالثها في بعض النعم الدنيوية التي هي دلالات على صحة البعث والحشر إلى قوله: "متاعاً للمقوين".

رابعها وهي خاتمتها الجواب من إنكارهم الحشر وما سيلقونه بعد من مؤمن ومكذب فتعقل ولا تغفل.

---

[١] – في الأصل بالهامش.

[٢] – التفسير الكبير ٢٩/ ١٣٩.

سورة الحديد

ختم السورة المتقدمة بذكر مسألة المعاد وافتتح هذه بمسألة التوحيد وتناسبها ظاهر[١].

قال المسكين: أول هذه السورة في التوحيد إلى قوله: "وهو عليم بذات الصدور" وأوسطها في ترغيب أعمال الخير الأصلية والفرعية من الإيمان والإنفاق وما للعاملين من صنف من البشارات والإنذار وتحقير الدنيا نعمها ونقمها وتعظيم حال الآخرة ليسهل السعي في الآخرة، وآخرها في إثبات مسألة الرسالة وذكر بعض الرسل المتقدمين وأممهم وهو من قوله: "ولقد أرسلنا" إلى خاتمة السورة.

سورة المجادلة

ختم السورة المتقدمة بمسألة الرسالة وذكر في هذه إحاطة علمه تعالى التي هي من مسائل التوحيد والارتباط بين التوحيد والرسالة مما لا يخفى[٢].

قال المسكين: كأن مقصود السورة بيان إحاطة علمه تعالى بأحوال المنافقين فإن أكثرها يشمل عليها وذكر سماع المجادلة تمهيد له أي لا يخفى على الله تعالى نجوى موافق ولا منافق فتدبر ولا تتحير.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – من الهامش.

سورة الحشر

كان في السورة المتقدمة ذكر أحوال المنافقين وفي هذه ذكر إخوانهم[١].

قال المسكين: خلاصة السورة ذكر قصة بني النضير وإخوانهم من المنافقين وختم السورة بإرشاد المؤمنين إلى أن لا يكونوا أمثالهم للتفاوت بين المطيع والعاصي بل ليتقوا الله الذي هو متصف بصفات الجلال والجمال.

سورة الممتحنة

وجه المناسبة يفهم من تقرير المتن[٢].

قال المسكين: حاصل السورة النهي عن الاختلاط مع المشركين بالتوقع والتناكح فتناسب ما قبلها لأن فيه التقاطع عن أهل الكتاب.

سورة الصف

أيضاً يفهم وجه التناسب من المتن[٣].

قال المسكين: كان المذكور في السورة السابقة الأمر بمخالفة الكفار وفي هذه الأمر بمقاتلتهم والوعد بالثواب عليها.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – من الهامش.

[٣] – من الهامش.

سورة الجمعة

أيضاً يفهم وجه المناسبة بين السورتين من المتن[١].

قال المسكين: أول السورة في إثبات التوحيد والرسالة والإلزام على بعض منكري الرسالة وآخرها في النهي عن الانهماك في الدنيا لأنه الموجب لاختلاط الكفار وهو المانع عن المخالفة والمقاتلة، والإعراض عن الدنيا هو المكمل لاعتقاد التوحيد والنبوة.

سورة المنافقون

وجه المناسبة مذكور في المتن[٢].

وجه تعلق أول هذه السورة بما قبلها هو أن تلك السورة مشتملة على ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر من كان يكذبه قلبا ولساناً بضرب المثل كما قال: "مثل الذين حملوا التوراة" وهذه السورة على ذكر من كان يكذبه قلباً دون اللسان ويصدقه لساناً دون القلب.

أما (تعلق) الأول بالآخر فذلك أن في آخر تلك السورة تنبيهاً لأهل الإيمان على تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم ورعاية حقه بعد النداء لصلاة الجمعة وتقديم متابعته في الأداء على غيره وأن ترك التعظيم والمتابعة من شيم المنافقين، والمنافقون هم الكاذبون كما قال في أول هذه السورة[٣].

قال المسكين: وختم السورة بالنهي للمؤمنين عن أن يكونوا كالمنافقين في إلهاء أموالهم وأولادهم عن ذكر الله والإخلاص له.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – من الهامش.

[٣] – التفسير الكبير ١٢/٣٠.

سورة التغابن

يفهم وجه المناسبة من المتن[١].

قال المسكين: خلاصة السورة التوحيد والرسالة والبعث والتوجه إلى الله تعالى بالتوكل والإعراض عما يلهي كآخر ما قبلها.

سورة الطلاق

أيضاً يفهم التناسب من المتن[٢].

قال المسكين: لما ذكر فيما قبل من عداوة الأزواج ذكر ههنا حقوقهن لئلا يفرط فيها ثم نبه في الركوع الثاني أن الله تعالى في المعاملات الدنيوية أيضاً واجب الامتثال لا كزعم بعض الجهلة.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – من الهامش.

سورة التحريم

فيه أيضاً ما في قبلها[١].

أما التعلق بما قبلها فذلك لاشتراكهما في الأحكام المخصوصة بالنساء[٢].

قال المسكين: أمر الأزواج المطهرات – أن لا يكن كالعامة عداوات البعل أيّ بعل وليخفن الطلاق إن فعلن ذلك – فناسبت السورة سورة التغابن والطلاق.

سورة الملك

كان المذكور في ما قبلها حقوق الرسالة وفي هذه حقوق التوحيد والجزاء عليها وعلى مقابلها وكذا في النون ذكر حقوق الرسالة مع بيان الجزاء وفي الحاقة بيان وقت الجزاء وفي المعارج بيان موجبات الجزاء والتعانق بين هذه المضامين ظاهر غني عن البيان[٣].

سورة النون

قال المسكين: السورة في إثبات الرسالة والجزاء على التصديق والتكذيب.

---

[١] – من الهامش.

[٢] – التفسير الكبير ٤١/٣٠.

[٣] – من الهامش.

سورة الحاقة

قال المسكين: خلاصة السورة بيان يوم القيامة وحقية القرآن الجاءي به.

سورة المعارج

قال المسكين: فيها ذكر الحشر وموجبات الثواب والعذاب.

سورة نوح (عليه السلام)

لما كان المذكور في المعارج بيان موجبات الجزاء ذكر في هذه أعظم الموجبات له من تكذيب الرسول ثم حض في الجن على تصديق الرسول بذكر إيمان الجن ثم علم في المزمل صفاء الباطن بعد تحصيل العقائد الحقة ثم أمر بتكميل غيره بعد كمال نفسه في المدثر ثم في القيامة تتم أمر التكميل بالإخبار عن البعث ثم أخبر في الدهر عن جزاء الأعمال بعد البحث ثم في المرسلات أكد بيان أحوال يوم القيامة وكذا في النبأ وكذا في النازعات وعبس والتكوير والانفطار وكذا في التطفيف مع الإشارة إلى بعض حقوق العباد وكذا في الانشقاق وهذه الأمور كلها متعانقة متناسبة بعضها ببعض[١].

قال المسكين: خلاصة السورة بيان جزاء من يكذب الرسل في ضمن قصة نوح عليه السلام.

---

[١] – من الهامش.

سورة الجن

قال المسكين: خلاصة السورة التنبيه على أن الجن الناريين المستكبرين قد آمنوا فما بال البشر الترابيين المستصغرين لا يؤمنون وختم السورة بإثبات التوحيد الذي هو أصل الإيمان.

سورة المزمل

قال المسكين: خلاصة السورة تعليم تصفية الباطن بعد إصلاح الظاهر والأمر بالابتهال إلى الله تعالى والإعراض من المنكرين وتوكيل أمرهم إلى الله تعالى فإنه يجازيهم كيف يشاء فإن شغل القلب بغير الله تعالى مما يخل بالذكر وصفاء الجوهر الروحاني.

سورة المدثر

قال المسكين: ملخص السورة الإنذار

سورة القيامة

قال المسكين: ملخص السورة إثبات البعث ولعله اتفق للرسول صلى الله عليه وسلم عند نزول هذه الآيات استعجال بالقراءة فنهي عنه.

وعلى قول القفال: قوله تعالى: "لا تحرك" الخ خطاب مع الإنسان يوم القيامة وقت قراءة كتاب أعماله فيكون من متعلقات البعث[١].

سورة الدهر

قال المسكين: ملخصها إثبات جزاء الأعمال فكأنه مناسب لقوله: "أ يحسب الإنسان أن يترك سدى" لا يجزي على الأعمال.

سورة المرسلات

قال المسكين: خلاصتها بيان ما يقع يوم القيامة وما يتبعها.

سورة النبأ

قال المسكين: فيها أيضاً أحوال القيامة.

---

[١] – التفسير الكبير ٢٢٢/٣٠.

سورة النازعات

قال المسكين: فيها أيضاً إثبات البعث.

أما وجه المناسبة بين قصة موسى عليه السلام وبين ما قبلها فعلى ما في الكبير: من وجهين: الأول أنه تعالى حكى عن الكفار إصرارهم على إنكار البعث حتى انتهوا في ذلك الإنكار إلى حد الاستهزاء في قولهم: "تلك إذا كرة خاسرة" وكان ذلك يشق على محمد صلى الله عليه وسلم فذكر قصة موسى عليه السلام وبين أنه تحمل المشقة الكثيرة في دعوة فرعون ليكون ذلك كالتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

الثاني أن فرعون كان أقوى من كفار قريش وأكثر جمعا وأشد شوكة فلما تمرد على موسى عليه السلام أخذه الله نكال الآخرة والأولى فكذلك هؤلاء المشركين في تمردهم عليك إن أصروا أخذهم الله تعالى وجعلهم نكالاً[١].

سورة عبس

قال المسكين: فيها بيان أحوال القيامة والأمر بتذكير من يتذكر.

سورة التكوير

قال المسكين: فيها إثبات البعث وحقية القرآن ليخافوا ويستعدوا لذلك اليوم.

---

[١] – التفسير الكبير ٣٨/٣١.

سورة الانفطار

قال المسكين: فيها إثبات البعث وبيان جزاء الأعمال والتقريع على الغفلة.

سورة التطفيف

قال المسكين: كان فيما قبل بيان حقوق الله تعالى وفي هذه بيان حقوق الناس من أموالهم وأعراضهم وبين تعظيم يوم مكافات الحقوق.

سورة الانشقاق

قال المسكين: فيها بيان لجزاء الأعمال يوم القيامة.

سورة البروج

كان المذكور في السور قبلها وقوع المحنة والتعب على الكفار يوم القيامة وذكر في هذه وقوعها على المؤمنين في هذه الدار الدنيا، ثم بين في الطارق أن الأعمال محفوظة عند الله ويقع الجزاء عليها لا محالة، وفي الأعلى أن الأهم أمر الآخرة والجزاء لا حطام الدنيا وفي الغاشية بيان وقت الجزاء وكذا في الفجر من جزاء المكذبين في الدنيا والآخرة وعدم الاغترار بالدنيا.

ثم في البلد ذم صرف القوى إلى الدنيا التي لا ينبغي الاغترار بها، ثم في الشمس الترغيب في الطاعات والتحذير عن المعاصي وكذا في الليل مع اختلاف الأعمال وجزاءها ثم في والضحى أذهب الحزن عن نبيه صلى الله عليه وسلم ببعض أعمال الأمة من التكذيب وغيره ولا يخفى ما في هذه المذكورات من التلاصق وسيأتي ما بين الضحى وبين ما بعدها إلى آخر القرآن من وجه الارتباط[١].

هذه السورة وردت في المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان حتى يقتدوا بهم ويصبروا على أذى قومهم ويعلموا أن كفار مكة عند الله بمنزل أولئك[٢].

---

[١] – من الهامش.

[٢] – التفسير الكبير ١١٦/٣١.

سورة الطارق

قال المسكين: فيها بيان حفظ الأعمال والجزاء بعد البعث وكونه حقاً غير هزل.

سورة الأعلى

قال المسكين: فيها بيان فناء الدنيا وبقاء الآخرة والأمر بالتذكير به بالقرآن وبيان النعم الباعثة على الطاعة فتأمل.

سورة الغاشية

قال المسكين: فيها بيان القيامة والجنة والنار والآيات الدالة على وجود الصانع المنجي اعتقاده والمردي عناده.

سورة الفجر

قال المسكين: فيها ذكر جزاء المكذبين وعدم الاغترار بالدنيا الحاملة على التكذيب وإتيان يوم الجزاء.

سورة البلد

قال المسكين: فيها ذم صرف القوى إلى الدنيا والأمر بصرفها في العقبى.

سورة الشمس

المقصود من هذه السورة الترغيب في الطاعات والتحذير من المعاصي[١].

قال المسكين: لأن جواب القسم على ما قال أبو السعود: قوله تعالى: "قد أفلح" الخ[٢].

سورة الليل

أقسم تعالى أن أعمال عباده لشتى أي مختلفة في الجزاء ثم بين معنى اختلاف الأعمال فيما قلناه من العاقبة المحمودة والمذمومة والثواب والعقاب[٣].

---

[١] – التفسير الكبير ١٨٨/٣١.

[٢] – أبو سعود ١٦٤/٩.

[٣] – التفسير الكبير ١٩٨/٣١.

سورة الضحى

اعلم أن الرازي رحمه الله تعالى أورد في تفسير الكوثر تقريراً يوخذ منه الارتباط بين سورة الضحى إلى آخر القرآن المجيد فلنورده بعينه وهو هذا:

إن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور وكالأصل لما بعدها من السور أما إنها كالتتمة لما قبلها من السور فلأن الله تعالى جعل سورة والضحى في مدح محمد صلى الله عليه وسلم وتفصيل أحواله فذكر في أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته.

أولها قوله: "ما ودعك ربك وما قلى"، (وثانيها) قوله: "وللآخرة خير لك من الأولى" "وثالثها" "ولسوف يعطيك ربك فترضى".

ثم ختم هذه السورة بذكر ثلاثة أحواله عليه السلام فيما يتعلق بالدنيا وهو قوله: "ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى".

ثم ذكر في سورة ألم نشرح أنه شرفه بثلاثة أشياء (أولها) "ألم نشرح لك صدرك" (ثانيها) "ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك" (وثالثها) "ورفعنا لك ذكرك".

ثم أنه تعالى شرفه في سورة التين بثلاثة أنواع من التشريف.

(أولها) أنه أقسم ببلده وهو قوله: "وهذا البلد الأمين" (ثانيها) أنه أخبر عن خلاص أمته عن النار وهو قوله: "إلا الذين آمنوا" (ثالثها) وصولهم إلى الثواب وهو قوله: "فلهم أجر غير ممنون".

ثم شرفه في سورة إقرأ بثلاثة أنواع من التشريفات (أولها) "إقرأ باسم ربك" أي إقرأ القرآن، على الخلق مستعيناً باسم ربك (ثانيها) أنه قهر خصمه بقوله: "فليدع ناديه"، (ثالثها) أنه خصمه بالقربة التامة وهو "واسجد واقترب".

وشرفه في سورة القدر بليلة القدر التي لها ثلاثة أنواع من الفضيلة (أولها) كونها من ألف شهر (ثانيها) نزول الملائكة والروح فيها (ثالثها) كونها سلاماً حتى

مطلع الفجر.

وشرفه في سورة لم يكن بأن شرف أمته بثلاثة تشريفات أولها أنهم خير البرية وثانيها أن جزائهم عند ربهم جنات وثالثها رضي الله تعالى عنهم.

وشرفه في سورة إذا زلزلت بثلاث تشريفات أولها قوله: "يومئذ تحدث أخبارها" وذلك يقتضي أن الأرض تشهد يوم القيامة لأمته بالطاعة والعبودية والثاني قوله: "يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم" وذلك يدل على أنه تعرض عليهم طاعاتهم فيحصل لهم الفرح والسرور وثالثها قوله: "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره" ومعرفة الله لا شك أنها أعظم من كل عظيم فلا بد وأن يصلوا إلى ثوابها.

ثم شرفه في سورة العاديات بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته فوصف تلك الخيل بصفات ثلاثة "والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً فالمغيرات صبحاً".

ثم شرف أمته في سورة القارعة بأمور ثلاثة أولها "فمن ثقلت موازينه" وثانيها أنهم في عيشة الراضية وثالثها أنهم يرون أعدائهم في نار حامية.

ثم شرفه في سورة الهكم بأن بين أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه أولها أنهم يرون الجحيم وثانيها أنهم يرونها عين اليقين وثالثها أنهم يسألون عن النعيم.

ثم شرف أمته في سورة العصر بأمور ثلاثة أولها الإيمان "إلا الذين آمنوا" وثانيها "وعملوا الصالحات" وثالثها إرشاد الخلق إلى الأعمال الصالحات وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

ثم شرفه في سورة الهمزة بأن ذكر أن من همز ولمز فله ثلاثة أنواع من العذاب أولها أنه لا ينتفع بدنياه البتة وهو قوله: "يحسب أن ماله أخلده كلا" وثانيها أنه ينبذ في الحطمة وثالثها أنه يغلق عليه تلك الأبواب حتى لا يبقى له رجاء الخروج وهو قوله: "إنها عليهم مؤصدة".

ثم شرفه في سورة الفيل بأن رد كيد أعدائه في نحرهم من ثلاثة أوجه أولها جعل كيدهم في تضليل، وثانيها أرسل عليهم طيراً أبابيل، وثالثها جلعهم كعصف مأكول.

[تم شرفه في سورة قريش بأنه راعى مصلحة أسلافه من ثلاثة أوجه: أولها جعلهم مؤتلفين متوافقين لإيلاف قريش وثانيها أطعمهم من جوع وثالثها أنه "آمنهم من خوف".

وشرفه في سورة الماعون بأن وصف المكذبين بدينه بثلاثة أنواع من الصفات المذمومة أولها الدنائة واللؤم وهو قوله: "يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين" وثانيها ترك تعظيم الخالق وهو قوله: "عن صلاتهم ساهون الذين هم يراعون" وثالثها ترك انتفاع الخلق وهو قوله: "ويمنعون الماعون".

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرف في هذه السورة من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها: "إنا أعطيناك الكوثر" أي أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السور المتقدمة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب وبإرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم أما عبادة الرب فإما بالنفس وهو قوله: "فصل لربك" وإما بالمال وهو قوله: "وانحر" وأما إرشاد عباده إلى ما هو الإصلاح لهم في دينهم ودنياهم فهو قوله: "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون" فثبت أن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور.

وأما أنها كالأصل لما بعدها فهو أنه تعالى يأمره بعد هذه السورة بأن يُكفِّر جميع أهل الدنيا بقوله: "يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون" ومعلوم أن عسف الناس على مذاهبهم وأديانهم أشد من عسفهم على أرواحهم وأموالهم وذلك أنهم يبذلون أموالهم وأرواحهم في نصرة أديانهم فلا جرم كان الطعن في مذاهب الناس يثير من العداوة والغضب ما لا يثير سائر المطاعن فلما أمره بأن يُكفِّر جميع أهل الدنيا ويبطل أديانهم لزم أن يصير جميع أهل الدنيا في غاية العداوة له وذلك مما يحترز عنه كل أحد من الخلق فلا يكاد يقدم عليه.

وانظر إلى موسى عليه السلام كيف كان يخاف من فرعون وعسكره وأما ههنا فإن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لما كان مبعوثاً إلى جميع أهل الدنيا كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه فدبر تعالى في إزالة هذا الخوف الشديد تدبيراً لطيفاً وهو أنه قدم على تلك السورة هذه السورة فإن قوله: "إنا أعطيناك الكوثر" أي الخير الكثير في الدنيا والدين فيكون ذلك وعداً من الله بالنصرة والحفظ وهو كقوله:

"يا ايها النبي حسبك الله" وقوله: "والله يعصمك من الناس" وقوله: "إلا تنصروه فقد نصره الله" ومن كان الله ضامناً لحفظه فإنه لا يخشى أحداً.

وثانيها أنه تعالى لما قال: "إنا أعطيناك الكوثر" وهذا اللفظ يتناول خيرات الدنيا وخيرات الآخرة وأن خيرات الدنيا ما كانت واصلة إليه حين كان بمكة والخلف في كلام الله تعالى محال فوجب في حكمة الله تعالى إبقائه في دار الدنيا إلى حيث يصل إليه تلك الخيرات فكان ذلك كالبشارة له والوعد بأنهم لا يقتلونه ولا يقهرونه ولا يصل إليه مكرهم بل يصير أمره كل يوم في الازدياد والقوة.

وثالثها أن عليه السلام لما كفَّرهم وزيَّف أديانهم ودعاهم إلى الإيمان اجتمعوا عنده وقالوا: إن كنت تفعل هذا طلباً للمال فنعطيك من المال ما تصير به من أغنى الناس وإن كان مطلوبك الزوجة نزوجك أكرم نسائنا وإن كان مطلوبك الرياسة فنحن نجعلك رئيساً على أنفسنا فقال الله تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر" أي لما أعطاك خالق السموات والأرض خيرات الدنيا والآخرة فلا تغتر بمالهم ومراعاتهم.

ورابعها أن قوله: "إنا أعطيناك الكوثر" تفيد أن الله تعالى تكلم معه بلا واسطة فهذا يقوم مقام قوله: "وكلم الله موسى تكليماً" بل هذا أشرف لأن المولى إذا شافه عبده بالتزام التربية والإحسان كان ذلك أعلى مما إذا شافهه في غير هذا المعنى بل يفيد قوة في القلب ويزيل الجبن من النفس فثبت أن مخاطبة الله إياه بقوله: "إنا أعطيناك الكوثر" مما يزيل الخوف عن القلب والجبن عن النفس فقدم هذه السورة على سورة "قل يا أيها الكافرون" حتى يمكنه الاشتغال بذلك التكليف الشاق والإقدام على تكفير جميع العالم وإظهار البراءة عن معبودهم.

فلما امتثلت بأمري فانظر كيف أنجزت لك الوعد وأعطيتك كثرة الاتباع والأشياع إن أهل الدنيا يدخلون في دين الله أفواجاً.

ثم إنه تعالى لم أتم أمر الدعوة وإظهار الشريعة شرع في بيان ما يتعلق بأحوال القلب والباطن وذلك لأن الطالب إما أن يكون طلبه مقصوراً على الدنيا أو يكون طالباً للآخرة، أما طلب الدنيا فليس له إلا الخسار والذل والهوان ثم مصيره إلى

النار، وهو المراد من سورة تبت وأما طلب الآخرة فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي ينتقش فيها صور الموجودات.

وقد ثبت في العلوم العقلية أن طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين منهم من عرف الصانع ثم توصل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته وهذا هو الطريق الأشرف الأعلى ومنهم من عكس وهو طريق الجمهور.

ثم إنه سبحانه ختم كتابه الكريم بتلك الطريقة التي هي أشرف الطريقتين فبدأ بذكر صفات الله وشرح جلاله وهو سورة قل هو الله أحد ثم اتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة قل أعوذ برب الفلق ثم ختم الأمر بذكر مراتب النفس الإنسانية وعند ذلك ختم الكتاب.

قال صاحب المنهيات عفا الله عنه جميع السيئات: هذا آخر ما أردنا إيراده في الارتباط بين السور القرآنية.

وقع الفراغ ثلاث جمادى الأخرى ١٣١٦ من الهجرة النبوية على صاحبها ألف ألف سلام وتحية[١].

قال المسكين: فيها بيان النعم على نبيه صلى الله عليه وسلم ليذهب حزنه بالتكذيب والأمر بأداء الشكر عليها.

سورة الانشراح

قال المسكين: فيها أيضاً ما في الأولى مع الأمر بالاجتهاد في العبادة أداءً لشكر النعم.

---

[١] – هذا كله في الهامش وهو في التفسير الكبير ٣٢/١١٨-١٢٠.

سورة التين

قال المسكين: فيها بيان النعم على الإنسان وشكر بعضهم عليها وكفر بعضهم بها وبيان جزاء الفريقين.

سورة العلق

قال المسكين: فيها حث على الطاعة والذكر شكرا للنعم وذم وردع لمن كفر بها بطغيانه.

سورة القدر

قال المسكين: فيها تعظيم القرآن بتعظيم زمانه وهو أحد وجوه التعظيم.

سورة البينة

قال المسكين: فيها تعظيم الرسول وجزاء المصدقين والمطيعين له والمكذبين والعصاة.

سورة الزلزال

إنه تعالى لما قال: جزاء عند ربهم فكأن المكلف قال: ومتى يكون ذلك يا رب؟ فقال: "إذا زلزلت الأرض"[١].

قال المسكين: ففيها بيان الجزاء ووقته.

سورة العاديات

قال المسكين: فيها بيان لكون الإنسان معترفاً بالقال وبالحال على نفسه باستحقاقه للجزاء لاعترافه بكونه كنوداً كفوراً فلا تحكم فيه.

سورة القارعة

اعلم أنه تعالى لما ختم السورة المتقدمة بقوله: "إن ربهم بهم يومئذ لخبير" فكأنه قيل: وما ذلك اليوم؟ فقيل: "هي القارعة"[٢].

قال المسكين: في هذه السورة قانون الجزاء.

---

[١] – التفسير الكبير ٣٢/٥٧.

[٢] – التفسير الكبير ٣٢/٧٠.

سورة التكاثر

قال المسكين: فيها بيان ذم الغفلة عن الآخرة.

سورة العصر

قال المسكين: فيها بيان أسباب الخسران والربح في الآخرة.

سورة الهمزة

قال المسكين: فيها بيان خصال العذاب.

سورة الفيل

قال المسكين: هذه السورة كالدليل على أن الهمزة اللمزة الطاعن في النبي صلى الله عليه وسلم مستحق للعذاب فإن الذي عذب من أهان بيته كيف يترك من أهان نبيه – وهذا مأخوذ من الكبير[١].

---

[١] – التفسير الكبير ٣٢/٩٨.

سورة قريش

قال المسكين: فيها بيان النعمة العظيمة على قريش حيث جعلهم أهل بيت عظيم وأهلك الله تعالى من أهانهم وألقى حرمته في قلوب الناس.

سورة الماعون

قال المسكين: فيها ذم خصال الكفار والمنافقين.

سورة الكوثر

قال المسكين: فيها تنويه لشأن الرسول صلى الله عليه وسلم وتفضيح لعدوه.

سورة الكافرون

قال المسكين: فيها النبذ على السواء في الدين لقطع الطمع عن التوافق فيه.

سورة النصر وأبي لهب

اعلم انه تعالى قال: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" ثم بين في سورة قل يا أيها الكافرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم أطاع ربه وصرح بنفي عبادة الشركاء والأضداد وأن الكافر عصى ربه واشتغل بعبادة الأضداد والأنداد فكأنه قيل: ما ثواب المطيع وما عقاب العاصي؟ فقال: ثواب المطيع حصول النصر والفتح والاستعلاء في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى كما دل عليه سورة إذا جاء نصر الله وأما عقاب العاصي فهو الخسار في الدنيا والعقاب العظيم في العقبى كما دلت عليه سورة تبت يدا[١].

سورة الإخلاص

قال المسكين: فيها بيان التوحيد وهو أصل الدين.

سورة الفلق

قال المسكين: فيها الأمر بالتوكل في الحسيات.

---

[١] – التفسير الكبير ١٦٥/٣٢.

سورة الناس

قال المسكين: فيها الأمر بالتوكل في العقليات والتوكل هو أصل الأعمال ومدارها.

فسبحانه ما أعظم شأنه كيف ختم كتابه بذكر الأصول العظيمة لأن الدين كله هو الاعتقاد والعمل لا غير، والأعمال يتوقف صدورها على سلامة البدن وسلامة النفس فوجب التوكل على الله تعالى في حفظمها عن الشرور والبوائق فجمع الله تعالى العقائد الصحيحة الحقة كلها في سورة الإخلاص، وأمر بالتوكل في سلامة البدن في سورة الفلق، وفي سلامة النفس في سورة الناس.

وبما ذكرتم أمر الدين والحمد لله رب العالمين.

ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد المبعوث لجوامع الكلم ومنابع الحكم وعلى جميع الأنبياء والرسل وآلهم وصحبهم سراج السبل أبد الأبدين ودهر الداهرين.

* * * * *

خاتمة

قد تم الكتاب والحمد لله الوهاب على يد هذا التراب في نحو مدة شهرين وأسبوعين وقد فرغ منه في يوم الخميس ثالث عشر من شهر ربيع الآخر ١٣١٦هـ في كورة تهانه بهون من مضافات مظفر نغر لا زالت مصونة من الفتن ومأمونة من الشر ومقرونة بالخير والظفر بحرمة سيد البشر صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم وما سارت الشمس والقمر.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

اللهم اجعلنا من خدام دينك المتين ومن الدين يسعون في إحياء علوم السلف المتقين المتقنين من عبادك المخلصين واجعلنا من أحبائهم واحشرنا في زمرتهم يوم الدين.

وأنا العبد

محمد عبيد الله الأسعدي

٢٧/جمادى ا خرى ١٤٣٠هـ

المحتويات

العنوان	الصفحة
التقديم	٥
* بيان وجيز في تعريف علم مناسبات السور والآيات وأهمية هذا العلـــم وفي بعض أهم المصادر والكتب فيه	١١
* مولانا أشرف علي التهانوي	١٥
* آثار المؤلف في علوم القرآن وتفسيره	١٨
* كلمة عما جاء في الكتاب	٢١
* كلمة المحقق حول عمل التحقيق	٢٣
سورة الفاتحة	٢٦
سورة البقرة	٢٨
سورة آل عمران	٧٧
سورة النساء	١٠٣
سورة المائدة	١٢٥
سورة الأنعام	١٤٠
سورة الأعراف	١٦٣
سورة الأنفال	١٧٧
سورة التوبة	١٨٥
سورة يونس	١٨٩
سورة هود	٢٠١
سورة يوسف	٢٠٨
سورة الرعد	٢٠٩

سورة إبراهيم	٢١٤
سورة الحجر	٢١٧
سورة النحل	٢٢١
سورة بني إسرائيل	٢٣٠
سورة الكهف	٢٤٢
سورة مريم	٢٤٨
سورة طه	٢٥٢
سورة الأنبياء	٢٥٧
سورة الحج	٢٦١
سورة المؤمنون	٢٦٦
سورة النور	٢٧٣
سورة الفرقان	٢٧٧
سورة الشعراء	٢٨٤
سورة النمل	٢٨٧
سورة القصص	٢٩٢
سورة العنكبوت	٢٩٤
سورة الروم	٣٠٠
سورة لقمان	٣٠٥
سورة السجدة	٣٠٩
سورة الأحزاب	٣١٢
سورة سبا	٣١٥
سورة الفاطر	٣٢٠
سورة يسين	٣٢٤
سورة الصافات	٣٢٧

سورة ص	٣٣٢
سورة الزمر	٣٣٧
سورة المؤمن	٣٤٥
سورة حم السجدة	٣٥٠
سورة الشورى	٣٥٥
سورة الزخرف	٣٦٤
سورة الدخان	٣٦٩
سورة الجاثية	٣٧٢
سورة الأحقاف	٣٧٥
سورة محمد	٣٧٩
سورة الفتح	٣٨٤
سورة الحجرات	٣٨٥
سورة ق	٣٨٥
سورة الذاريات	٣٨٦
سورة طور	٣٨٦
سورة النجم	٣٨٧
سورة القمر	٣٨٧
سورة الرحمن	٣٨٨
سورة الواقعة	٣٩٠
سورة الحديد	٣٩١
سورة المجادلة	٣٩١
سورة الحشر	٣٩٢
سورة الممتحنة	٣٩٢
سورة صف	٣٩٢

سورة الجمعة	٣٩٣
سورة المنافقون	٣٩٣
سورة التغابن	٣٩٤
سورة الطلاق	٣٩٤
سورة التحريم	٣٩٥
سورة الملك	٣٩٥
سورة القلم	٣٩٥
سورة الحاقة	٣٩٦
سورة المعارج	٣٩٦
سورة نوح	٣٩٦
سورة الجن	٣٩٧
سورة المزمل	٣٩٧
سورة المدثر	٣٩٧
سورة القيامة	٣٩٨
سورة الدهر	٣٩٨
سورة المرسلات	٣٩٨
سورة النبأ	٣٩٨
سورة النازعات	٣٩٩
سورة عبس	٣٩٩
سورة التكوير	٣٩٩
سورة الانفطار	٤٠٠
سورة المطففين	٤٠٠
سورة الانشقاق	٤٠٠
سورة البروج	٤٠١

سورة الطارق	٤٠٢
سورة الأعلى	٤٠٢
سورة الغاشية	٤٠٢
سورة الفجر	٤٠٣
سورة البلد	٤٠٣
سورة الشمس	٤٠٣
سورة الليل	٤٠٣
سورة الضحى	٤٠٤
سورة الانشراح	٤٠٨
سورة التين	٤٠٩
سورة العلق	٤٠٩
سورة القدر	٤٠٩
سورة البينة	٤٠٩
سورة الزلزال	٤١٠
سورة العاديات	٤١٠
سورة القارعة	٤١٠
سورة التكاثر	٤١١
سورة العصر	٤١١
سورة الهمزة	٤١١
سورة الفيل	٤١١
سورة قريش	٤١٢
سورة الماعون	٤١٢
سورة الكوثر	٤١٢
سورة الكافرون	٤١٢

سورة النصر	٤١٣
سورة لهب	٤١٣
سورة الإخلاص	٤١٣
سورة الفلق	٤١٣
سورة الناس	٤١٤
خاتمة	٤١٥